

د. عويضة بن متيريك الجهني

نجد قبل الوَهابيَّة

الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية

ترجمة
إحسان زكي

جسور للترجمة والنشر

نجد قبل الوَهابيَّة

مع شحّ المصادر والكتب عن التاريخ السياسي والاجتماعي والديني لمنطقة نجد وسط الجزيرة العربية، تأتي الأهمية البالغة لأطروحة الدكتوراه في فلسفة التاريخ التي قدّمها الدكتورعويضة الجهني بجامعة واشنطن في ولاية سياتل بعنوان: «تاريخ نجد قبل الوهابية: دراسة للظروف الاجتماعية والسياسية والدينية في نجد إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية»، والتي بذل فيها جهداً كبيراً امتدّ لسنوات في تتبع وتوثيق وتحليل كل ما ورد في المخطوطات والوثائق والكتب والمراسلات والسِيَر، وتدوينات الرحالة وسجلات الأنساب والمعاجم الجغرافية، وحتى الشعر الشعبي، وكل ما يتماسّ مع التاريخ النجدي منذ العصور القديمة، زمن طسم وجديس، وقبائل العرب البائدة، مروراً بالفتح الإسلامي وما تلاه من دول، ومن صراعات وهجرات، وحتى بداية تأسيس الحركة الوهابية في نجد وظروف نشأتها، مع التركيز على القرون الثلاثة التي سبقت هذه الحركة.

نحن أمام جهد بحثي استثنائي، قام فيه الباحث بالتحقيب الزمني للدول والقبائل والعقائد التي هيمنت على نجد منذ ما قبل الإسلام وحتى قيام الحركة الوهابية، وصراعات القبائل فيما بينها، والاقتتال المستمر بين أهل المدن والقرى (الحضر) وقبائل البادية ورصد موجات الهجرة المتكررة في نجد وخارجها، وتوثيق نشأة المدن والقرى فيها وتكويناتها القبلية الأولى، ورصد الوضع السياسي والتشكيلات القبلية في الأقاليم المحيطة، والتتبع الدقيق لطبيعة البيئة الاجتماعية والدينية والتعليمية في نجد على امتداد هذه القرون، وتواصل العلماء النجديين مع الأحساء والحجاز والعراق والشام ومصر، وكيف كان شكل المجتمع النجدي وتكويناته الاجتماعية والثقافية والسياسية التي أسهمت في نشأة الحركة الوهابية، إضافة إلى الكثير من التفاصيل والمعلومات والاستنتاجات والخُلاصات غير المسبوقة في كل ما كتبه الباحثون والرحالة، سابقاً، عن تاريخ نجد.

الثمن: ١٢ دولاراً
أو ما يعادلها


ISBN 978-614-431-788-4



نجد قبل الوهابيّة

الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية إبان القرون الثلاثة
التي سبقت نشأة الحركة الوهابيّة

نجد قبل الوهابيّة

الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية إبان القرون الثلاثة التي سبقت نشأة الحركة الوهابيّة

د. عويضة بن متيريك الجهني

ترجمة: إحسان زكي



جسور للترجمة والنشر

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد جسور للترجمة والنشر

نجد قبل الوهابيّة: الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية إبان القرون الثلاثة التي سبقت نشأة الحركة الوهابيّة/ عويضة بن متيريك الجهني؛ ترجمة إحسان زكي.
٢٨٨ص.
بيليوغرافية: ص٢٧٩ ـ ٢٨٨.
ISBN 978-614-431-788-4
١. الوهابية ـ تاريخ. أ. زكي، إحسان (مترجمة).
320

الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه بعنوان:

The History of Najd Prior to the Wahhabis
A Study of Social, Political and Religious Conditions in Najd
During the Three Centuries Preceding the Wahhabi Reform Movement

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٦

جسور للترجمة والنشر

لبنـان ـ بيروت
josour.pub@gmail.com

المحتويات

تمهيد

تعود أصول هذا الكتاب إلى الرسالة العلمية التي تمَّ تقديمها كجزء من المتطلّبات الخاصة بالحصول على لقب دكتوراه فلسفة في التاريخ بجامعة واشنطن، سياتل في عام ١٩٨٣. وكان عنوان الرسالة: «تاريخ نَجْد قبل الوهابية: دراسة للظروف الاجتماعية والسياسية والدينية في نَجْد إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية».

وفي معرض الكتابة عن الموضوع الذي يتطلّب الاستشهاد بعدد كبير جدّاً من الأسماء والمصطلحات والتواريخ التي استخدمت فيها كتابة النقحرة، فكان من الصعب جدّاً الاتساق بينها. وعلى هذا الأساس لم يضِنَّ المؤلف بأي جهد من جانبه، وهو يطلب من القارئ أن يكون متسامحاً معه إذا بقيت ثمَّة أيَّة أخطاء.

ويتبع نظام كتابة النقحرة للأسماء والمصطلحات العربية المستخدمة في هذا الكتاب النظام المستخدم في مكتبة الكونغرس الأمريكي. فعلى سبيل المثال، تم استخدام أداة التعريف «أل»، التي عادة ما تأتي مع أسماء الأماكن والمجموعات في اللغة العربية، كما هي في الترجمة. كما تمَّ استخدام «آل» (ألف المد) مع أسماء الأسر والقبيلة، وفقاً لاستخدامها الحقيقي من جانب أهل نَجْد أنفسهم. ولجعل الأمر سهلاً على القرّاء الذين ربما يرغبون في الاستعانة بالمصادر المستخدمة في تلك الدراسة، تُستخدم علامات التشكيل الكاملة في القائمة التي تضم أسماء المراجع. وعدا المراجع، فقد تمَّ حذف علامات التشكيل تلك.

وعلى الجانب الآخر، فقد تُركت الأسماء التي تُستخدم على نطاق واسع، مثل: مكة، والمدينة، والحجاز، والسعودية، في أشكالها الإنكليزية

المألوفة(*). وفي الوقت ذاته، فقد تمَّ اختزال الكلمات التي تُستخدم بكثرة مثل «بني» فيما يتعلق بأسماء الجماعة (بني حنيفة)، و«وادي» فيما له صلة بأسماء الوديان (وادي حنيفة) إلى الحروف الأولى منها، أي «ب.» و«و».

ويُستخدم التقويمان الهجري والميلادي للإشارة إلى الفترة الزمنية التي وقع فيها الحدث أو تاريخه، ومع ذلك، فإنَّه نظراً إلى التداخلات التي تحدث في العادة بين هذيْن التقويميْن، يُستخدم التقويم الهجري فقط، في بعض الأوقات.

(*) هذه الفقرة والفقرتان السابقتان تتضمن ملاحظات لها علاقة بالنسخة الإنكليزية (المترجمة).

مقدمة

في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (نحو منتصف القرن الثامن عشر الميلادي)، ظهرت حركة دينية في الدَرعيّة، بلدة صغيرة في نَجْد في وسط الجزيرة العربية، وتأسَّست تلك الحركة على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو أحد العلماء (العلماء الدينيون) في هذا البلد، وقد كان مدعوماً، سياسياً وعسكرياً، من قِبَل محمد بن سعود أمير الدرعية. وقد امتدت تلك الحركة الدينية ـ السياسية بقوة إلى أنحاء أخرى من نَجْد. وقبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري (عام ١٧٨٥م)، سيطرت تلك الحركة على عموم نَجْد. وقبل وفاة زعيمها السياسي الثالث سعود بن عبد العزيز في عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، أضحت تلك الحركة هي المسيطرة على معظم ربوع الجزيرة العربية، باستثناء اليمن وعُمان.

ولقد أطلق أتباع تلك الحركة على أنفسهم اسم «المسلمين»، و«الموحّدين»، فلقد رأى هؤلاء أنفسهم متمسكين بعقيدة وممارسات المسلمين الأوائل (السلفيون)، ومن ثَمَّ أطلقوا على تلك الحركة اسم «السلفية». ومع ذلك، فقد عُرِف هؤلاء خارج نجد وفي الغرب بالوهابيين، وسُمِّيت حركتهم بالوهابية (الدعوة الوهابية) باسم مؤسسها. وتنادي الحركة الوهابية بعودة المسلمين إلى النقاء والتعاليم الأصلية للقرآن الكريم والسنَّة النبويّة المطهّرة، وتطهير معتقدات المسلمين الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وممارساتهم الدينية من البدع (الحدث في الدين والانحراف) التي تراكمت ممارستها على مدار قرون، وتمَّ إقحامها في تعاليم الإسلام الأساسية والأصلية.

لقد تمخَّضت الحركة الوهابية عن دولة كبيرة، وسلطة مركزية نجحت في

توحيد الجزيرة العربية وفرض السلام والنظام على القبائل البدوية وأهلها المستقرين فيها، وذلك للمرة الأولى منذ عهد الخلفاء الأوائل. وإضافة إلى ذلك، فقد أسهمت هذه الحركة أيضاً في تحقيق إصلاحات دينية أثّرت بدورها في ممارسات أهل الجزيرة العربية الدينية والاجتماعية، كما أنها ألهمت فكر إصلاحيين مسلمين وناشطين عديدين من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وأثّرت فيه.

لم تكن نجد قبل الوهابية مركزاً للتعلّم الديني، كما أنّه لم يكن موجوداً فيها عواصم، أو مجتمعات حضرية كبيرة قد كان من المتوقّع أن تنتج كهذه الحركة. إن تاريخ نجد قبل الوهابية لم يخضع للدراسة[١]، ومن المحتمل أن يكون الباحثون قد أغفلوا تلك المسألة، نظراً إلى ندرة المصادر المتاحة[٢]. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الدراسات القليلة التي اقتصرت على تناول الشيخ محمّد بن عبد الوهاب وحركته التي أنشأها قد خصّصت فقرات تقديمية مختصرة حول الظروف السياسية والدينية التي كانت سائدة في نَجْد حين بدأ الشيخ دعوته[٣]. ولم تشمل أيّ من تلك الدراسات محاولة واحدة لتحرّي العلاقة بين الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية للمجتمع في نَجْد، من فترة ما قبل الوهابية إلى الحركة الدعوية التي ظهرت بين ظهرانيها، وبين المدى الذي أسهمت من خلاله تلك الظروف في ظهور هذه الحركة.

---

(١) إن الكاتب يحيط علماً فقط بالمقالتين اللتين كتبتا في الموضوع نفسه، الأولى لـ: عبد الله الصالح العثيمين، «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمّد بن عبد الوهاب،» مجلة الدارة: السنة ٤، العدد ٣ (١٩٧٥)؛ السنة ٣ (١٩٧٧)، والسنوات ١ ـ ٣ (١٩٧٨)، ومنصور الرشيد، «قضاة نجد أثناء العهد السعودي،» مجلة الدارة: السنة ٢، العدد ٤ (١٩٧٨)، والسنة ١ (١٩٧٩). وتقدّم كلتا المقالتين دراسة مسحية عامّة للظروف الدينية وكذلك السياسية التي كانت سائدة في نَجْد، خلال الفترة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية، لكنهما لم تبحثا في العلاقة بينها وبين تلك الظروف، وقد استُخدِمَت كلتا المقالتين في هذه الدراسة.

(٢) انظر «ملاحظة حول المصادر» لاحقاً في هذه المقدمة.

(٣) إن الدراسات التي يحيط الكاتب بها علماً هي: عبد الله الصالح العثيمين، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره** (الرياض: دار العلوم، [د. ت.]). انظر أيضاً:

Hani Y. Nasri, "Ibn al-Wahhab's Philosophy of Society: An Alternative to the Tribal Mentality," (Unpublished Ph. Dissertation, Fordham University, 1979), and George S. Rentz, "Muhammad ibn'Abd al-Wahhab (1703/1704-1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia," (Unpublished Ph. Dissertation in History, University of California, Berkeley, 1948).

إنَّها قناعتنا أنَّ نشأة الحركة الوهابية في نَجْد لم تحدث بمحض الصدفة، فقد أشارت دراسة دقيقة وشاملة حول المجتمع في نجد إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة، بوضوح، إلى تطورات مدهشة في مناطق تحركات الهجرة البدوية والاستيطان، ونمو عدد السكان المستقرين، والهجرة وإعادة الاستيطان، ونمو التعلّم الديني. وقد تضافرت هذه التطورات كلها من أجل خلق مجتمع نَجْدي جديد بحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، مجتمع لديه آفاق جديدة وتطلّعات. لقد كان الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب ثمرة ذلك المجتمع الجديد، وزبدة ذلك النمو الكبير الذي شهده التعلّم الديني. تفوّق ابن عبد الوهاب على العلماء المعاصرين له، وذلك بفضل إدراكه وتصوّره العميقين للظروف والمشكلات التي كان يعانيها قومه، وأحكامه الدقيقة، وتصميمه الكبير على حلٍّ تلك المشكلات.

هذا الكتاب هو دراسة للظروف الاجتماعية والدينية والسياسية في نجد، إبّان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية. وبالإضافة إلى ذلك، إنه محاولة لفهم البيئة والظروف التي نمت فيها هذه الحركة، وتحديد مدى إسهام تلك الظروف في ظهورها. وعلى الرغم من ذلك، فهو ليس دراسة تتناول الحركة الوهابية في حدِّ ذاتها. إن النتائج التي تمخَّضت عنها تلك الدراسة فيما يتعلق بالحركة لا تُعد بأيِّ حال من الأحوال هي النتائج الممكنة الوحيدة. وعلى ذلك، فسوف تركِّز تلك الدراسة على المناطق الوسطى من نَجْد التي تعود إلى إقليم اليمامة القديم. وفي أقصى الجزء الشمالي من نَجْد، يقع جبل شمر(*) بالإضافة إلى أقصى الجزء الجنوبي منها، والمتمثِّل في وادي الدواسر، وسوف تتم الإشارة إليهما فقط متى تطلّبت الضرورة ذلك، علماً بأنَّ المعلومات حول هاتيْن المنطقتيْن ناقصة في المصادر.

(*) جبل شمر منطقة جبلية في شمال غرب السعودية، يحدُّها الحجاز من الغرب، والمنطقة الشرقية من الشرق. يميِّز المنطقة جبلان هما جبل أجا وجبل سلمى، وبينهما تقع جبال رمان الأحمر، ورمان الأسمر، وجميعها تُسمَّى جبال شمر، وإلى الشمال تقع صحراء النفود (المترجمة).

ومن هنا، سوف يتمّ التحقيق في ثلاث ظواهر بارزة بهدف إظهار التغيرات التي مرَّ بها المجتمع النجْدي في فترة ما قبل الوهابية:

١ ـ هجرة عدد من جماعات القبائل الرحّل إلى نجْد من الغرب والجنوب الغربي، والضغط الذي مارسته تلك الجماعات على جماعات الرحّل القديمة فيها، وكذلك على السكان المستقرين. وقد أسفرت تلك الهجرة عن زيادة في سكان نجد الرحّل، وكذلك هجرة بعض تلك القبائل الرحل منها إلى سوريا والعراق. وتجدر الإشارة إلى أن استيطان عدد من الجماعات الرُحّل سوف يتم بحثه وتناوله أيضاً (الفصل الثالث).

٢ ـ سوف تتمّ مناقشة قضايا نمو السكان المستقرين، وهجرة عدد من الجماعات المستقرة إلى مناطق ذات كثافة سكانية أقل، وتأسيسها لمستوطنات جديدة، وتمَّ ذكرها في بداية منتصف القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي. وسوف تُجرى تلك المناقشة التي ترتكز على تحليل للسمات الاجتماعية، وتلك المتعلّقة باستغلال الأراضي في نَجْد، بهدف البحث في أسباب تلك الهجرات، وإعادة الاستيطان. وإضافة إلى ذلك، فسوف يتم اعتبار نمو بعض البلدات النجْدية، وكذلك هجرة الناس إلى شرقي الجزيرة العربية، وجنوبي العراق على أنَّها مؤشر إضافي لنمو عدد سكان نَجْد (الفصل الرابع).

٣ ـ سوف يتم تحرّي نمو التعلّم الديني في نَجْد والبحث في أسبابه إبان الفترة الممتدة من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الهجريين/ السادس عشر إلى الثامن عشر الميلاديين. وبغرض برهنة مدى هذا النمو وتأثيره في أهل نَجْد، سوف يتم تتبع الزيادة في عدد «العلماء»، وكذلك انتشارهم وتوزيعهم الجغرافي (الفصل الخامس).

وعلى ذلك، سوف يبحث الفصل الأخير في الظروف السياسية والاجتماعية والدينية في نَجْد في القرنين اللذين سبقا الحركة الوهابية، ولا سيما خلال آخر نصف قرن من تلك الفترة. وسوف يقوم هذا الفصل بالبحث في السلطة التي يتمتع بها أشراف مكة، بالإضافة إلى رؤساء الأحساء، وتأثيرات سلطتهم السياسية في البلاد. وفي الوقت ذاته، سيقوم ذلك الفصل

باستكشاف العلاقات بين أهل بلدات نجد، وبين البلدات المختلفة والمستوطنات، وكذلك بين الأشخاص البدو والآخرين المستوطنين. وفضلاً عن ذلك، سوف تؤخذ في الاعتبار قضية ظهور عدد من القوى السياسية والإقليمية في نجد إبان النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي؛ ناهيك باستكشاف الظروف الدينية السائدة في أوساط الرحّل والمستقرين. وسوف ينتهي الفصل بظهور الحركة الوهابية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وعلاقتها بالظروف الاجتماعية والسياسية والدينية التي سادت في نَجْد إبان القرنين الماضيين.

جدير بالذكر أنَّ محتوى تلك الدراسة البحثية الأساس سيكون مسبوقاً بفصلين يحتويان على خلفيات خاصة بالدراسة، ويبحث الفصل **الأول** في موقع نَجْد الجغرافي وظروفها البيئية. لقد كان موقع نَجْد الجغرافي هو العامل الحاسم في تقسيم سكانها الاقتصادي والاجتماعي إلى رحّل ومستقرين، في حين كان للظروف البيئية الكلمة العليا في تحديد مستوى الرفاهية أو الفقر لسكان نَجْد. أما الفصل **الثاني** فيعطي مسحاً تاريخياً لنَجْد منذ بزوغ الإسلام حتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، حيث يقوم هذا الفصل بتتبع تطور السكان المستقرين، راصداً تحركات جماعات القبائل الرحل في أثناء تلك الفترة، ومقترحاً في ذلك بعض الأسباب التي تفسّر تراجع الاستقرار في نجد إبان النصف الثاني من تلك الفترة.

إنَّ تلك الدراسة تعطي كماً كبيراً من التفاصيل وعدداً ضخماً من الأماكن، والجماعات، وأسماء الأشخاص والمصطلحات، ولا سيما عندما يتمّ تعقب وتتبّع هجرة القبائل الرحّل، وحركة الجماعات المستقرة وإعادة استيطانها. إنَّنا نعتقد في أنَّ هذا المستوى من التفاصيل ضروري للفهم الشامل لجوانب الموضوع المختلفة، وذلك لسببين: **أولهما** يكمن في أنه من الضروري التوسّع في النتائج والاكتشافات التي تمخّضت عنها تلك الدراسة، **وثانيهما** هو أنه نظراً إلى عدم وجود دراسات تفصيلية تدور حول ذلك الموضوع، وأن المعلومات توجد فقط في المصادر الأصلية والدراسات التي تقوم على التسلسل الزمني، فإن الكثير منها لا تزال مجرد مخطوطات.

ونظراً إلى غياب الدراسات القائمة التي تتناول تلك المسألة، فإنه من الملائم أن نبدأ ببيان المصادر المستخدمة هنا. وإضافة إلى ذلك، فإنه إلى جانب وظيفته في توثيق المصادر المستخدمة في هذا الكتاب، سوف يقوم هذا البيان أيضاً بمساعدة الطلاب الراغبين في دراسة هذا الموضوع في المستقبل.

ملاحظة حول المصادر

إن دراسة تاريخ نَجْد قبل الوهابية مسألة صعبة جداً، عند مقارنتها بأجزاء أخرى من الجزيرة العربية إبان الفترة نفسها. ولعلّ السبب في تلك الصعوبة يُعزى بصورة رئيسة إلى النقص الحادّ في مصادر المعلومات التي تتناول تلك المسألة، فالمعلومات المتاحة حول نَجْد محدودة للغاية، سواء تلك المتوخاة في التدوينات التاريخية المحلية أو في كتب التاريخ العامة وتلك الخاصّة بالتسلسل الزمني التاريخي للأحداث.

ويشار إلى أن كتابة التاريخ كانت مزدهرة دائماً بين الحَضَر، وكذلك في الدول التي فيها سلالات حاكمة عريقة وحكومات، وربما يُعزى ذلك إلى السبب الواضح الذي يكمن في أنّ السلالات الحاكمة والحكّام هم فقط الذين استرعوا اهتمام المؤرّخين. وإضافة إلى ذلك، فإن تعلّم التاريخ وكتابته كانا يُمارَسان بصورة رئيسة من جانب الحَضَر. إنَّ نَجْد قبل الوهابية قد حُرِمَت بالكلية من هذين الشيئيْن، فلم تكن مقراً لسلالة حاكمة، كما أنها لم تكن في الوقت ذاته مركزاً للتعلّم. ونتيجة لذلك، فقد كان إنتاجها للسجلّات التاريخية محدوداً.

ومن القرن الثالث الهجري/القرن التاسع الميلادي، أُهْمِلَت نَجْد من جانب الخلافة العباسية التي كان مقرُّها في بغداد، وتمَّ عزلها عن الحياة السياسية والثقافية والإسلامية العامة. وعلى هذا الأساس، فقد تمَّ جمع المعلومات التي تدور حولها في الأعمال التاريخية الإسلامية والجغرافية الاعتيادية من جانب المؤرخين الأوائل، وكذلك علماء الجغرافيا، وتمَّ تكرارها منذ ذلك الحين. لقد مرَّ عدد من الرحالة والحجيج بِنَجْد، لكن رحلاتهم الشاقّة والمملّة أحياناً قد أتاحت لهم أن يدوّنوا ملاحظات

محدودة فقط(*).

لقد كانت نَجْد في عصر ما قبل الوهابية معزولة وبعيدة كل البعد عن المراكز الثقافية، فقد كان اتصالها وتواصلها مع البلدان المجاورة مثل: الحجاز، وسوريا، والعراق، محدوداً للغاية بسبب صعوبة التنقّل والسفر. ووفقاً لذلك، كان على الطلاب الذين يدرسون تاريخ نَجْد ما قبل الوهابيين أن يجمعوا أجزاء من المعلومات من مصادر كثيرة ومختلفة تشتمل على بيانات محلية وبدائية، ودراسات تاريخية ذات تسلسل زمني للأحداث كُتِبت خلال فترة الدعوة الوهّابية، والأعمال التاريخية من المناطق المجاورة، ومصادر من طبيعة مختلفة، كُتبت خارج الجزيرة العربية.

مصادر محليّة قبل الوهابية

لدراسة تاريخ أيّ منطقة، فإن أفضل المصادر التي يمكن الاعتماد عليها هي المصادر ذات الأصول المحليّة. لقد بدأ نمو التعلّم يلوح في الأفق بدءاً من القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي فصاعداً[1]؛ فقد كان علماء نَجْد الأوائل الذين يمكن تذكّرهم من جانب نظرائهم من أهل

(*) ولعلّ من أهم أسباب الغموض الذي يحيط بتاريخ نَجْد قبل ظهور الحركة الوهابية هو: (١) ما عمله الأخيضريون والقرامطة في نَجْد سبّب خروج كثير من القبائل منها؛ إذ حدثت حالات أشبه ما تكون بالتهجير لبعض القبائل؛ وذلك لأنه قبل وجود القرامطة كانت القبائل النّجْدية هي القبائل القديمة المعروفة. وبعد انكسار القرامطة سنة ٤٧٠هـ، وجدنا أسماء أخرى وتكوينات أخرى لبعض القبائل والتحالفات، حصول هذا الأمر سبّب ضياع كثير مما كتب عن نَجْد، ناهيك عن الوثائق. (٢) بعد تلك الفترة، مرَّ على نجد وقت لم تكن فيه بحالة استقرار كاملة، وكانت تعاني من تموّجات قبلية، وخروج لبعض العشائر، بالنظر إلى أنه عند غياب الاستقرار تضيع، عادة، الكثير من الوثائق والكتب والسجلّات؛ ولذلك وُجِدَت وثائقُ وكتبُ أصحابُها نجديّون في العراق والشام وغيرها، بسبب خروج أصحاب تلك الوثائق من نجْد، واستقرارهم في أماكن أخرى، وأقصد بتلك الفترة: القرون السابع والثامن والتاسع والعاشر تقريباً. (٣) لم يكن هناك أهمية سياسية لنَجْد، ممّا جعل الدول الكبرى في تلك الفترات لا تسعى للسيطرة عليها، وإقامة حضارة فيها ومدن. (٤) ولعلَّ فترة الاستقرار الحقيقية في نَجْد كانت قريبة من زمن الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب ـ ﷺ ـ ودعوته السلفية، فبعد ذلك كثُر القضاة والعلماء في البلدان. هذا، ولم تتأسس قرى كثيرة أو تتجدَّد إلا في تلك الأزمان (بعد سنة ١٠٠هـ)، ولذلك نجِد أن الوثائق حالياً لا تكاد تبعُد عن تلك الأزمان إلا في النادر. (٥) حدوث بعض الأمور السياسية التي أسهمت في إخفاء بعض الأوراق، أو تسبَّبت في ضياعها، إما لكون أصحاب تلك الأوراق مرّوا بإشكاليات مع حكامهم في ذلك الوقت، أو غير ذلك (المترجمة). انظر:
<https://libral.org/vb/showthread.php?t=15567>.

(١) تتمّ مناقشة موضوع نموّ التعلّم بصورة مفصّلة في قسم آخر من هذه الدراسة.

بلدهم هم هؤلاء الذين نشطوا في القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي. ولقد استمرّ التعلّم في التطوّر على مدار القرنيْن التالييْن. ومع تقدّم التعلّم، نشأت القدرة والرغبة في تحويل المعلومات التاريخية إلى سجلّات؛ ففي القرنيْن الحادي عشر والثاني عشر الهجرييْن/السابع عشر والثامن عشر الميلادييْن، قام عدد من علماء نَجْد بتسجيل ما رأوه أحداثاً مهمة وقعت في بلدهم. وقد كُتبت أولى تلك التدونيات ـ التي بقيتِ ـ من قِبل «العالم والقاضي» أحمد بن محمَّد بن بسام (ت. ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)[٢]، فقد كان تدوينه هو الوحيد الذي نعرفه من القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي. وقد أنتج القرن الثاني عشر الهجري/القرن الثامن عشر الميلادي عدة «تدوينات تاريخية للأحداث» كتبها علماء نجديون وقضاة. ولقد حصل مؤلف هذا الكتاب على نسخة مصورة من المخطوطة التي تضمّ أربع وثائق، وقد استُخدِمَت هنا. وتجدر الإشارة إلى أنَّ تلك التدوينات قد تمَّ جمعها ونسخها في مجلد واحد بواسطة الشيخ «عثمان بن منصور» الذي أضاف إليها تدوينه الخاص. هذا، ولا تُعَدّ المخطوطة ذاتها مؤرّخة[٣]، وهي مرفقة مع نسخة من الكتاب التاريخي الشهير لابن بشر **عنوان المجد**[٤]. ولد الشيخ عثمان بن منصور في منطقة الوشم في بداية القرن الثالث عشر الهجري (١٧٨٨م)، وتوفّي في عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م. وقد كان الشيخ عثمان بن منصور عالماً وقاضياً بارزاً، كما أنه كان شيخ ابن بشر المشهور[٥].

لقد ادّعى ابن منصور أنه قد قام بنسخ أربعة تدوينات من المسوّدات

---

(٢) هذا المصدر ليس متاحاً للمؤلف، وكغيره من كثير من المصادر الأصلية التي تتناول تاريخ نَجْد، فإنَّ المخطوطة الخاصة بتدوين ابن بسام مملوكة ملكية خاصة، كما أنَّه لم يتمّ عرضها أو إظهارها علانية. وفي الوقت ذاته، ترد الإشارة إلى تدوين ابن بسام في مقالة تتناول المؤرخين النجديين. انظر: حمد الجاسر، «مؤرخو نَجْد من أهلها،» **العرب**، السنة ٥، العدد ٩ (١٩٧١)، ص٧٨٨ ـ ٧٨٩.

(٣) يدين المؤلف بالفضل إلى الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل من جامعة الملك الإمام محمد بن سعود في العاصمة السعودية الرياض، الذي زوده، لطفاً منه، بنسخة مصوّرة من تلك المخطوطة فضلاً عن مواد أخرى.

(٤) انظر لاحقاً للحصول على مزيد من المعلومات حول هذا المصدر.

(٥) انظر ترجمة عثمان بن منصور في: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ٣ ج (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨)، ج ٣، ص٦٩٣ ـ ٦٩٩؛ وانظر أيضاً حول هذا المصدر الهامش الرقم (٢٧) أدناه.

الأصلية المكتوبة بخط يد مؤلّفيها أنفسهم. وبيَّن ابن منصور أيضاً أنَّ تلك التدوينات التاريخية الأربعة كانت ذيولاً ـ ملحقات ـ لتدوين تاريخي سابق، وقد كان ثلاثة منها على وجه التحديد ذيولاً ـ ملحقات ـ لتدوين أحمد ابن بسام. ومع ذلك، إن المعلومات الموجودة في تلك الذيول ـ الملحقات حول الفترة التي تسبق العام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م الذي توفي فيه ابن بسام، محدودة، وليس واضحاً ما إذا كانت تلك المعلومات المحدودة تعكس تدوينه، أو أنها مجرد مختارات منه. وتُظْهِر مقارنة النصوص الخاصة بالفترة التي تسبق العام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م في التدوينات التاريخية المختلفة اختلافاً في صياغة النصوص، ومن ثَم في المعلومات التي تقدّمها. ومن ناحية أخرى، يصرّ ابن منصور على أنَّ نسخته تُعدّ طبعة دقيقة من لغة النسخ الأصلية وكلماتها، وتمتلئ المخطوطة التي تحتوي على التدوينات الخمسة، والتي يبدو أنها قد نُسخَت من قبل ناسخ واحد، بالأخطاء الإملائية والنحوية؛ فقد استُخدمت فيها اللهجة المحلية النَّجْدية على نطاق واسع. وقد كانت هناك غالباً بعض الكلمات والتواريخ مفقودة أو غير واضحة. و«التدوينات التاريخية للأحداث» التي تشتمل عليها تلك المخطوطة، والمرتبة ترتيباً زمنياً، هي:

١ ـ تاريخ المنقور لـ «أحمد بن محمَّد المنقور»، (ت. ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)[٦]، يقوم بسرد الأحداث والوقائع التي حدثت خلال الفترة التي تخلّلت أعوام ١٠١١ ـ ١١٠١هـ/ ١٦٠٢ ـ ١٦٨٩م[٧].

(٦) إن تدوينات فترة ما قبل الدعوة الوهابية بالإضافة إلى عدد من أعمال فترة الدعوة الوهابية لا تحمل أية عناوين. ومع ذلك، فإن تلك الأعمال تعرف بأسماء مؤلفيها. وأما إذا عُنْوِنَت من قبل مؤلفيها أو جهات نشرها (إذا كانت قد نُشِرت)، فعندئذ سوف يتم الإشارة إليها في هذه الدراسة بكلمة «تاريخ»، (تدوين تاريخي) وفقاً لاسم مؤلفها الخاص؛ على سبيل المثال: **تاريخ المنقور**. إن الرجوع إلى تلك التدوينات التاريخية المتضمنة في مخطوطة ابن منصور ستكون بالإشارة إلى اسم المؤلف، يليه إشارة إلى المخطوطة ورقم الورقات؛ على سبيل المثال: المنقور (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم #.

(٧) نسخة أخرى من هذا التدوين التاريخي، حُرِّرَت ونُشِرَت في عام ١٩٧٠، استُخدمت أيضاً في هذه الدراسة. وتقوم تلك النسخة على مخطوطتين مختلفتين واللتين تختلفان بصورة طفيفة عن المخطوطة التي ورد ذكرها أعلاه. وتتضمن إحدى هاتين المخطوطتين الأحداث التي وقعت خلال الفترة ما بين ١٠٤٧ ـ ١١١٢هـ/ ١٦٣٧ ـ ١٧٠٠م. انظر: أحمد بن محمد المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، تحرير عبد العزيز الخويطر (الرياض: [د. ن.]، ١٩٧٠).

٢ ـ تاريخ ابن ربيعة لـ«محمَّد بن ربيعة العوسجي»، (ت. ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، يقوم بسرد الأحداث والوقائع التي حدثت خلال الفترة التي تخلَّلت أعوام ٩٤٨ ـ ١١٤٨هـ/ ١٥٤١ ـ ١٧٣٥م.

٣ ـ تاريخ ابن يوسف لـ«محمَّد بن يوسف الأشيقري»، الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي: يسجّل الأحداث والوقائع التي حدثت خلال الفترة التي تخلَّلت أعوام ٩٤٨ ـ ١١٧٣هـ/ ١٥٤١ ـ ١٧٥٩م[٨].

٤ ـ تاريخ ابن عباد لـ«محمَّد بن عباد الدوسري»، (ت. ١١٧٥هـ/ ١٧٦١): يسجّل الأحداث والوقائع التي حدثت خلال الفترة التي تخلَّلت أعوام ١٠١١ ـ ١١٧٥هـ/ ١٦٠٢ ـ ١٧٦١م.

٥ ـ تاريخ ابن منصور لـ«عثمان بن منصور الناصري»، (ت. ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م): يسجّل الأحداث والوقائع التي حدثت خلال القرنين التاسع والثاني عشر الهجريْين/ الخامس عشر والثامن عشر الميلاديْين.

وكما ذُكر سلفاً، فإن ابن منصور هو من قام بنسخ المخطوطة التي تحتوي على تلك التدوينات، والتي أُضيف إليها تدوينه الخاص. ويذكر ابن منصور أنه قام بجمع معلوماته من عدد من التدوينات التاريخية في نَجْد، لكنه لم يحدِّد أسماءها، علماً بأنَّ تدوينه كان مختصراً، ولم يكن مرتباً على النحو المطلوب. على صعيد متصل، فإنَّ بعض الحوادث ـ مثل القحط ووفاة العلماء ـ التي أشير إليها في التدوينات الأخرى، يتمّ التوسّع في مناقشتها هنا. ومع ذلك، فإن الميزة الحقيقيّة لذلك السجلّ الخاص من الأحداث هي أنه يمدّنا متفرقات من المعلومات، على سبيل المثال، حول تأسيس البلدتَيْن الرئيستين في نَجْد، وهما: العيينة، والدرعيّة التي لن نجدها في تدوينات ما قبل الدعوة الوهابية. وإضافة إلى ذلك، يدوّن هذا السجل أيضاً أحداثاً معيّنة وقعت في وقت لاحق من القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي، وهي الأحداث التي لم تتم تغطيتها أو ذكرها في التدوينات القديمة.

---

(٨) تواريخ الميلاد والوفاة لهذا المؤلف ليست معلومة بالنسبة إلينا، لكنَّنا نستنتج من تدوينه التاريخي الذي يسجّل الأحداث حتى عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، أنّه قد وافته المنية على الأرجح بعد ذلك بفترة وجيزة.

كان ابن منصور معاصراً للقوة التصاعدية للوهابيين، لكنه لم يتحدَّث مطلقاً في ذلك الأمر[٩]، ومن ناحية أخرى، فقد اختتم ابن منصور تاريخه بفقرة حول نسب عشيرة المُرَدة[*] (أسلاف آل سعود) متناولاً في حديثه المكان الذين نشؤوا فيه، وكيف قدموا إلى وادي حنيفة[**]؛ حيث أسَّسوا فيه بلدة الدرعيّة، وتوسعهم وتكاثرهم هناك. لقد تناول عددٌ من المصادر هذه القضية، لكن ابن منصور هو أول تلك المصادر المتاحة لهذه الدراسة، فقد اختتم فقرته بقوله: «هذا الذي يُقال اليوم»[١٠].

كانت كتابة السجلّات التاريخية خلال فترة ما قبل الوهابية صعبة وبدائية. كل التدوينات التاريخية الموجودة مختصرة وغامضة، وغير متّسقة من حيث التسلسل الزمني، كما كانت اللهجة المحلية تُستخدم من حين إلى آخر فيها. وفي تقديرنا، لا تستحق أن يطلق عليها «تواريخ حقيقية»، فهي مجرّد سجلّات، أو تدوينات أحداث مؤرّخة حدثت في نَجْد إبّان تلك الفترة، فهي تمثّل بداية نشوء الكتابة التاريخيّة في تلك المنطقة الخاصة.

وقد كان أحمد بن بسام هو رائد مؤرخي نَجْد. وتوضح المواد التي تمَّ جمعها حول تدوينه أنَّه قصير جدّاً، ويُعدّ مصدراً محدوداً للمعلومات. وقد اقتفى المؤرخون في القرن الثاني عشر الهجري/القرن الثامن عشر الميلادي أثره، لكنّ معلوماتهم كانت أكثر اتساقاً وغزارة. وقد كان المنقور هو أول هؤلاء المؤرخين، وتدوينه التاريخي أقصر وأقل غزارة من الناحية المعلوماتية إذا ما قورن بتدوينَي ابن ربيعة، وابن عبّاد اللذين قَدِما بعده.

إن هذه التدوينات ما هي إلا تدوينات تاريخية للأحداث التي وقعت في نَجْد قبل الوهابيين؛ إذ إنها تسجل وقائع وأحداثاً مثل: تأسيس البلدات

---

(٩) انظر سابقاً إلى الفترة التي عاش خلالها.

(*) هم العشيرة التي تفرَّع منها آل سعود، الأسرة الحاكمة في السعودية. وقد قدم المُردة بزعامة مانع بن ربيعة المريدي إلى العارض في نَجْد سنة ١٤٤٦م (٨٥٠هـ) من منطقة الأحساء والقطيف (المترجمة).

(**) وادٍ في منطقة العارض في نجد وسط المملكة العربية السعودية، منطقة الرياض حالياً، وعلى ضفافه استوطنت منذ القدم قبائل متحضرة عملت بالزراعة والتجارة، وبعض الحرف اليدوية الأخرى، ويمتد مسافة ١٢٠ كلم في وسط نَجْد من الشمال الغربي إلى الجنوب، مائلاً قليلاً إلى الشرق (المترجمة).

(١٠) ابن منصور (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٣٠.

وإعادة بنائها، والغارات، والصراعات، ووفاة الشخصيات البارزة، وبعض من الوقائع المتعلّقة بالأوبئة، ومواسم القحط، وسقوط الأمطار، والطقس. وهي تدوِّن تحت كل عام عدداً من الأحداث التي وقعت خلال هذا العام، ويبدو أن مؤلفيها قد اعتمدوا على التقاليد المحلية، التي احتفظ بها كبار السنّ في العشائر والبلدات، في المعلومات حول الأحداث التي وقعت قبل الفترة التي عاشوا فيها. ولم يقل أي من المؤرخين الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي إنه قد رجع إلى تدوين مؤرّخ آخر. ومع ذلك، وكما هو مبيّن أعلاه، فإن أكثر هذه التدوينات كانت ذيولاً لتدوين ابن بسام، ويقرّ المنقور على وجه الخصوص باستعانته بهذا التدوين. ومن ناحية أخرى، فقد تمَّ تغطية الأحداث التي وقعت خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي على أفضل وجه في تلك التدوينات، وتعدّ تلك الخاصّة منها بهذا القرن هي أكثر ما يمكن الوثوق بها منذ أن قام المعاصرون بكتابتها[١١]، وهي تعطي معلومات محدودة جداً حول القرون التاسع ـ العاشر الهجري/الخامس عشر ـ السادس عشر الميلادي. وفي الحقيقة، تذكر تلك السجلّات جزءاً من المعلومات فقط عن كل قرن[١٢]. وإضافة إلى ذلك، فقد تمَّ تدوين الأحداث التي وقعت خلال القرنين التاليَيْن بدرجة أفضل بكثير، كما أن مستوى السرد يشهد تحسّناً كلّما اقتربنا من فترة الدعوة الوهابية، على الرغم من إمكانية مرور عدد من السنوات التي قد تصل أحياناً لعقد كامل، من دون أن يُذكر فيها حدث واحد.

ونظراً إلى أن الفترة الزمنية، وكذلك المنطقة العامة التي كُتبت عنها تلك التدوينات هما نفساهما، فإن المعلومات التي ذكرت حولهما لا تتّسم بالتنوّع الكبير. فأسلوب تلك التدوينات ونهجها في تدوين الأحداث التاريخية متشابه، فهو يتّسم بالإيجاز والكلام الغامض الذي عادة ما يُوضع في صيغة المبني للمجهول. ولعلّ السبب الظاهر وراء ذلك يكمن في أنّ هذه التدوينات كُتبت من جانب الفقهاء، كما أن جزءاً كبيراً ممّا يدوّنونه يتضمّن مقتل بعض الأشخاص، وغارات، وكوارث، وقد فضَّل

---

(١١) انظر التواريخ التي مات خلالها كل مؤلف، وكذلك الفترة التي تمَّت تغطيتها من جانب كل مدونة ذكرت فيما سبق.

(١٢) ابن ربيعة وابن منصور (في مخطوطة ابن منصور)، ورقات ٥ و٢٧ ـ ٢٨.

مؤلّفوها ألا يقولوا، صراحة، رأياً عن «من قتل من»، أو «من تآمر ضدّ من».

إنَّ ميزة استخدام أكبر عدد ممكن من تلك التدوينات من الممكن أن يتم تلخيصها في نقاط ثلاث: (١) نظراً إلى أن التدوينات موجزة وغامضة، فربما يتم استخدامها بهدف تفسير معلومات بعضها بعضاً عندما تدوّن حدثاً مشتركاً بينها. (٢) عاش المؤلّفون في فترات مختلفة، ولذلك فإنّ كل واحد منهم يمكن اعتباره المختصّ المعاصر في تاريخ الفترة التي عاشها. (٣) عاش المؤلفون وكتبوا تدويناتهم في مدن مختلفة ومناطق من نَجْد، ويمكن اعتبار كل واحد منهم بمثابة المختصّ بأحداث منطقته، والتي عادة ما يُعطي حولها مزيداً من المعلومات[١٣].

فعلى سبيل المثال، كان ابن يوسف من السكان الأصليين في بلدة أشيقر[*] الواقعة في إقليم الوشم[**]. وقد أعطى ابن يوسف معلومات أكثر من المؤرخين الآخرين حول الصراعات التي كانت تنشب بين العائلات المختلفة في تلك البلدة. وإضافة إلى ذلك، فقد توسّع ابن يوسف في المعلومات حول الغارات التي تبادلتها تلك العائلات مع قرية الفرعة المجاورة إبّان العقديْن الرابع والخامس من القرن الثاني عشر الهجري، وكذلك العلاقات بين سكانها ومستوطنتهم الجديدة المِذنَب. وعلى الجانب الآخر، فقد أخبر كل من المنقور وابن ربيعة بالأحداث التي وقعت بصفة رئيسة في إقليمَيْ سدير[***] والعارض خلال العقد الأخير من القرن الحادي عشر الهجري، في حين ذكر ابن عبّاد فقط بعضاً من تلك الأحداث، ومع ذلك، لم يسجّل ابن يوسف أياً منها في القرن نفسه.

---

(١٣) ولد المنقور وتوفي في إقليم سدير، الواقع في وسط شرقي نَجْد، في حين ينتمي كل من ابن ربيعة وابن عباد إلى إقليم المحمل الواقع إلى الجنوب من إقليم سدير، بينه وبين إقليم العارض. قضى ابن عباد العشرين عاماً الأخيرة من حياته في بلدة ثرمدا الكائنة في إقليم الوشم وسط غربي نَجْد، هذا وينتمي ابن يوسف إلى الوشم.

(*) بلدة سعودية في منطقة الرياض، وهي من بلدان إقليم الوشم التاريخي التابعة لمحافظة شقرا وتسمى قديماً عِكل نسبة لقبيلة عكل من قبائل الرباب (المترجمة).

(**) إحدى الأقاليم التاريخية التي كانت تتألف منها منطقة نَجْد في المملكة العربية السعودية (المترجمة).

(***) إقليم سدير إلى الشمال من مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية (المترجمة).

حتى عندما حصل ودوّن هؤلاء المؤرّخون حدثاً مشتركاً، اختلفوا في التفاصيل التي قاموا بتقديمها، ومع ذلك، لم تمثّل تلك الاختلافات أو التناقضات أي إشكالية. بل على العكس، فقد كانت تلك الاختلافات والتناقضات ذات فائدة، ولا سيّما عندما يتعامل شخص ما مع هذا النوع من الكتابة التاريخية. وفي معظم الوقت، كانت ثمة حاجة إلى نسخة أخرى من القصة، سواء بهدف كشف الغموض، أو إضافة مقطع مهم من المعلومات يساعد في توضيح خبر لم يكن مفهوماً في ناحية ما. ولتسليط الضوء على تلك التدوينات، والمميزات والعيوب الخاصّة بهذا التنوّع، اخترنا واقعة مشتركة ليس لها خاصية إقليمية بهدف رؤية كيفية معالجتها في التورايخ المختلفة.

يذكر ابن يوسف:

«وفي سنة أربعين بعد المائة والألف نيّة الساقي على آل سعيد»[١٤].

نسخة ابن ربيعة:

«في عام ١١٤٠، وقعت هزيمة الشريف بن حبشي، وابن حلّاف [على] الخرج. ونشد مساعدة «علي»[١٥] ليستقوي به عليهم».

نسخة ابن عبّاد:

«في سنة أربعين بعد المائة والألف نوخ ابن سويط القرايا، ونوخ الشريف ابن حلاف وابن حبشي وأقاموا ثلاثين يوماً وجاءهم علي بن حميد بجردة وأخذهم كلهم، ونار من الظفير سبعون فرساً وركاب ودبش وأخذهم ابن فارس[١٦]، راعي منفوحة محمد والمناخ المذكور على الساقي...».

وتلك هي ثلاثة أخبار مختلفة لحدث واحد، معركة اشتملت على عدة أطراف. ويعطي الخبر **الأول** التاريخ فقط (١١٤٠هـ)، واسم المعركة (الساقي)، والطرف المنهزم (آل سعيد). ويضيف الخبر **الثاني** ثلاثة أطراف أخرى (الشريف، وابن حبشي، وعلي آل محمود)، ويقوم هذا الخبر

---

(١٤) ابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٣.

(١٥) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٣.

(١٦) ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٢٤.

باستبدال اسم زعيم الطرف المنهزم (ابن حلّاف) باسم قبيلته (آل سعيد). وإضافة إلى ذلك، يعطي أيضاً اسم المنطقة التي حدثت فيها المعركة (الخرج). ومع ذلك، لا يكشف هذا الخبر الطرف الفائز والآخر المنهزم في تلك المعركة، أو من تحالف مع مَن فيها. أما الخبر الثالث فيعطي مزيداً من المعلومات حول التحالف بين الأطراف المختلفة، والنتيجة، والمدّة الزمنية التي استغرقتها تلك المعركة؛ لكن لا يزال هناك ضرورة لإعطاء توضيح حول هويات بعض الأطراف المعنيّة، ومَن يحارب مع من، لذا، فإن ثمّة حاجة إلى تدوين رابع، وربما خامس من هذا النوع بهدف القيام بمثل هذه التوضيحات[١٧].

ويشار إلى أنّ المعلومات المتاحة في تلك التدوينات غير كافية، وفيها قصور إلى الحدّ الذي يسجّل معه أحياناً مؤلّفوها حدثاً واحداً فقط في العام، وفي جملة واحدة؛ فهؤلاء المؤلّفون لا يحلّلون، أو يبيّنون الأسباب والظروف التي يقع فيها حدث معين. وربما يعطي مقتطف من كتابة المنقور صورة أوضح لطبيعة التدوينات ومادتها التي ظهرت قبل الحركة الوهابية. . . فيكتب المنقور:

«وفي سنة سبعة وخمسين وألف ظهر زيد، ونزل الروضة وفعل بأهلها ما فعل. وشاخ رميزان. وقتل ماضي. وشاخ دواس بن حمد في العيينة، وقتل عمه ناصر. وفيها قتل مهنا بن جاسر آل غزي (الفضلي).

وفي سنة ثمانٍ وخمسين (وألف) قتل دواس.

وفي سنة تسع وخمسين (وألف) شاخ محمد بن أحمد في العيينة. وفي آخرها، ثامن الأضحى، مات الشيخ محمد بن إسماعيل.

وفي سنة ثلاثة وستين قتلة أهل التويم يوم الشبول»[١٨].

وتوضّح كتابات من هذه الطبيعة، ونوع المعلومات التي تعطيها، الظروف الصعبة التي يعمل تحت وطأتها دارسُ هذه الفترة.

---

(١٧) للاطلاع على مزيد من الاقتباسات والاستشهادات من المصادر الوهابية، انظر لاحقاً.

(١٨) المنقور، تاريخ الشيخ أحمد بن محمّد المنقور، ص٤٧ ـ ٤٩. انظر أيضاً: المنقور (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٥.

وعلى الرغم من الحقيقة القائلة بأن أغلب المعلومات الخاصة بالتدوينات التي ظهرت قبل الوهابية قد تمَّ نقلها وإعادة إنتاجها في مصادر ظهرت في وقت لاحق، يجب على دارسي تاريخ نجد قبل الوهابية أن ينظروا بدقة، ويدرسوا بتمعن بعضاً من تلك المصادر الأصلية على الأقل. هذا، ولا يحدِّد المؤرخون الذين جاؤوا في وقت لاحق مصادرهم عندما يقومون بربط المعلومات حول الفترة التي سبقت ظهور الدعوة الوهابية في نجد. وتجدر الإشارة إلى أن الموضع الذي تمّ فيه تسجيل إحدى المعلومات، والفترة التي كتبت خلالها ودوّنت تلك المعلومة، وكذلك الشخص الذي قام بالإخبار عن تلك المعلومة، يصنع فرقاً كبيراً في عمل المؤرّخ الحديث. وبالإضافة إلى ذلك فإن عملية مراجعة تلك التدوينات الأصلية ومقابلة بعضها ببعض يثمر نتائج قيّمة جداً.

المصادر الوهابية المحلية[١٩]

إنَّ الحركة الوهابية التي أحدثت تغييرات صارمة في عدد من جوانب حياة أهل نَجْد ومظاهرها بحلول نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، قد أسهمت أيضاً في تنمية عملية كتابة التدوينات التاريخية وتطويرها في هذه المنطقة. ولقد أصبحت الدرعية التي كانت عاصمة نَجْد في ذلك الوقت مقرّ الأسرة الحاكمة، ومركزاً تعليمياً. إنّ الحركة الوهابية، والدولة التي كانت قائمة عليها، كانت مصدر إلهام لاحترام الذات، واعتزاز الشخص ببلده، ولقيمة التاريخ المحلي بالنسبة إلى النجديين. لقد كُتبت التدوينات التاريخية الوهابية على نحو جيد، وبصورة أكثر تفصيلاً واتساقاً من حيث تسلسلها الزمني والتاريخي.

وفضلاً عن ذلك، فإن هناك شعوراً بالهدف والأهمية والالتزام، وهي القيم التي شعر بها المؤرخون الوهابيون عندما كتبوا تدويناتهم. وأحد هؤلاء المؤرّخين كان ابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ/ ١٧٩٥ ـ ١٨٧٣م)، الذي وصف الكتابات التاريخية لأسلافه بأنها غير قيّمة، وألقى باللائمة على أهل وطنه

---

(١٩) إننا نقصد بـ«المصادر الوهابية» في هذه الدراسة المصادر التاريخية النَجْدية التي تمّت كتابتها بعد سيطرة الوهابيين (السعوديين) على الإقليم.

في إغفال مهمة كتابة تاريخ بلدهم[20]. ومع الاعتراف بعدم كفاية المصادر التاريخية ودقتها، وربما أهمية الأحداث والوقائع التي جرت إبان الفترة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية، فلم يخفق المؤرّخون الوهابيون في تسجيل معلومات قيّمة حول نَجْد قبل الدعوة الوهابية في تدويناتهم. وتعود السجلّات في هذه التدوينات إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريْين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

وعلى أساس معالجتهم لتاريخ نَجْد، يمكن تقسيم المؤرخين الوهابيين إلى صنفين: **الأول** يشتمل على هؤلاء الذين يرون أن تاريخ نَجْد قبل ظهور الدعوة الوهابية غير قيِّم، أو منعدم الأهمية، وهم الذين يقومون بتكريس أعمالهم في تمجيد الحركة الوهابية وتعظيمها، وتبجيل الأسرة الحاكمة التي دعمت هذه الحركة وأحدثت وحدة بين أهل نَجْد. ومن المؤرخين الذين يندرجون تحت هذا الصنف ابن غنام، وابن بشر، ومقبل الذكير.

ولعل عمل حسين بن غنام (ت. ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) هو أكثر المصادر التي يمكن الاعتماد عليها، والوثوق بها في تاريخ الدعوة الوهابية؛ فلقد كان ابن غنام شخصية معاصرة، وشاهد عيان على أغلب الأحداث التي قام بكتابتها. وعلى عكس خلفائه، كرّس حسين بن غنام عمله الذي يحمل عنوان **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام**[21] لحياة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، وأعماله، وحركته. وفضلاً عن ذلك، فقد كان لابن غنام تعليقات موجزة حول نَجْد قبل ظهور الدعوة الوهابية فيها، لدرجة جعلته يقوم بمقارنات بين الفترة التي سبقت ظهور الدعوة الوهابية وتلك التي ظهرت فيها. وفي الوقت ذاته، فقد حافظ حسين بن غنام على كمية كبيرة من المراسلات الخاصة بالشيخ محمَّد بن عبد الوهاب مع أتباعه وخصومه، والتي ردّ فيها ابن عبد الوهاب على التساؤلات والاستفسارات، و/أو دافع فيها عن عمله الدعوي. وتعد تلك المراسلات مساعدة جداً، ونافعة عند البحث في نَجْد قبل ظهور الحركة

---

(٢٠) عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج ١، ص١٥ ـ ١٦.

(٢١) حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، حرره وحققه ناصر الدين الأسد (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦١).

الوهابية فيها، ولا سيما الظروف الدينية فيها. وما سبَّب إحباطاً كبيراً لنا هو أنَّ ابن غنام لم يدرج الخطابات التي كتبها خصوم الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب إليه، أو عنه. ولذلك، فإنَّنا لا نستطيع أن نفهم بوضوح وجهة النظر الأخرى، فقد تمَّ تجنب تلك الخطابات من قِبَل الكتَّاب الوهابيين كلهم.

وفي المقابل، تُعدّ كتابات الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب وأتباعه مساعدة جداً على دراسة نَجْد قبل ظهور الدعوة السلفية فيها. ففي خطاباتهم الشخصية، والرسائل، والفتاوى، والأجوبة (الردّ على حجج خصومه)، تعامل هؤلاء مع المشكلات الدينية والاجتماعية التي حاولوا جاهدين حلّها. وبالإضافة إلى عمل ابن غنام، توجد تلك الكتابات في عدد من المجموعات والمختارات التي تمَّ جمعها في أوقات لاحقة، مثل: الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة[٢٢]، و**مؤلفات الشيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهاب**[٢٣].

ويُعد عمل ابن بشر هو التدوين المعياري والأكثر تفصيلاً لتاريخ الوهابية (السعودية). وكما يوضّح المؤلف، فقد كتب تاريخه كي يسجّل إنجازات الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب وأسرة آل سعود[٢٤]. ويتألّف عمله من مجلّدين اثنين، يؤرّخان بتسلسل زمني لتلك الفترة (١١٥٨ ـ ١٢٦٧هـ/ ١٧٤٥ ـ ١٨٥٠م)، والأكثر مساعدة في هذه الدراسة هي المعلومات والوقائع المؤرّخة المتضمّنة في هذا التاريخ؛ أي الأحداث التي وقعت في نجد قبل ظهور الوهابيين. وبعد ربط الأحداث التي وقعت في كل عام، مضى المؤلف ليضيف إليها المحتوى الرئيس للدراسة التاريخية بواسطة عنوان صغير (سابقة) يشير إلى الأحداث التي سبقت ظهور الحركة الوهابية. ولعلَّ أوَّل تلك السوابق يعود تاريخها إلى عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م؛ ومع ذلك، فهي تُعدّ الوحيدة من نوعها التي تمَّ تدوينها في هذا القرن. لقد حافظ ابن بشر على تلك

---

(٢٢) عبد الرحمن بن قاسم، **الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية** (دمشق: المكتب الإسلامي ١٩٦٥).

(٢٣) **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب** (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، [د. ت.]). ولعل الجزء الأكثر قيمة في تلك المجموعة بالنسبة إلى هذه الدراسة هو المجلد الخامس الذي يحتوي على الخطابات والرسائل الشخصية للشيخ ابن عبد الوهاب.

(٢٤) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص١٣ ـ ١٦.

الأحداث التي وقعت قبل ظهور الدعوة الوهابية؛ كي يوضح مدى الأمن، ومستوى الرفاهية التي تمتعت بها نَجْد في ظلّ حكم الوهابيين (السعوديين) عندما يتمّ مقارنتها بالظروف التي سادت وانتشرت قبل حكمهم[٢٥].

ويظلّ تدوين مقبل الذكير (١٢٩٩ ـ ١٣٦٣هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٤م)[٢٦] في مرحلة المسوّدة التحضيرية، فالكاتب لم تُتَح له الفرصة لترتيب أو وضع عنوان لعمله؛ ولذلك كان من الصعب استخدامه. وقد كان لدى المؤلف النيَّة في أن يجعل عمله بمنزلة تاريخ «لآل سعود»؛ إذ كان يغطي المراحل الثلاث من تاريخهم، ولا سيما المرحلة الثالثة، القرن العشرين. ومع ذلك، فقد كان الاستعانة بذلك التدوين محدوداً في هذه الدراسة. ويعطي المؤلف ملاحظات حول بلدات نَجْد المختلفة التي لها علاقة بتاريخ نَجْد قبل ظهور الدعوة الوهابية. وإضافة إلى ذلك، فقد أعطى المؤلف بعض الملاحظات حول تاريخ «آل سعود» قبل تحالفهم مع ابن عبد الوهاب. ومع ذلك، فإنَّ المعلومات التي قدّمها هذا المؤلف قد ذُكرت سابقاً من قبل مؤرّخين سابقين.

أما الصنف الثاني من الرواة الوهابيين فيشتمل على هؤلاء المؤرّخين الذين تناولوا تاريخ نَجْد في كل من الفترتين، التي سبقت ظهور الدعوة الوهابية فيها وخلالها. وقد بدأ هؤلاء المؤرّخون دراساتهم التاريخية بالأحداث التي وقعت في نَجْد قبل شيوع الدعوة الوهابية فيها. وقد تمَّ تدوين الحرب والأنشطة الأولى الخاصّة بالحركة الوهابية، ولكن ليس بالتفصيل والحماسة التي روتها بها الدراسات التاريخية لابن غنام، وابن بشر. فلقد تمَّ تناول الحروب الأولى بين محمَّد بن سعود وجيرانه، مثل: الغارات الأخرى التي اعتاد رؤساء نَجْد شنّها قبل وجود الوهابيين. ويشتمل هذا الصنف على أعمال الفاخري، وابن عيسى، والبسام.

الفاخري (١١٨٦ ـ ١٢٧٧هـ/ ١٧٧٢ ـ ١٨٦٠م)[٢٧]: وكغيره من كثيرين

---

(٢٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٩ و٢٤٢. وفي الطبعة التي استخدمت في هذه الدراسة، تم تجميع السوابق ووضعها معاً في قسم واحد في نهاية التأريخ الزمني.

(٢٦) مقبل الذكير، **تاريخ الذكير** (مخطوطة حفظت في المكتبة التابعة لجامعة بغداد، تحت عنوان «تاريخ مكة»)، أرقام ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١.

(٢٧) محمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، =

من الرواة الآخرين، لم يعطِ الفاخري عنواناً لعمله. ويشتمل التدوين على سجلّات حول الأحداث التي وقعت في نَجْد ومناطق أخرى، مثل: الحجاز والعراق، خلال الفترة التي تخلّلت الأعوام ٨٥٠ ـ ١٢٨٨هـ/١٤٤٦ ـ ١٨٧١م. ولقد كُتب الجزء الذي يسجّل الأحداث والوقائع التي جرت بعد وفاة المؤلف في ١٢٧٧هـ/١٨٦٦م بواسطة ابنه. وهذا التأريخ الخاص بالترتيب الزمني للأحداث يتبع الأساليب نفسها التي اتبعتها الكتابات في نَجْد قبل ظهور الدعوة الوهابية، أي الاختصار والغموض، ولا سيما حول الأحداث التي جرت قبل القرن الثاني عشر الهجري/قبل القرن الثامن عشر الميلادي: ولعلّ الذي تتميّز به هذه التدوينات عن تدوينات ما قبل ظهور الدعوة الوهابية هي أنها تغطي فترة أطول بكثير، فضلاً عن أنها تقدّم مزيداً من المعلومات.

ابن عيسى (١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ/١٨٥٣ ـ ١٩٢٤م): كتب هذا المؤرخ عملين: **أحدهما** ذيل، أي ملحق لعمل ابن بشر. وهذا العمل قليلة الاستعانة به في هذه الدراسة؛ إذ إنه يُعد بمثابة تأريخ لفترة لاحقة. ويتّضح موضوع العمل الآخر من عنوانه الذي يترجم: «جزءاً تاريخياً من الأحداث التي وقعت في نَجْد، ووفاة الشخصيات البارزة، مع بعض الملاحظات حول أنسابهم، وتأسيس عدد من البلدان»[٢٨]. ويحتوي هذا العمل على معلومات تاريخية حول نَجْد بين أعوام ٧٠٠ ـ ١٣٤٠هـ/١٣٠٠ ـ ١٩٢١م. ويذكر المؤلف أحمد بن بسام، وأحمد المنقور كمصادر استعان بها في عمله، ومع ذلك، فإنه من الواضح أنَّه يعتمد بصورة كبيرة على سوابق ابن بشر، وتدوين الفاخري من دون ذكرهما[٢٩]. ويتّسم عمل ابن عيسى، مثل تدوين الفاخري، بأنه موجز فيما يتعلّق بالقرون الأولى؛ لكنه مكتوب بأسلوب أفضل، كما أنه يغطي فترة أطول، ويقدّم معلومات أكثر من تلك التي قدّمها

= تحت عنوان «تاريخ نجد»، رقم ٤٨. ولقد تمّ تحرير هذا التدوين حديثاً باستخدام المخطوطة نفسها فضلاً عن نسخة أخرى من قبل عبد الله بن يوسف الشبل، وقد تمَّ نشرها بواسطة جامعة الإمام محمَّد بن سعود في الرياض تحت عنوان الأخبار النجدية [د. ت.].

(٢٨) إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، قام بتحريره حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦)، ص٢٦.

(٢٩) الجاسر، «مؤرخو نَجْد من أهلها،» ص٨٨٧.

تدوين الفاخري. جديرٌ بالذكر أنَّ ابن عيسى كان أيضاً عالماً بالأنساب، وكان يقوم من حين إلى آخر بإدراج بعض الملاحظات المتعلّقة بالنَّسب في مدونته، وقد كانت هذه الملاحظات قيّمة ومفيدة في تتبّع حركة أسر نَجْد المهمة وتنقلاتها.

البسام (١٢٦٨ ـ ١٣٤٦هـ/ ١٨٥١ ـ ١٩٢٧م)[٣٠]: وكما يشير عنوانها **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق**، يتناول هذا العمل تاريخ نَجْد، والحجاز، ويقدّم بعض الملاحظات حول العراق. ويُعدّ هذا العمل هو أكثر التدوينات تفصيلاً وموضوعية على الإطلاق من قبل مؤرّخ لنجد[٣١] فهذا العمل يغطي فترة تمتد إلى نحو خمسة قرون (٨٥٠ ـ ١٣٤٣/١٤٤٦ ـ ١٩٢٤) ويروي عدداً من الأحداث والوقائع التي لم يذكرها أحد غيره، ولا سيما السجلّات الخاصة بالصراعات بين القبائل الرحّل في نَجْد إبان القرن التاسع ـ العاشر الهجري/ الخامس عشر ـ السادس عشر الميلادي. ويخبرنا المؤلف عن مصادره: أحمد بن بسام، والمنقور، وابن يوسف، وابن لعبون[٣٢]، وابن بشر. ومع ذلك، فإنَّ النسخ المتاحة من تلك التدوينات لا تسجّل صراعات بدوية كثيرة مثلما فعل هو. ويُعتقد أيضاً أنَّه قد اعتمد بصورة رئيسة على عدد من المؤرخين المكيين، بالإضافة إلى أوراق ووثائق تعود إلى المؤرخ «ابن عيسى الذي كان صديقاً لعائلة البسام في عنيزة، التي مات فيها»[٣٣].

إنَّ التدوينات الخاصة بالمؤرخين الوهابيين (السعوديين)، لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ نَجْد قبل ظهور الحركة الوهابية، وذلك لعدَّة أسباب: **أوَّلها** هو أنَّهم يعتمدون في رواياتهم حول نَجْد قبل ظهور الوهابية على مصادر وكتابات لعدد من العلماء والأشخاص المتعلّمين الذين عاشوا إبان تلك الفترة، وكانوا معاصرين للأحداث التي قاموا بكتابتها. وليست

---

(٣٠) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦).

(٣١) انظر: البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ج ٢. انظر أيضاً: الجاسر، المصدر نفسه، ص٨٨٨.

(٣٢) حول ابن لعبون، انظر لاحقاً.

(٣٣) الجاسر، المصدر نفسه، ص٨٨٩ ـ ٨٩٠.

تلك المصادر الرئيسة متاحة دائماً أمام الباحثين. وفضلاً عن ذلك، فإن المؤرخين الوهابيين (السعوديين) يستغلون عدداً من المصادر الرئيسة التي لم يُكتب لها البقاء، مثل: تدوينات راشد بن خنين (القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي)، وعبد الله بن عضيب (ت. ١١٦١هـ/١٧٤٨م)، ومحمد بن علي بن سلوم (ت. ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)، علماً بأنه قد تمَّ ذكر معظمهم، والاستشهاد بأعمالهم من جانب المؤرخين الوهابيين. ويساعد هذا المؤرخين على توضيح وتفسير، وكذلك التوسع في كثير من المعلومات الغامضة، وتلك التي تعاني نقصاً أو خللاً يُعدّ شائعاً في المصادر السابقة لظهور الحركة الوهابية. ولتوضيح تلك النقطة، يمكننا مرة أخرى أن نستعين بمثال موقعة الساقي لرؤية الكيفية التي تمَّ تناولها من قبل الرواة التاريخيين الوهابيين.

نسخة ابن بشر:

«وفي أول سنة أربعين ومائة وألف وقعة الساقي المشهورة في بلدة الخرج، وذلك أن محسن الشريف رئيس مكة من أعراب الحجاز، ومعهم عربان عنزة وعدوان وغيرهم، وقع الحرب بينهم في هذا الموضع، وبين صقر بن حلاف رئيس السعيد من آل ظفير وأتباعه ومعهم حمود بن صالح، وابن خشي ومعهم بنو حسين أشرافهم وعربانهم وأعراب العوازم وغيرهم، فحصل قتال بين هؤلاء الجموع وأقاموا على الساقي شهراً متنازلين [وظهر عليهم علي المحمد من الأحساء][٣٤]، فظهر بعسكر كثير فأخذهم وانهزم لآل ظفير سبعون فرساً وركائب وإبل، فاعترضهم محمد بن فارس رئيس بلد منفوحة فأخذهم»[٣٥].

وإذا ما قارنَّا نسخة ابن بشر بأكثر النسخ المفصّلة الخاصة بتدوينات ما قبل ظهور الوهابية التي تدور حول هذا الحدث الخاص ـ كتدوين ابن عبّاد ـ فسوف ندرك الفرق من أول نظرة؛ فقد تمَّ تحديد أطراف عديدة بوضوح في الوقت الحالي، في حين تمَّ إضافة أطراف عديدة جديدة إلى كل جماعة على

---

(٣٤) هذه الجملة مفقودة من ابن بشر، لكنها موجودة في مخطوطة الفاخري، **تاريخ الفاخري**، الورقتان ٤١ ـ ٤٢.

(٣٥) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٣٨، انظر أيضاً: الفاخري، **الأخبار النجدية**، ص١٠١.

جانبَيْ خط المعركة. ونحن نعرف الآن مَن يحارب مَن، ومَن يتحالف في تلك الحرب مع مَن. ومن دون الاستعانة بالتدوينات الوهابية، ما كان لنا أن نفهم أبداً هذا الحدث الفريد فهماً واضحاً.

مصادر النَّسَب المحلية

لدراسة نَجْد قبل ظهور الدعوة الوهابية، التي تنطوي على كشف تحركات القبائل الرحّل وتنقلها، وموقع السكان المستقرين، وهجرتهم من بلدة إلى أخرى، والصراعات المستمرة الدائرة بين البلدان، لا يكون هناك غنى عن الأعمال التي لها علاقة بدراسة النسب. فأغلبية أهل نَجْد الحضريين يُرْجِعُون أنفسهم إلى قبائل عربية معروفة. فانتماءاتهم القبلية تكون، أحياناً، عاملاً حاسماً في سياسة البلدان. ومن ثَمّ فإنَّ الأعمال التي لها علاقة بدراسة النسب تساعدنا أيضاً على استكشاف العلاقات بين أسلوبين مختلفين في الحياة بالنسبة إلى سكان نَجْد: الرحّل والمستقرين.

ولعلَّ أوَّل تلك المصادر، وربما يكون أكثرها فائدة هي المصادر الخاصة بـ«حمد بن لعبون المدلجي»، (ت. ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م). لقد كتب ابن لعبون عمله بناء على طلب ابن عمه الثري ضاحي بن عون المدلجي. فقد طلب ابن عون من قريبه أن يكتب تدويناً خاصاً بنسب عشيرتهما، المدلج، التي كان يقطن أهلها مدينتين متجاورتين في إقليم سدير، هما التويم وحرمة. وقد طلب ابن عون أيضاً من قريبه أن يقوم بجمع تاريخ قصير عن نَجْد من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ولا سيّما تاريخ آل سعود[٣٦]. وقد اختار ابن لعبون أن يعطي عملَه مقدمةً، قام فيها بمناقشة قبائل الجزيرة العربية في الماضي والحاضر. وللأسف، فقد كانت مقدمة ابن لعبون هي الوحيدة المتوفرة لهذه الدراسة، فقد استخدمت تلك المقدّمة في نسختين مختلفتين: منشورة[٣٧] ومخطوطة. وثمَّة فقرات مهمة مفقودة في

---

(٣٦) حمد بن محمد بن لعبون، تاريخ ابن لعبون، رقم ٢٢٥١ (مخطوطة وردت في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الحمدان؛ تمَّ حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الإمام محمَّد بن سعود بالرياض)، ورقة رقم ٢.

(٣٧) حمد بن محمد بن لعبون، تاريخ ابن لعبون (مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، هامش رقم (٢).

المخطوطة إذا ما قورنت بالنسخة المنشورة. ويقول البسام، الذي رأى التدوين كاملاً، أن تدوين ابن لعبون يُعد واحداً من أفضل الدراسات التاريخية حول نَجْد[٣٨].

وبناء على طلب تاجر آخر هو «جي. سي. ريتش»، وهو مندوب شركة الهند الشرقية (East India Company) في بغداد، قام شخص نَجْدي يدعى محمَّد البسام التميمي (ت. ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) بكتابة تدوين عن القبائل في الجزيرة العربية والشام والعراق خلال الفترة الزمنية التي عاصرها هو. ويذكر التميمي كل قبيلة، وكذلك عدد قواتها من الخيالة والجنود المترجّلين بأسلوب بياني متأنق متكلف في الكتابة. وكانت المعلومات التي أوردها التميمي عن كل قبيلة مختصرة وسطحية، وقليلاً ما استُخدمت في هذه الدراسة[٣٩].

وهناك أعمال أخرى حول الأنساب، يمكن أن تكون ذات فائدة في دراسة تاريخ نَجْد، مثل: المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب[٤٠]، وكنز الأنساب[٤١]. وتتناول هذه الأعمال علم الأنساب العام؛ لكن يذكر مؤلفوها في أثناء رواياتهم لتقسيم عشائر نَجْد وأسرها، والعشائر التي يعرفون أنها تنتمي إليها. ولكن تلك الأعمال تحمل تاريخاً حديثاً، ولا يمكن استخدامها بمفردها. وقد كتب ابن عيسى، نسّاب نَجْد المعروف، عدداً من الملاحظات حول أنساب قبيلة الوهبة، وبعض من فروعها، وكذلك أسر أخرى في نَجْد. وقد أدرج أيضاً بعض الوثائق حول نسب عدد من العلماء الذين ينتمون إلى تلك القبيلة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، ومعه عدد كبير من علماء نَجْد من الذين عاشوا في الفترة التي سبقت ظهور الدعوة

---

(٣٨) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١، ص٢٣٧.

(٣٩) محمد بن حمد البسام، الدرر المفاخر في أخبار العرب والأواخر (رقم المخطوطة AU-7358 والموجودة في المتحف البريطاني). تم تحرير وتحقيق تلك المخطوطة ونشرها من جانب سعود غانم العجمي في عام ١٩٨١.

(٤٠) عبد الرحمن المغيري، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب، ط ٢ (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٥).

(٤١) حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط ٨ (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١).

الوهابية، ينتمون إلى قبيلة الوهبة. وتلك الملاحظات مرفقة بعمل ابن عيسى المذكور أعلاه، كما أنها مرفقة بعمل ابن المغيري.

وثمَّة عمل آخر حول علم الأنساب ظهر مؤخراً، وهو **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**[٤٢] للمؤلف الشهير، الذي يتناول تاريخ الجزيرة العربية، حمد الجاسر. ويقوم هذا المؤلف بدراسة مسحية حول الأسر المستقرة في نَجْد، التي يرجع نسبها إلى قبائلها العربية الأصلية. ويُعدّ هذا العمل ذا فائدة كبيرة؛ نظراً إلى التفاصيل التي أوردها المؤلف حول تاريخ عشائر معينة، أو أسر معينة، والبلدان التي يقطنون فيها.

ويشار إلى أنَّ الأعمال المتعلقة بدراسة الأنساب كلها، والمتاحة لهذه الدراسة يعود تاريخها إلى الفترة التي ظهرت فيها الوهابية. وبعض من تلك الأعمال تحمل تواريخ أكثر حداثة، ومع ذلك، فإن الكثير من المعلومات المتوافرة في تلك الأعمال، مثل أعمال ابن عيسى، وابن لعبون، مبنية على الوثائق والملاحظات المكتوبة من قبل العلماء والمتخصصين في علم الأنساب الذين عاصروا فترة ما قبل ظهور الوهابية.

المصادر الشرعية

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/السابع عشر والثامن عشر الميلاديَيْن، كان هناك نمو في التعلّم في نَجْد. كان عدد العلماء يتزايد بدرجة لم تكن معروفة في نجد سابقاً؛ فكل بلدة بحسب كبرها يكون لديها فقيه، أو عدد من الفقهاء الذين يلجأ إليهم السكان طالبين منهم الأحكام الشرعية، والإرشاد الديني. وقد قام اثنان من هؤلاء الفقهاء بجمع مجامع من الأحكام الشرعية التي تتعلق بموضوعات شتى. وأحد تلك الأحكام قد تمَّ جمعه من قبل الشيخ عبد الرحمن (أبابطين) العائذي (ت. ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م)، وكان يحمل عنوان **المجموع فيما هو كثير الوقوع**[٤٣]. والعمل الآخر بعنوان **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**[٤٤]، وتم جمعه بواسطة

---

(٤٢) حمد الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ط ٢ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨١).

(٤٣) عبد الرحمن بن عبد الله أبابطين العائذي، **المجموع فيما هو كثير الوقوع** (المخطوطة رقم ٨٦/٣٣٨ في مجموعة مكتبة الرياض السعودية).

(٤٤) أحمد بن محمد المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة** (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

أحمد المنقور (ت. ١١٢٥هـ/١٧١٣م)، وهو مؤلف التاريخ السابق ذكره. وقد جمع كلا الفقيهيْن موادهما من الكتب التقليدية للقضاء الحنبلي، وكذلك من الأحكام التي أصدرها القضاة المحليون والمفتون البارزون. ويُعد المجموع الأخير أكثر فائدة ونفعاً لهذه الدراسة، وذلك نظراً إلى أنَّ معظم الاستشهاد والاقتباسات التي سُجلت فيه كان قد تمَّ جمعها من وثائق كُتبت على أيدي فقهاء من نَجْد، ولا سيما أستاذ الجامِعين عبد الله بن ذهلان (ت. ١٠٩٩هـ/١٦٧٨م). وتجدر الإشارة إلى أنَّ الفتاوى (الأحكام الشرعية) والوثائق الأخرى من هذا النوع تقدّم بعض المعلومات حول الجوانب والمظاهر الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي يهملها المؤرخون أحياناً.

المصادر الخاصة بالتراجم

يُعد إحياء التعلّم في نَجْد إبان القرنين اللذين سبقا الحركة الوهابية، من وجهة نظر المؤلف، واحداً من أكثر الظواهر أهمية في تاريخ هذا البلد. ومثل علماء بلاد المسلمين الأخرى، كان علماء نَجْد يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة بين أهل بلادهم. وكان المنتمون إلى هذه الطبقة دائماً حريصين كل الحرص على الاحتفاظ بسجلّات عن بعضهم البعض، على الرغم من أن سِيَر هؤلاء العلماء قبل ظهور الدعوة الوهابية لم تُجمع إلا حديثاً في الفترة الوهابية.

إن أول عمل متعلق بالتراجم، والذي سُجِّل فيه عدد كبير من العلماء النَجْديين الذين كانوا في الفترة السابقة لظهور الوهابية، قد تمَّ جمعه بواسطة شخص نجديّ أصبح بعد ذلك مفتي مكة الحنبلي: محمَّد بن حميد (ت. ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)[٤٥]. ويشتمل عمله الذي يحمل عنوان **السحب الوابلة** على عدد كبير من الحنابلة النجديين الذين عاصروا الفترة التي سبقت ظهور الوهابية، بالإضافة إلى آخرين هم العلماء الذين ظهروا في أوقات لاحقة، وينتمون إلى هذا المذهب الفقهي.

---

(٤٥) محمد بن عبد الله بن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** (مخطوطة رقم ١٢٨٧ في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الصنيع؛ تم حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الرياض). تمَّ أخذ مقتطفات من تراجم العلماء النجديين من هذا العمل ونشرت في: حمد بن محمد الجاسر، «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» مجلة العرب، السنة ١٢، العددان ٩ ـ ١٠ (آذار/ مارس ـ نيسان/ أبريل ١٩٧٨).

وثمَّة جامع آخر للسِيَر هو إبراهيم بن ضويان (ت. ١٣٥٣هـ/ ١٨٨٥م). ويشتمل عمله الذي يحمل عنوان **رفع النقاب**[٤٦]، أيضاً على بعض العلماء الذين عاصروا الفترة التي سبقت ظهور الوهابية. أما آخر سيرة تتناول علماء نَجْد، فقد كتبها محمَّد القاضي، وكانت بعنوان **روضة الناظرين**[٤٧]. وتضم سِيَر ٢٧٧ عالماً وجميعهم نجدِيّون. وينتمي عدد لا بأس به من بين هؤلاء العلماء إلى الفترة السابقة لظهور الوهابية، ويشار في هذا الصدد إلى أن الملاحظات التاريخية التي يقدّمها المؤلف مفيدة ونافعة أيضاً.

ولعلّ العمل الأكبر المتعلق بسير علماء نَجْد قد ظهر في عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م. وقد كُتب هذا العمل الذي يحمل عنوان **علماء نجد خلال ستة قرون**[٤٨] من قبل فرد آخر من أسرة البسام، وهو عبد الله بن عبد الرحمن البسام، الذي كرّس عمله لعلماء نَجْد الذين عاشوا فيها خلال الستة قرون الأخيرة. ويحتوي هذا العمل على تدوينات لـ ٣٣٨ عالماً في نجد، من بينهم نحو ١٠٩ علماء ينتمون إلى الفترة السابقة للوهابية. ويُعد هذا العمل أفضل تدوين في سير علماء نَجْد في تلك الفترة.

وتشتهر عائلة البسام بتعلّمها، واهتمامها بجمع وكتابة الأعمال التاريخية منذ عهد جدّهم العظيم أحمد بن بسام (ت. ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م). وقد انتقل أفراد من تلك الأسرة إلى أجزاء أخرى من الجزيرة العربية، والعراق وبلاد أخرى، وكما أنّهم قد انخرطوا في ممارسة أنشطة تجارية. وهذه الاتصالات الواسعة، بالإضافة إلى اهتمامهم الأدبي، قد مكّنتهم من جمع مجموعة كبيرة من الوثائق التي لها علاقة بالموضوعات الشرعية والتاريخية، وكذلك تلك الخاصة بعلم الأنساب عبر القرون، لقد استخدم عبد الله البسام ومعه أيضاً آخرون من أفراد أسرته تلك الوثائق لكتاباتهم، وهي ميزة، كما يقول: «لم تكن متاحة على الإطلاق لأي مؤلف آخر»[٤٩]. ولم يفوت عبد الله البسام

---

(٤٦) إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب** (مخطوطة رقم ٧٣٦٩ ـ H(2)) (القاهرة، دار الكتب).

(٤٧) محمد بن عثمان القاضي، **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين** (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٨٠).

(٤٨) لمعرفة المرجع حول هذا المصدر. انظر أعلاه.

(٤٩) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢١ ـ ٢٢.

فرصة واحدة في إدراج ملاحظات قيّمة تتعلّق بعلم الأنساب، أو بتاريخ العلماء، وأسرهم، وكذلك بلدانهم.

لم تقتصر الفوائد التي تأتّت من الأعمال السابقة الخاصة بسِيَر علماء نَجْد ـ على المعلومات المتعلّقة بالحياة التعليمية أو الشخصية لهؤلاء العلماء. فقد اعتاد المتخصّصون في جمع السِيَر من نَجْد أن يذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك؛ حيث سجّل هؤلاء كل المعلومات تقريباً التي عرفوها حول الفرد قيد المناقشة، بما فيها وسائل معيشته، وعشيرته، وأسرته، وبلدته، حتى علاقاته الزوجية. والجدير بالذكر أن المعلومات من هذا النوع غالباً ما تكون موجودة في سِيَر هؤلاء العلماء الذين انتموا إلى عائلات بارزة في بلدانهم. ولعلّ من السير المشهورة التي تندرج تحت هذا النوع، وذات الفائدة بالنسبة إلى دارسي نَجْد قبل ظهور الوهابية، هي **علماء نَجْد في ستة قرون**. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا العمل ليس سيرة لعلماء نَجْد فقط، لكنَّه أيضاً مصدر موثوق لتاريخ نَجْد.

المعاجم الجغرافية

لقد تمَّ جمع عدد من المعاجم الجغرافية في الآونة الأخيرة من جانب المؤلفين السعوديين المهتمين بدراسة بتاريخ بلدهم وجغرافيته. وقد تمَّ تخصيص المناطق والأقاليم وتوزيعها على المواطنين الأصليين لكل منطقة، وكل إقليم في البلد(٥٠) ممَّن لديهم معرفة ودراية كاملة بها ليؤلفوا معجماً جغرافياً. وقد اعتمد هؤلاء المؤلفون في معلوماتهم على الأعمال الكلاسيكية، والطبيعة الجغرافية الخاصة بالجزيرة العربية، وكذلك على المعاجم الجغرافية، مثل: **معجم البلدان** لياقوت، و**معجم ما استعجم** للبكري، و**بلاد العرب** للأصفهاني، و**صفة جزيرة العرب** للهمداني.

وما يجعل تلك المعاجم التي تمَّ جمعها حديثاً ذات فائدة في هذه الدراسة هو أنّ مؤلفيها قد أكملوا معلوماتهم القديمة حول كل بلدة بمزيد من

---

(٥٠) باستثناء المعجم الأول، فإن المعاجم الجغرافية المدرجة تحته ما هي إلا أجزاء من مشروع أكبر لجمع المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية. وقد تمّت الدعوة إلى هذا المشروع وأطلقت المبادرة لتنفيذه من جانب حمد الجاسر ودار النشر التابعة له، وهي دار اليمامة في الرياض.

المعلومات التاريخية الحديثة التي كانوا قد جمعوها من تدوينات تاريخية محليّة، والتراث الشفوي الذي تمّ الاحتفاظ به من جانب كبار السنّ في الأماكن والبلدات. ويشار إلى أنَّ المعاجم الجغرافية المستخدمة في هذه الدراسة هي التي لها صلة بنَجْد، وهي كالآتي:

١ ـ **صحيح الأخبار**(٥١): لمحمد بن بليهد (ت. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٢ ـ **معجم اليمامة**(٥٢): لعبد الله بن خميس.

٣ ـ **بلاد القصيم**(٥٣): لمحمد بن ناصر العبودي.

٤ ـ **عالية نجد**(٥٤): لسعد بن عبد الله بن جنيدل.

مصادر كُتبت خارج نجد

ربما يتمّ الاستعانة، أيضاً، بالمصادر التي كُتبت خارج نجد لمعرفة تاريخ هذا البلد، وخاصة تلك المصادر التي كُتبت في المناطق المجاورة التي حافظ سكان نَجْد على العلاقات معها. ولعلّ من أكثر المصادر التي كُتبت خارج نَجْد فائدة لدراستها قبل ظهور الوهابية، وكذلك في بداية ظهورها، تدوينين مجهوليْن والظاهر أنهما كتبا خارج نجد: أحدهما بعنوان **لمع الشهاب في سيرة محمَّد بن عبد الوهاب**(٥٥)، والمصدر الآخر **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب**(٥٦). وقد كانت تلك التدوينات معاصرة للدولة السعودية الأولى. وقد قضى مؤلّف المصدر الأول بعض الوقت في مدينة البصرة، في حين كان مؤلف المصدر الثاني سوريّاً على

---

(٥١) محمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، حرره محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ (الرياض: المؤلف، ١٩٧٢).

(٥٢) عبد الله بن محمد بن خميس، **معجم اليمامة** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨).

(٥٣) محمد بن ناصر العبودي، **بلاد القصيم** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩).

(٥٤) سعد بن عبد الله بن جنيدل، **عالية نجد** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨).

(٥٥) **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تمّ تحريره ونشره بواسطة أحمد أبو حاكمة (بيروت: [د. ن.]، ١٩٧٦). ولقد تم تحرير العمل نفسه من جانب عبد الرحمن آل الشيخ، ونشرته دارة الملك عبد العزيز في الرياض [د. ت.]، وتستخدم كلتا الطبعتين في هذه الدراسة.

(٥٦) لا يزال يوجد هذا التدوين في شكل مخطوطة، ويتم حفظه في المكتبة الوطنية في باريس، رقم ٦٠٦١.

الأرجح[٥٧]. كان لبّ الموضوع في كلا العملين يتمحور حول الإصلاحات التي أدخلها محمَّد بن عبد الوهاب، والكيان السياسي الذي تبع تلك الإصلاحات. ولا يحتوي العمل الأخير على معلومات جديدة، لكنه يؤكّد ويوضّح بعض المعلومات التي كانت قد وُجدت في مصادر نَجْد. وعلى ذلك، يُعد **لمع الشهاب** أكثر فائدة ونفعاً عند الحديث عن الظروف في شرق الجزيرة العربية، ومراكز نَجْد التجارية الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي، والعلاقات بين الوهابيين من جهة، وبني خالد من محافظة الأحساء وباشوات بغداد من جهة أخرى.

لقد كان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي شاهداً على تأسيس مستوطنات على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، مثل الكويت والزبارة. وكان هذان الميناءان مسكونيْن من مهاجري نَجْد الذين عملوا كوسطاء تجاريّين بين العراق، ومسقط، والهند من ناحية، والأجزاء الداخلية من الجزيرة العربية من ناحية أخرى. إنَّ ما هو معروف حول الظروف التي هاجر بسببها هؤلاء النجديون من وطنهم يُعدّ قليلاً. أما المصادر التي ربما ينصح بها حول هذه القضية هي تلك التي تمّت كتابتها في هذه المنطقة والعراق. إن **مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود**[٥٨]، و**سبائك العسجد**[٥٩] عملان للمؤلف النجدي نفسه، عثمان بن سند البصري (ت. ١٢٥٠هـ/١٨٢٦م)، وهما العملان اللذان قد كُتبا لتمجيد وتعظيم داوود باشا والي بغداد (١٢٣٢ ـ ١٢٤٧هـ/١٨١٦ ـ ١٨٣١م)، وأحمد بن رزق (ت. ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)، وهو تاجر من الزبارة، على الترتيب. ويحتوي **مطالع السعود** على قدر أكبر من المعلومات مقارنة بـ **سبائك العسجد**. وإضافة إلى ذلك، يوفر **مطالع السعود** مزيداً من المعلومات حول العلاقات بين باشوات بغداد والوهابيين، والقبائل العربية التي كانت تتنقّل وتتجوّل في

(٥٧) انظر المقالة التي تتناول تلك المخطوطة: عبد الله الصالح العثيمين، «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب،» مجلة العرب، المجلدان ١ ـ ٢ (١٩٧٨).

(٥٨) مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمّى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود، اختصره أمين بن حسن الحلواني المدني (بومباي: المطبعة الحسينية، ١٨٨٦). وهذه النسخة المختصرة هي فقط التي استخدمت في هذه الدراسة.

(٥٩) عثمان بن سند البصري، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد (بومباي: [د. ن.]، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م).

الصحراء بين نَجد وبغداد. وثمة سجلّ آخر خاص بالترتيب التاريخي للحوادث، ويتناول الموضوع نفسه، وهو **دوحة الوزراء**[٦٠]، الذي يُعدّ تدويناً عثمانياً تركياً يتعلق بتاريخ العراق وباشوات بغداد (١١٣٢ ـ ١٢٣٧هـ/ ١٧١٩ ـ ١٨٢١م).

ولم تُكتب تواريخ المستوطنات المذكورة سلفاً حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي. وقد تمَّ جمع التراث الشفوي المنقول من المستوطنات بواسطة بعض المؤرخين مثل عبد العزيز الرشيد في عمله **تاريخ الكويت**[٦١]، ويوسف البسام في عمله **الزبير قبل خمسين عاماً**[٦٢]، ومحمد خليفة النبهاني في عمله **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**. وقد كانت تلك المستوطنات آهلة بالسكان، وتُحكَم من قبل الأسر والعشائر التي أتت إلى نَجْد. إنَّ دراسة الظروف التي أدَّت إلى نزوح هؤلاء من نَجْد تساعد الباحثين في فهم الظروف القائمة في نَجْد ذاتها في ذلك الوقت.

ومنذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أطلق أشراف مكة وحكّام الحجاز حملات متقطعة ضدّ بلدان نَجْد والقبائل الرحّل. وكان هؤلاء الأشراف يحاولون بسط سلطتهم السياسية على نَجْد، لكن النزاعات المستمرّة بين الأعداد الكبيرة من عشائرهم وفصائلهم على شرافة مكة قد جعل من الصعب عليهم تحقيق هدفهم المنشود. ونتيجة لذلك، تمكَّن الأشراف الأقوياء فقط من فرض سلطتهم من خلال إطلاق حملات جديدة على أجزاء مختلفة من نَجْد. وبالإضافة إلى المصادر النجدية، فقد تمَّ تسجيل تلك الحملات من قبل اثنيْن من المؤرّخين المكيين، هما عبد الملك العصامي (ت. ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)[٦٣]، وأحمد زيني دحلان (ت. ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)[٦٤].

---

(٦٠) رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمها إلى العربية موسى كاظم نورس (بيروت: دار الكاتب العربي؛ بغداد: مكتبة النهضة، [د. ت.]).

(٦١) عبد العزيز الرشيد، **تاريخ الكويت** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨).

(٦٢) يوسف بن حمد البسام، **الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت** (الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧١).

(٦٣) عبد الملك بن حسين المكي العصامي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق محب الدين الخطيب، ٤ ج (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٩٣).

(٦٤) أحمد بن زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام** (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م).

مصادر غير عربية وتدوينات الرحّالة

١ ـ لا تقدّم وثائق حكومة بومباي، ووثائق شركة الهند الشرقية (East india company) كمّاً كبيراً من المعلومات الخاصّة بالساحل العربي للخليج؛ إذ لم يتمّ التوسّع في العلاقات مع تلك المنطقة حتى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. وبالنسبة إلى الفترة القديمة، قدَّمت مجموعة «**مختارات سالدانها من أوراق الدولة، بومباي**»[٦٥] معلومات غير كافية حول الساحل. لكن أفضل جزء من مجموعة الوثائق هذه هو «تقرير حول تجارة الجزيرة العربية وفارس» (Report on the Commerce of Arabia and Persia) وقد كتبه صاموئيل مانستي (Samuel Manesty)، وهارفرد جونز (Harford Jones) لحكومة بومباي في عام ١٧٩٠م (١٢٠٥هـ).

٢ ـ كتب هارفرد جونز بريدجز (Harford Jones Brydges) أيضاً **موجز لتاريخ الوهابي** (A Brief History of the Wahauby)[٦٦]، الذي يُعدّ ملحقاً لتقريره: «وصف لأعمال بعثة جلالته إلى البلاط الفارسي خلال الأعوام ١٨٠٧ ـ ١٨١١» (An Account of the Transactions of His Majesty's Mission To the Court of Persia in The Years 1807-1811). وتكمن ميزة هذا التاريخ الوجيز في حقيقة أنه قد كُتب من قبل كاتب معاصر للوهابيين عندما كانوا يتوسعون في محافظة الأحساء، ويقومون بشنّ غارات على جنوب العراق. وإضافة إلى ذلك، يمثّل هذا العمل أيضاً وجهة نظر مختلفة عن تلك التي تبنّاها ابن سند والكركوكلي فيما يتعلق بالقضية الوهابية.

٣ ـ قدَّم لنا الرحالة الدانماركي كارستن نيبور، الذي جاب السواحل الغربية والشرقيّة للجزيرة العربية بين عامَي ١٧٦٢ و١٧٦٥م، معلومات قيّمة حول التجارة، والشؤون المختلفة في منطقة الخليج العربي[٦٧]. وقد قام نيبور بزيارة مستوطنة القرين الساحلية (الكويت)، ووصف التجارة والأنشطة

---

(٦٥) Jerome A. Saldanha, *Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events, 1600-1800 AD* (Calcutta: Superintendent of Government Printing, 1908).

(٦٦) هذا العمل ليس متاحاً لهذه الدراسة.

(٦٧) Carsten Niebuhr, *Travels through Arabia and Other Countries in the East*, 2 vols. (Edinburgh: R. Morison and Son, 1792).

التي تمارَس في هذا المجتمع الجديد. وإضافة إلى ذلك، فقد زار هذا الرحالة مدينة البصرة والزبير؛ حيث جمع فيهما معلومات وبيانات عن حركة دينية جديدة كانت تظهر في قلب الصحراء. وبعد ذلك بنصف قرن، أثارت هذه الحركة، التي أصبحت فيما بعدُ قوة دينية وسلطة سياسية هائلة، فضولَ الرحالة الغربيين. ولقد أسهم الفتح التركي ـ المصري للجزيرة العربية في فتح الباب أمام هؤلاء الرحالة لدخول الجزء الداخلي للبلاد. وفضلاً عن ذلك، فقد شهد القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي عدداً من الرحّالة الأوروبيين الذين وصلوا إلى عقر دار الوهابيين. وقد كتب هؤلاء الرحالة أخباراً حول رحلاتهم، ومشاهداتهم عن البلد وأهلها، بما في ذلك ملاحظات تتعلق بالظروف الاجتماعية والدينية والاقتصادية لأهل الجزيرة العربية. وتُعد هذه الملاحظات ذات فائدة عظيمة، بالنظر إلى كونها كُتبت على أيدي أشخاص لديهم نظرة مستقبلية مختلفة، واهتمام شديد بمثل تلك الظاهرة.

٤ ـ ولكن التدوين الأكثر قيمة من بين تلك التدوينات، بالنسبة إلى هذه الدراسة، هو سجلّ جون لويس بوركهارت الذي جاب بلاد الشام والحجاز في عام ١٨١٠م. ولم يصل بوركهارت إلى نَجْد، ولكنّه تنقّل بين بدو جنوب الشام الذين إما قد جاؤوا حديثاً من نَجْد والحجاز، أو أنهم كانوا لا يزالون يتنقلون بين الشام ونَجْد. وبالإضافة إلى ذلك، فقد جمع بوركهارت معلومات قيمة حول الوهابيين، والقبائل وأهل نَجْد، وذلك عندما كان في مكة والطائف خلال أعوام ١٢٣١ ـ ١٢٣٢هـ/ ١٨١٤ ـ ١٨١٥م. وكانت مصادره الخاصة بالبيانات حول نَجْد، كما يقول، تقوم على «أهل مكة المطّلعين الذين يقدرون على الوصول المباشر لشخص سعود [الزعيم الوهابي] وأسرته، وكان أمامه أفضل فرصة لمعرفة الحقيقة، ولا يوجد سبب لإخفائها»(٦٨). كتب بوركهارت تدوينيْن: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**(٦٩)، **ملاحظات عن البدو والوهابيين**. ويُعد الأخير أكثر فائدة ونفعاً

(٦٨) John L. Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys* (London: H. Colburn and R. Bentley, 1830), p. 310.

(٦٩) John L. Burckhardt, *Travels in Arabia* [reprint from the London: Henry Colburn, 1829) (Beirut: Librairie du Liban, 1972).

في هذه الدراسة؛ نظراً إلى أن المؤلف يكتب بالتفصيل عن حياة البدو، وتصنيفاتهم المختلفة ـ ولا سيما حياة قبائل (عنزة) ـ وحكّامهم، ونظامهم القضائي، وكذلك علاقتهم مع الوهابيين. وقد خصَّص المؤلف أيضاً جزءاً لا بأس به من كتابه للوهابيين. وقد كتب المؤلّف أيضاً عن الحركة الوهابية، وأسر ابن سعود، وابن عبد الوهاب، وحكوماتهما؛ بالإضافة إلى إيراداتهما.

٥ ـ وتعدّ تدوينات الرحّالة الأخرى مثل ذلك الخاص بالكابتن ج. فوستر سادلير، الذي يحمل عنوان **مذكرات من رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩**، وسجلّ **نجد الشمالي: رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم عام ١٨٦٤هـ ـ ١٢٨٠م**، لكارلو غوارماني، وأخيراً **قصة عام من الرحلات عبر وسط الجزيرة العربية وشرقها** لويليام بلغريف، تعد أقل أهمية لهذه الدراسة. وفي الوقت الذي كُتب فيه السجلّ الأول بواسطة مبعوث متسرع وغير مهتم، كُتبت السجلّات الأخرى في أواخر عام ١٨٦٠م (١٢٨٠هـ).

ولم يقم أي من هؤلاء الرحّالة المذكورين سلفاً بزيارة نَجْد قبل الوهابية، كما أن هؤلاء الذين نجحوا في التسلل إلى البلاد قد فعلوا ذلك بعد تدمير الدولة السعودية الأولى. ومع ذلك، فإنّ هذا لا يبدو أقل قيمة من المادة التي يمكن أن يستخرجها الطلاب الذين يدرسون تاريخ نَجْد قبل ظهور الحركة الوهابية فيها من تدوينات هؤلاء الرحّالة. وفي الوقت ذاته، تعدّ كتابة الرحالة الأوروبيين مفيدة جداً، إذ إنها تناقش من حين إلى آخر الظروف الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي تمّ إهمالها وتجاهلها من جانب المؤرخين التقليديين والمحليين. جدير بالذكر أنّ الموضوعات التي تحمل هذه الصبغة نفسها تُقَدَّر جداً من قبل العلماء الجدد. وإضافة إلى ذلك، تستمد هذه السجلّات الأوروبية أهميتها وفائدتها من كونها تمثّل وجهة نظر أخرى. ومع ذلك، يتعيّن على الواحد منّا أن يكون حذراً جداً، حيث إن هؤلاء الرحّالة كانوا يتعاملون مع بيئة وثقافة مختلفتيْن تماماً عن البيئة والثقافة الخاصة بهم.

الشعر الشعبي كمصدر تاريخي

كسابقه من الشعر، أي الشعر العربي الجاهلي، من الممكن أن يستخدم الشعر البدوي الشعبي الذي ظهر في الجزيرة العربية كمصدر

لدراسة تاريخ نَجْد خلال الفترة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية. وقد تمَّ نقل هذا الشعر شفوياً من جيل إلى آخر. وإضافة إلى ذلك، لم يكن البدو هم أول من أنشدوا هذا النوع من الشعر؛ وقد اشتهر بعض الرجال والنساء أيضاً بهذا الشعر النبطي. ولسوء الطالع، فإنَّ جزءاً صغيراً فقط من الشعر الشعبي قبل ظهور الدعوة الوهابية هو ما تمَّ حفظه في ذاكرة النجديين.

ومع ذلك، فإن الشعر الشعبي قد أثار مؤخَّراً اهتمام طلاب الأدب، وكذلك الناشرين. وقد تمَّ نشر مجموعات من هذا الشعر من أوقات وأزمان مختلفة. ولعلَّ أكثر تلك المجموعات أهمية بالنسبة إلى الدراسة التي نحن بصددها هي شعر راشد الخلاوي[٧٠]، الذي تمَّ جمعه على يدي عبد الله بن خميس. وليس معروفاً على وجه الدقة الوقت الذي ذاع فيه صيت الخلاوي كشاعر؛ لكن ابن خميس يؤكد أنه قد عاش في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وقد ربط ابن يوسف، الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، الجزء الأول من الشعر الذي قاله الخلاوي حول الحدث الشهير الذي وقع في الوشم في عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م، بالحدث[٧١]. ويذكر ابن خميس هذا الحدث، ويدوِّن أربعة أبيات كان قد سمعها من الخلاوي. ويُعدّ هذا مؤشراً على أنَّ الخلاوي ربما يكون قد عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وعلى ذلك، فقد تمكَّن ابن خميس من جمع كم كبير من شعر الخلاوي، الذي يتناول جوانب اجتماعية مختلفة من الحياة في نَجْد[٧٢].

وثمَّة أبيات شعرية لشعراء آخرين معروفين في نَجْد، عاصروا الفترات التي سبقت ظهور الوهابية، ومن بينها أبيات لـ جعيثن اليزيدي، ورميزان بن غشّام، وجبر بن سيار، وحميدان الشويعر. وإضافة إلى ذلك، فهناك مقاطع شعرية أخرى موجودة في مجموعات، مثل: **خيار ما يلتقط من**

---

(٧٠) عبد الله بن محمد بن خميس، **راشد الخلاوي (حياته، شعره، حكمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي)** (الرياض: دار اليمامة ١٩٧٢).

(٧١) ابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٣.

(٧٢) ابن خميس، المصدر نفسه، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

شعر النبط[٧٣]، التي جُمعت بواسطة عبد الله الحاتم، **وديوان النبط**[٧٤]، وفيه الأشعار التي جمعها خالد الفرج، **والأزهار النادية**[٧٥]، التي تمَّ جمعها من قبل محمَّد سعيد كمال.

ومن وجهة نظر المؤرّخ المعاصر، يُعدّ الشعر الشعبي مصدراً تاريخياً مفيداً لدراسة كل من الفترة التي تمَّ خلالها إلقاء هذا الشعر، وكذلك الفترة السابقة[٧٦]. فمن ناحية، يعكس الشعر الشعبي الجوانب والمظاهر المختلفة لحياة الناس في الجزيرة العربية، والتي شهدت تغيّراً طفيفاً حتى وقت قريب. ومن ناحية أخرى، يُعد الشعر الشعبي نافعاً ومفيداً في الوقت الذي كانت فيه السجلّات التاريخية نادرة، أو غير موجودة.

ولعلّ العائق الأكبر أمام تلك الدراسة التي تتناول تاريخ نَجْد قبل ظهور الوهابية هو عدم توافر مصادر محلية حول هذا الموضوع. وفضلاً عن ذلك، لم يكن هناك سهولة في استخدام التدوينات التاريخية والبدائية التي تعود إلى فترة ما قبل الوهابية مثل: تدوينات أحمد بن بسام، وابن ربيعة، وابن يوسف، وابن عباد. ومن بين السجلّات التي تعود إلى تلك الفترة فإن تدوين أحمد المنقور هو المنشور فقط. وفضلاً عن ذلك، فقد تمّ الاحتفاظ ببعض المعلومات الخاصة بفترة ما قبل الوهابية في نَجْد من قبل مؤرخين وهابيين استخدموا هذه التدوينات البدائية، وأخرى مماثلة لم يُقَدَّر لها البقاء. ومع ذلك، لم تلبّ تلك المصادر المحدودة احتياجات الباحث الذي يرغب في أن يذهب إلى أبعد من مجرّد سرد التاريخ السياسي للبلد. ونتيجة لذلك، ينبغي أن يبحث عن مصادر أخرى يمكن أن تساعد على هذا الشأن، سواء إذا كانت محلية، أو مكتوبة خارج المنطقة، أو معاصرة، أو مكتوبة في فترات لاحقة.

ومن ثَمّ تكون ثمَّة ضرورة ملحّة لتمشيط المواد المكتوبة حول

---

(٧٣) عبد الله بن خالد الحاتم، **خيار ما يلتقط من شعر النبط** (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨).

(٧٤) هذه المجموعة ليست متاحة لهذه الدراسة.

(٧٥) محمد سعيد كمال، **الأزهار النادية من أشعار البادية** (الطائف: مكتبة المعارف، [د. ت.]).

(٧٦) عبد الله الصالح العثيمين، «الشعر النبطي من مصادر تاريخ نجد،» **مجلة العرب**، السنة ١١، العددان ١١ ـ ١٢ (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٧٧)، ص٨٤٣ ـ ٨٤٥.

الموضوعات الدينية وتراجم العلماء النَجْديين، الذين عاشوا خلال الفترة التي سبقت ظهور الوهابية، وذلك بهدف الحصول على البيانات والمعلومات التي تسلّط الضوء على الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية السائدة في نَجْد إبان تلك الفترة. وبالنسبة إلى العلاقات بين نَجْد والبلدان المجاورة لها ـ الحجاز، والساحل الشرقي للجزيرة العربية، والعراق ـ ينبغي الاستعانة بالسجلّات الخاصة التي تؤرخ للأحداث والوقائع، وكذلك بالمصادر الأخرى الواردة من تلك المناطق. وفيما يتعلق بالعلاقات بين نَجْد ومنطقة الخليج العربي، ينبغي أيضاً الاستفادة من المواد التي تمّت كتابتها في تلك المنطقة، وكذلك الوثائق الخاصة بحكومة بومباي التي لها صلة بساحل الجزيرة العربية ونَجْد. وفضلاً عن ذلك، يجب استغلال تقارير الرحّالة وملاحظاتهم وتدويناتهم، وخاصة تدوينات بوركهارت. وخلاصة القول إنه يتوجّب على الباحثين في تاريخ نَجْد قبل ظهور الوهابية أن يدققوا في كل مصدر يمكن أن يحتوي على معلومات حول هذا الموضوع. ومع ذلك، فإن استخدام تلك المصادر النادرة والمتنوعة أيضاً يتطلّب عناية وحرصاً خاصَيْن عند استخلاص النتائج.

الفصل الأول

الخلفية الجغرافية والبيئية

«نجد»، مصطلح جغرافي استُخدم ليشير إلى البلدة المرتفعة من الجزيرة العربية التي تقع بين سلاسل جبال الحجاز من الغرب، والأراضي المنخفضة من شرق الجزيرة العربية، على امتداد ساحل الخليج العربي. ويختلف جغرافيّو القرون الوسطى اختلافاً كبيراً فيما يتعلق بحدود نَجْد الممتدة إلى الغرب والشرق[1]. ويشكّل أكبر تكوينين رمليين في الجزيرة العربية ـ صحراء النفود الكبير[*]، وصحراء الربع الخالي ـ الحدود الطبيعية لهضبة نجد من الشمال والجنوب على التوالي.

التكوين الأرضي لنَجْد

تحدَّدت تضاريس شبه الجزيرة العربية من خلال الانحراف الذي حدث قديماً للمنطقة باتجاه الشرق، وهو ما صاحبه خلق عيب يُعرف باسم «الصدع الكبير»، الذي يكوِّن منخفض البحر الأحمر. وكان تركيب الأراضي المرتفعة المعروفة باسم الدرع العربي[**] ناتئاً شرق الصدع الكبير. ويتميز أقصى

---

(١) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحرير حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة ١٩٨٦)، ص١٥١ و٣٣٦ ـ ٣٣٩. انظر أيضاً:

Adolf Grohmann, "Nedjd," in: *The Encyclopedia of Islam* (Leiden; London: Brill, 1936).

(*) صحراء واسعة في السعودية، وإحدى أقاليم نَجْد المشهورة في مناظرها الخلابة برمالها الذهبية في هضبة نَجْد حتى الحدود الغربية للعراق، والحدود الشرقية للأردن، لتشترك من هناك مع صحراء الشام (المترجمة).

(**) يشكّل جزءاً كبيراً من الصفيحة العربية، ويقع في غربي شبه الجزيرة العربية، ويغطي ثلث مساحتها. وتبلغ مساحته حوالى (٥٧٥,٠٠٠ كم٢)، ويتكون من: صخور متحوّلة كانت في الأصل صخوراً رسوبية وبركانية قديمة، ثم جعلها الضغط والحرارة العاليان صخوراً متحولة، وهي تشمل صخور النايس والشست والسلات، وصخور جوفية اندساسية، وهي صخور تجمدت من الصهير داخل =

الطرف الغربي من هذا التركيب بسلاسل الجبال النارية التي تمتد موازية لساحل البحر الأحمر. وتُعرف تلك الجبال بـ«جبال السروات»، وهي تشكل مستجمع الأمطار في شبه الجزيرة العربية.

وفي الشرق من جبال السروات، تقع منطقة هضبة نَجْد الكبرى. وبالتطابق مع شبه الجزيرة العربية ككل، تنحدر هضبة نَجْد ناحية الشرق من ارتفاع يصل إلى نحو ٣,٥٠٠ قدم على الغرب إلى نحو ٢,٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر على الشرق. وينكسر الانخفاض التدريجي ناحية الشرق بواسطة سلاسل المنحدرات المواجهة لناحية الغرب[٢]، والتي يُعدّ جبل طويق[٣] هو أعلى سلسلة فيها. ومن الناحية الجغرافية، يقسِّم العلماء هضبة نجد إلى جزأين: الجزء الغربي الذي يُعرف محلياً بعالية نجد (أو نجد العليا)، والجزء الشرقي الذي يُعرف أيضاً محلياً بسافلة نجد (أو نجد السفلى).

وفي واقع الأمر، تُعد عالية نجد هي الامتداد الطبيعي للدرع العربي، وتتميز بصخورها النارية (البركانية)، وتكويناتها المتحولة، التي وُضعت بصورة مستوية بواسطة الجبال والتلال المنعزلة هنا وهناك. ويُختَرَق هذا السهل بمَجارٍ مائية ضحلة وجافة، وهو مغطى بطبقات رفيعة من التربة الصوّانية الحصوية التي تسهم في خلق أفضل المراعي في الجزيرة العربية بعد سقوط الأمطار.

أما سافلة نجد، فتتألف من تكوينات ترسبية أحدث، وهي تتكون بصورة

= القشرة الأرضية من دون أن تصل إلى السطح، ولذا تكون البلورات المكونة لها كبيرة الحجم نسبياً؛ لأنها بردت ببطء. وقد كان تكوُّن هذه الصخور الاندساسية مصاحباً لعمليات تكوين الجبال في الغالب، لكن بعضها كان سابقاً، والبعض الآخر كان لاحقاً لعمليات تكوين الجبال. ومع استمرارية التعرية عبر العصور الجيولوجية، أزيلت الصخور التي كانت تعلوها، وأصبحت هذه الصخور الجوفية ظاهرة على السطح. ويشمل هذا النوع من الصخور الغرانيت والديورايت والجابرو. وهناك صخور بركانية تكوَّنت في العصرين الثلاثي والرباعي من الحمم البركانية (اللافا) التي ساحت على سطح الأرض، خارجة من البراكين؛ ولذا كان تجمدها سريعاً، وحجم بلوراتها كان صغيراً، مثل صخور البازلت، وهي تكوّن ما يُعرف محلياً بالحرات (المترجمة).

(٢) انظر الخريطة الرقم (١ ـ ١).

(٣) جبل طويق معروف أيضاً باسم أقدم: العارض أو عارض اليمامة. انظر: الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

رئيسة من الصخور الجيرية والرملية، والصخر الطيني، والسهول الحصوية، والأراضي الرملية[٤]. وقد تمَّ كشف النقاب عن تلك التكوينات عند تراجع البحر ناحية الشرق خلال العصور الجيولوجية المختلفة[٥]. وينقسم هذان القطاعان من نجد بواسطة شريطين طويلين، وهما النفود (أراض رملية) التي تمتد من الشمال إلى الجنوب: نفود السر في الشمال، ونفود الدِّجي في الجنوب. وفي شرق هذا الخط من النفود، تتكون سافلة نجد من سلسلة من الهضاب الطويلة التي تأخذ شكل هلال مع وجود منحدرات من ناحية الغرب، ومنحدرات متناثرة من ناحية الشرق. وتمتد هذه الهضاب من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ثم تأخذ شكل منحنى من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. وعبر منتصف تلك الهضاب الطويلة ذات الأشكال الهلالية، يمر خط عرض ٢٤ درجة شمالاً[٦].

وفي شرق «نفود السر»، وبالتوازي معها، تقع خنادق الجِلْه صفراء الأسياح. وشرق الجِلْه وبمحاذاتها، تقع رمال نفود الثويرات، ونفود قنيفذة، وتفصل بينهما الهضبة المنخفضة صفراء الوشم. وشرق حبال الثويرات وقنيفذة الرملية، يقع منحدر جبل طويق الذي يتكون من الحجر الجيري، الذي يُعد هو الأعلى والأكثر امتداداً بين هضاب سافلة نجد. يصل طول جبل طويق إلى نحو ٥٠٠ ميل و٨٠٠ قدم فوق السهول المجاورة، ويرتفع بعض قممه نحو ٣٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. ومن المنحدرات الشرقية لجبل طويق، تنزل بعض الأودية إلى السهول والشرائط الرملية التي تفصلها عن المنحدر التالي لهضبة العرمة[٧]. وفي شرق العرمة، تقع صحراء الدهناء الرملية، مكونة بذلك قوساً كبيراً يصل كبرى الصحارى الرملية في الجزيرة العربية: صحراء النفود الكبير من الشمال، وصحراء الربع الخالي من الجنوب. ويبلغ طول صحراء الدهناء نحو ٨٠٠ ميل بين الشمال

---

(٤) U.S. Geological Survey, Department of the Interior, and Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Finance and National Economy, *Miscellaneous Geologic Investigations*, Map I - 207A, 1958.

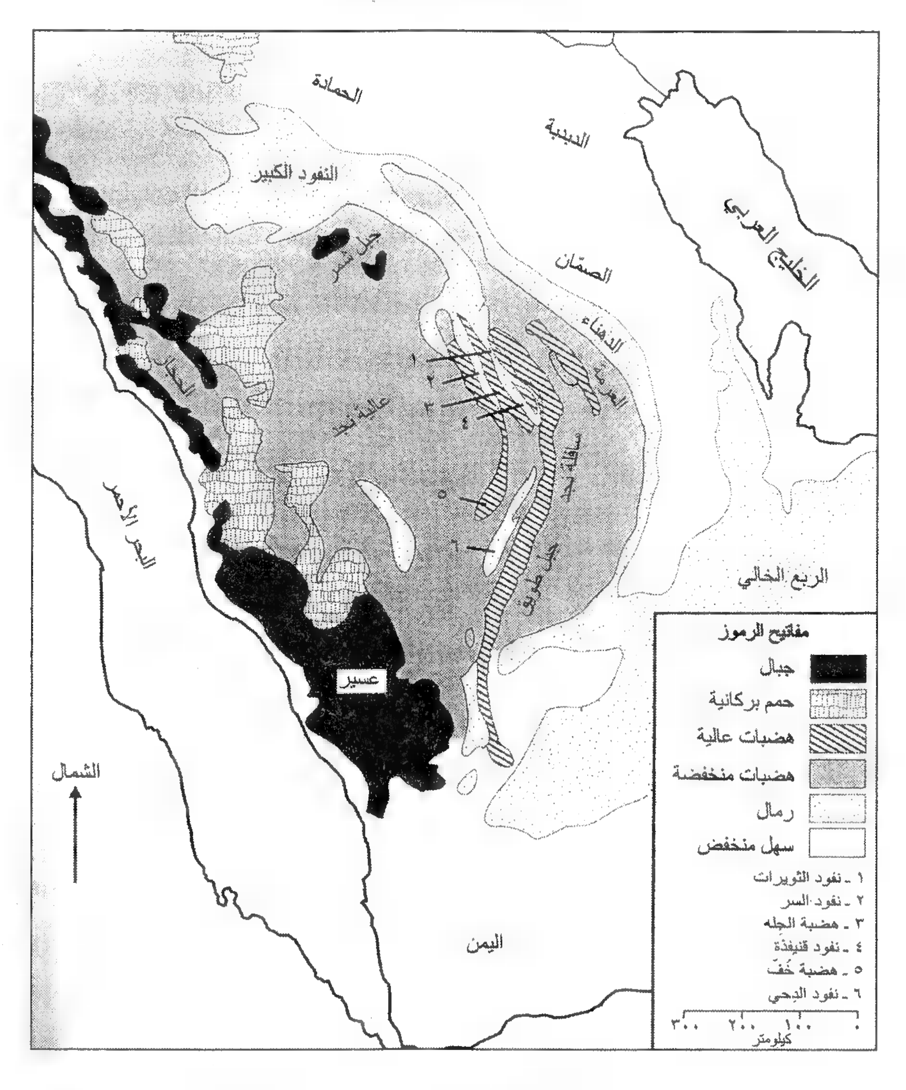
(٥) حسين حمزة بندقجي، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ط ٣ (جدة: دار الشروق، ١٩٨١)، ص٨٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٥. انظر أيضاً: الخريطة الرقم (١ ـ ١).

(٧) عبد الله بن محمد بن خميس، **معجم اليمامة** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ج ١، ص١٨ ـ ٢١. يسمي ابن خميس ٤٣ من الأودية الرئيسة التي تنحدر من المنحدرات الشرقية لجبل طويق.

والجنوب، ويصل اتساعها ما بين ٢٥ إلى ٥٠ ميلاً. وتشكِّل صحراء الدهناء مع كل من صحراء النفود الكبير، وصحراء الربع الخالي، الحدود الطبيعية لنَجْد من الشمال، والشرق، والجنوب.

الخريطة الرقم (١ ـ ١)
تكوينات أرض نجد



ويسمح النموذج الفريد للتكوينات الترسّبية لسافلة نجد من الهضاب الممتدة المتوازية في تكوّن سهول منخفضة وتجويفات بين الطرق الشرقية

والمنخفضة للهضبة، والخندق الغربي للهضبة التالية. وتمتلئ تلك السهول والتجويفات بالنفود (حبيبات الرمال الناعمة) التي تحملها الرياح إلى هناك من الصحارى الرملية الثلاث الضخمة التي تحيط بنجد. وتُعد نفود السر، والثويرات، وقنيفذة، والرغام، والدِّحِي، وينبان هي كبرى تلك الحبال الرملية. ويقوم الوادي الذي ينحدر إلى أسفل باتجاه المنحدرات الشرقية للهضاب بتصريف مياه الفيضانات في تلك السهول والحبال الرملية، مكوناً بذلك ما يسمّى بـ«روضات وخباري» على جوانب هذه النفود، والسهول[8]. وبسبب نوع التربة الطفالية[*]، والمياه التي تتلقاها «الروضات والخباري» عند حدوث الفيضانات، تتميز تلك المناطق بخصوبة التربة، وهو ما يجعلها مثالية للزراعة الموسمية، وأنشطة الرعي[9].

وفي الشمال من عالية نَجْد، توجد هضبة جبل شمر، التي تظهر فيها سلسلتان منخفضتان من الجبال «أجا وسلمى» ترتفعان لنحو ٥٠٠٠ و٤٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر على التوالي. وينفصل جبل شمر عن باقي نجد بواسطة وادي الرُّمة وروافده.

ويعمل الصرف في هضبة نَجْد من خلال ثلاثة أنظمة من الأودية[10]، وهي تمتد من الشمال إلى الجنوب وهي: وادي الرمة، ووادي السهباء، ووادي الدواسر، ويمر كل من تلك الأودية في الهضبة بوجه عام في اتجاه شرقي إلى أن يتم اعتراضهم بواسطة رمال «الدهناء» و«الربع الخالي». ويُعتقد أنَّ تلك الأودية الثلاثة ما هي إلا بقايا مجاري أنهار قديمة قامت بتصريف مياه «الدرع العربي» وهضبة نَجْد في داخل الخليج العربي. ومع ذلك، فالفيضانات قليلة، في الوقت الحاضر، وعندما تحدث، قلّما تصل المياه إلى الرمال حيث تكون مجاريها محاطة بسدود.

ولعلَّ أكبر تلك الأنظمة هو وادي الرمة الذي يغطي مع واحد من

---

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص٥٠٥.

(*) هي تربة تحتوي خليطاً من الطين والرمل والطمي بنسب متقاربة، وهي أفضل أنواع الترب على الإطلاق حيث يسهل العمل بها وليست قاسية ولا تشكل كُتلا كبيرة إذا جفّت (المحرر).

(٩) القليل من تلك الروضات ليس لها قنوات لصرف ما بها من مياه، وتتحول إلى أراضٍ مستوية مملحة (ملاحات)، أو أراضٍ مستوية مالحة (سباخ)، والتي لا تصلح لنمو أو زراعة الخضروات.

(١٠) انظر الخريطة الرقم (١ ـ ٢).

روافده العديدة التي تكوّنت من تدفق الحمم البركانية في خيبر، مساحةً تزيد عن ٤٠٠ ميل قبل أن تعترضه الرمال[١١]. ويقوم وادي الرمة بصرف مياه كل الجزء الشمالي من نَجْد تقريباً. ويوجد في حوضه واحات القصيم العديدة. أما النظام التالي، وهو وادي السهباء، فيحصل على المياه من جبل طويق الأوسط. ولعل أطول رافد بين روافد هذا الوادي هو وادي حنيفة الشهير، الذي يوجد على امتداده الكثير من الواحات الشهيرة. وقبل أن يدخل وادي السهباء رمال صحراء الدهناء، يمدّ واحات الخرج بفيضاناته وطميه الخصيب. ويشار إلى أنَّ نظام وادي الدواسر لديه روافد تنشأ في المنحدرات الشرقية لـ«جبال عسير»، وتخترق الجزء الجنوبي من جبل طويق، لتختفي في صحراء الربع الخالي. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأودية الثلاثة الرئيسة وروافدها ليست هي نظم الصرف الوحيدة في نَجْد، فثمَّة عدد كبير من الأودية الأقل حجماً، والتي تنحدر إلى هضاب «طويق»، و«الجِله»، و«صفراء الوشم»، المنخفضة تدريجياً حتى تختفي عن الأنظار بعد ذلك في الحبال الرملية والمنخفضات. ومع ذلك، فكل تلك الأودية جافة على مدار العام، إلا عند سقوط الأمطار الغزيرة، التي تتسبب من حين إلى آخر في حدوث فيضانات قصيرة الأجل.

وفي سافلة نَجْد، تكون ظروف الطقس أفضل بكثير منها في الأجزاء الأخرى من الهضبة، وخاصة التعرية التي تتسبب فيها المياه الجارية. ويُعزى هذا إلى الطبيعة الناعمة للصخور الترسبية، التي تقطع الآن إلى أودية عميقة، وأخرى صغيرة شديدة الانحدار. فقد أسهمت درجات الحرارة المرتفعة صيفاً، والمنخفضة شتاءً، وكذلك الرياح والعواصف المطيرة في تآكل الصخور الرملية، والأسطح الجيرية للهضبة. وإلى ذلك، تنكسر الجزئيات الصلبة إلى حصىً ورمال وحبيبات رمل ناعمة تتحول في نهاية الأمر إلى طمي. ويُحمل الطمي والطين بعد ذلك من خلال السيول الموسمية إلى أسفل قنوات الوديان، على أن يتم ترسبها في النهاية في الخباري والروضات التي تكونت في الأصل بواسطة الترسب المستمر للطمي والغرين، حيث تصل السيول إلى الرمال أو المنخفض. وعند انثناءات الأودية وملتقياتها ومجاريها، تتكون المصاطب، والخلجان، والأحواض، وتترسب مع الطمي

(١١) Harry St. J. Philby, *Arabia of the Wahhabis* (London: Frank Cass, 1977), p. 175.

والطفال الرملي الذي تحمله مياه الفيضانات إلى أسفل قنوات الأودية. وفي تلك الأودية، وعلى مصاطبها وخلجانها وأحواضها، وكذلك على روضاتها، ومجاري السيول ازدهرت الواحات والبلدان التي يقطنها سكان نَجْد المستقرون؛ حيث التربة أكثر خصوبة، والمياه الجوفية غزيرة.

أقاليم نجد المستوطنة

كان جبل طويق، أو «عارض اليمامة وأوديته»، هو قلب إقليم اليمامة. وكانت حَجْر، الرياض الحديثة، هي مقر إقامة ولاة اليمامة إبان الخلافة الأموية، وخلال الفترة الأولى من الخلافة العباسية[١٢]. ويُعد جبل طويق هو الأكثر امتداداً بين هضاب نَجْد، فهو يجمع كماً كبيراً من الأمطار الموسمية التي يتم صرفها بواسطة الأودية العديدة التي تنحدر من المنحدرات الشرقية للهضبة. وبصورة طبيعية، أصبحت تلك الأودية، وكذلك السهول التي تقوم بصرف فيضاناتها هي أقدم الأقاليم في نَجْد، وأكثرها استيطاناً. وفي الأسفل مسح لأهم أقاليم نجد المستوطنة قبل ظهور الوهابية (السعودية).

سدير

سدير هي أقصى شمال تلك الأقاليم التي تقع شرق الطرف الشمالي من جبل طويق. ويقوم عدد من الأودية فيها بأعمال تصريف مياه الجزء الشمالي من الهضبة، وأكبرها: وادي الفَقِي، ووادي المياه، ووادي المِشْقِر، ووادي الكلب، ووادي تُمَير، ووادي الغاط. ولعلَّ أهم المستوطنات في سدير[١٣] هي: الزلفي، والغاط[١٤]، والتويم، وحَرْمه، والعَوْدة، والمَجْمَعَة، والحَوْطَة، والرَوضة، وجُلاجِل، وعُشَيْرة، والعَطّار، وتُمَيْر، والدّاخِلة، والحصون، والجَنَوْبية، والقارة.

---

(١٢) حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص٦١ - ٦٤.

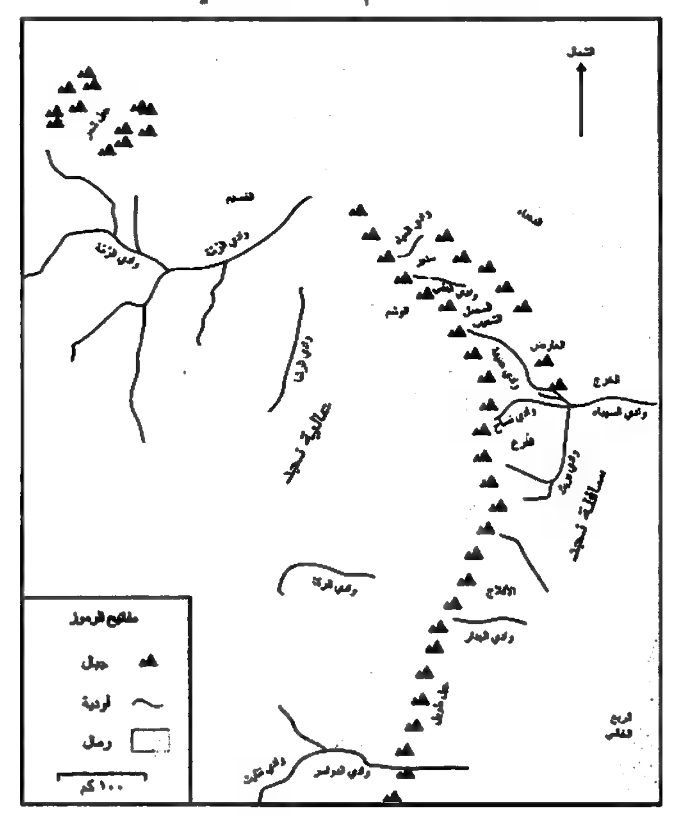
(١٣) ترتكز أهمية المستوطنة في هذه الدراسة على مدى إقحامها في أحداث فترة ما قبل ظهور الوهابية، وكذلك الفترات الأولى من ظهور الوهابية، وأيضاً على عدد مرات ذكر تلك المستوطنة في المصادر النجدية التي تتناول تلك الفترة.

(١٤) تقع الزلفي والغاط مباشرة غرب خندق طويق، ولا تعتبر الأولى، تقليدياً، واحدة من مستوطنات سدير.

المِحْمَل

وجنوب سدير، وعلى منحدرات جبل طويق، تقع منطقة المِحْمَل التي تتخلّلها أودية عديدة، مثل: وادي عُبَيْثِران، ووادي البير، ووادي الصُّفرَّات، ووادي دَقَلة، ووادي كُنْزة، وتقوم تلك الأودية بتفريغ مياه فيضاناتها في منخفض وادي العَتَك، ثم إلى سهول «المُلتَهِبة» و«الخَفْس»[١٥] الطينية. ولعل أكبر مستوطنات المِحْمَل، التي غالباً ما تسمَّى على اسم الأودية التي توجد بها هي ثادِق، والبير، والصُّفرَّات، ودَقَلة، ورَغَبَة[١٦]، وحُلَيْفة.

الخريطة الرقم (١ ـ ٢)
الأودية والأقاليم المستوطنة في نجد



---

(١٥) ابن خميس، معجم اليمامة، ج ١، ص١٩.

(١٦) تقع مستوطنة رَغَبَة غرب خندق طويق، لكنها تعد واحدة من مستوطنات المحمل. انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص٤٧١ ـ ٤٧٢.

الشَّعِيب

وجنوب المِحْمَل، يوجد إقليم الشَّعِيب؛ وهو وادي قُرّان القديم، الذي يُعد واحداً من المستوطنات الرئيسة لـ«بني حنيفة» في العصر الجاهلي. ووادي قُرّان، المعروف أكثر بأسمائه المعاصرة وهي: وادي الشعيب أو وادي حريملا، هو وادٍ كبير ينحدر من جبل طويق، ويتّجه شرقاً لينتهي بسهول طينية على حافة نفود بنبان[17]. والمستوطنات الرئيسة في هذا الوادي هي: حريملا، والقَرَيْنة (قُرّان القديم)، ومَلْهَم.

العارض

جنوب الشَّعِيب هي أكبر منطقة من العارض[18]، أو وادي حنيفة الذي يُعد واحداً من أقدم أقاليم نجد المستوطنة، وواحداً من أكثر الأقاليم المأهولة بالسكان في القرون الأخيرة. ويُعدّ وادي حنيفة رافداً رئيساً لوادي السَهْباء. ويستمد وادي حنيفة روافده من المنحدرات الشرقية لجبل طويق، ويتوجه في الاتجاه الجنوب الشرقي؛ كي يقوم بتفريغ مياه فيضاناته في وادي السهباء قرب الخرج. وهذه مستوطنة قديمة أخرى لـ«بني حنيفة» لا تزال تحمل اسمهم. ويتضمن إقليم العارض مستوطنات كبيرة مثل: العيينة، الدرعية، الرياض (الحجر القديمة)، ومنفوحة، بالإضافة إلى بعض المستوطنات الأصغر مثل: عِرْقة، وجُبَيْلة، والعَمّاريّة، وأبا الكِباش.

---

(١٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(١٨) في كتابات جغرافيّي القرون الوسطى، تشير العارض أو عارض اليمامة إلى جبل طويق، في حين أطلق على وادي حنيفة العِرض. انظر: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحرير محمد بن علي الأكوع الحوالي (الرياض: دار اليمامة ١٩٧٤)، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤. انظر أيضاً: الأصفهاني، **بلاد العرب**، ص٢٣١ ـ ٢٣٢ و٣٦٠ ـ ٣٦١. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أقدم المصادر المتاحة التي تسمّي منطقة وادي حنيفة باسم العارض تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري. انظر: ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ١١ ـ ١٢، و**مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب** (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، [د. ت.])، ج ٥، ص٢٠، ٦٢ و١٨٧.

الخَرْج

وجنوب العارِض، وبالتحديد عند ملتقى روافد وادي السهباء، تقع واحات الخرج الخصيبة ذات المياه الوفيرة. وتُعدّ واحة الخرج أيضاً من الأقاليم التي تمّ استيطانها قديماً، وهي غنية بالطّفال الرملي والفيضانات الموسمية التي مصدرها روافد وادي السهباء العديدة: وادي الترابي، ووادي الحَنِيّة، ووادي نساح، ووادي بَلاجين، ووادي العين، ووادي ماوّان، ووادي تُمَيْر، ووادي أُنَيْلان، ووادي السَّوط، وأودية أخرى أصغر[19]، وتنحدر كل تلك الأودية من جبل طويق. وتجدر الإشارة إلى أنَّ عدداً من العيون المائية تتدفق من الأرض في تلك الواحات. وتُعد السَّيْح، الدلَم، السُّلَمية، اليمامة، نَعْجَان، وزُمَيْقة، أكبر المجتمعات في الخرج.

الفُرع

يقع إقليم الفُرع جنوب غرب الخرج، ويضم عدداً من المستوطنات التي تقع في وادييْه الرئيسين: بُرَيْك ونَعَام اللذين ينحدران من جبل علية الذي يُعد واحداً من أعلى قمم جبل طويق. ولعلَّ أكبر المجتمعات في إقليم الفرع هي الحلوة، حَوْطَة بني تميم، الحَرِيق، المُفَيْجِر، ونَعَام.

الأفلاج

وجنوب الفرع، توجد واحات الأفلاج العديدة. ففي القرون الوسطى، كانت تلك المنطقة تحتوي على مياه وفيرة، كما أنَّها كانت مزدحمة بالسكان. وقد وصف الهمداني العيون المائية العديدة المتدفقة في تلك المنطقة، والتي تسير على الأرض، بالإضافة إلى حصونها القوية[20]. وكانت الأفلاج (العيون المائية)، التي لم يستمر وجودها لفترة طويلة، تروى بمياه فيضانات أودية عديدة تنحدر من جبل طويق. وبين واحات الأفلاج توجد

---

(١٩) ابن خميس، المصدر نفسه، ج ١، ص٣٧٢.

(٢٠) الهمداني، المصدر نفسه، ص٣٠٤ ـ ٣٠٦. و«الفلج» وفقاً لما ذكره الهمداني، كان يشتمل السوق الرئيس فيها على ٤٠٠ متجر.

مجتمعات ليلى، والبديع، والحَمَر، والسَيْح، والغَيْل، والهدّار، وأُسَيْلة، وسُوَيْدان، ومروان، وواسِط.

وادي الدواسر

وفي الجنوب الغربي من الأفلاج بنحو ١٥٠ ميلاً تقريباً، تقع واحات وادي الدواسر. وكما ذُكر سلفاً تنبع روافد هذا الوادي عند المنحدرات الشرقية لجبال عسير. وتقسم واحات وادي الدواسر إلى مجموعات على حوض الوادي؛ حيث تخترق جبل طويق ثم تتلاشى في رمال صحراء الربع الخالي. ومن أكبر مستوطنات هذا الإقليم تَمْرة، واللِّدام، والحَنابِجة، وكَمْدة.

الوَشْم

يقع إقليم الوَشْم غرب السفح الشمالي لجبل طويق، ويضم مجتمعات عديدة من «بني تميم»، وتتفرق تلك المجتمعات في عدد من الأودية التي تقوم بتصريف مياه الهضبة الجيرية المائلة إلى الصفرة: صفراء الوَشْم التي تجري من الشمال إلى الجنوب، متوازية مع جبل طويق، وبين صفراء الوشم وجبل طويق يوجد هناك شريط رملي (عُريق البلدان)، وسهل حصوي (الحمادة)، حيث تفرغ أودية الصفراء وجبل طويق مياهها. وتجدر الإشارة إلى أنَّ ثمَّة عدداً من السهول الطينية تتكون بواسطة الفيضانات الموسمية. ولعلَّ من أهم مستوطنات إقليم الوَشْم: أشيقر، وشقراء، وثرمدا، ومَرات، أُثَيْفِيه، والقَرائن، والقَصَب، والفَرعة، والحريق.

إقليم القصيم

يقع حوض وادي الرمة بين الطرف الشمالي لجبل طويق وجبل شمر، ويشكل هذا المنخفض الذي يمتد من الغرب إلى الشرق لنحو ٥٠ ميلاً قلب إقليم القصيم الخصيب ذي الأمطار الوفيرة. وكما هو مذكور أعلاه يقوم وادي الرمة بتصريف مياه كل الأجزاء الشمالية من نَجْد تقريباً، ويتم تغذية وادي الرمة بواسطة الروافد الطويلة والعديدة التي تتجمّع عند قناته الرئيسة

من جبل شمر، حرّة خيبر، وعالية نجد، مثل: وادي الطرفاوي، ووادي الرّقب، ووادي العاقلي، ووادي الجرير، ووادي الذاث، ووادي المحلاني، ووادي القهد، ووادي الشعبة، وأودية أخرى عديدة[٢١]. قلّما يحدث فيضان ضخم في وادي الرمة، وعندما يحدث فنادراً ما يصل إلى نفود الثويرات التي تعترض قناة الوادي. ومع ذلك، عندما تحدث تلك الفيضانات العرضية، فإنها تكون قوية ومدمرة، وتستمر تلك الفيضانات في العادة فترة طويلة[٢٢]، مدمّرة بذلك مستوطنات في طريقها[٢٣]، وصانعة بحيرات مؤقتة[٢٤]. ويُعزى هذا إلى العدد الكبير من روافد هذا الوادي، وكذلك المنطقة الواسعة التي تجمع تلك الروافد مياهاً منها. ويتكوّن حوض الوادي من سهول من الحصى وكثبان رملية على ضفتيه، ويتخلل الكثبان الرملية في بعض الأماكن، منخفضات رملية (خبب) وسهول طينية (خباري)، والتي تترسب فيها الرواسب التي تحملها المياه، وتكون المياه قريبة من السطح، ويتراوح عمقها ما بين ٥ أقدام و١٨ قدماً في مناطق موجودة على مجرى السيل أو قريبة منه[٢٥]، وبين ٦ قامات و١٢ قامة (أي بين ٣٦ و٧٢ قدماً) في الواحات الواقعة على مسافة أبعد من قناة الوادي، مثل: «عنيزة وبريدة»[٢٦]. وهناك مجتمعات أخرى في القصيم، وهي: الشماس[٢٧]،

---

(٢١) محمد بن ناصر العبودي، **بلاد القصيم** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩)، ص٢٤٨٨ ـ ٢٤٩٣.

(٢٢) في العام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م، استمر الفيضان الذي اجتاح وادي الرمة لمدة ٤٠ يوماً. انظر: إبراهيم بن صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، قام بتحريره حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦)، ص١٤٧.

(٢٣) في أعوام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م، و١١٩٢هـ/١٧٧٨م، دمِّرت بلدة عنيزة بسبب الفيضانات التي اجتاحت وادي الرمة. انظر: المصدر نفسه، ص٨٥ ـ ٩٧، ومحمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، تحت عنوان «تاريخ نجد»)، ص٦٥.

(٢٤) في العام ١٨٣٨م، أسهم الفيضان الذي اجتاح وادي الرمة في خلق بحيرة بلغ طولها ٢٠٠ ميل مربع، بالقرب من مدينة عنيزة. انظر:
John Gordon Lorimer, *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia*, vol. 2: *Geographical and Statistical*, pp. 1602-1603.

(٢٥) Philby, *Arabia of the Wahhabis*, pp. 180-183.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١٩٦ ـ ١٩٧، ٢٦٠ ـ ٢٦١ و٢٧٩.

(٢٧) لم يعد لتلك المستوطنة أي وجود، فقد هجرها السكان في العام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م نتيجة الصراع المتعلق بمد نطاق سلطة السعودية ونفوذها إلى إقليم القصيم، بالإضافة إلى المدينة التي تقع بجوارها وهي مدينة بريدة.

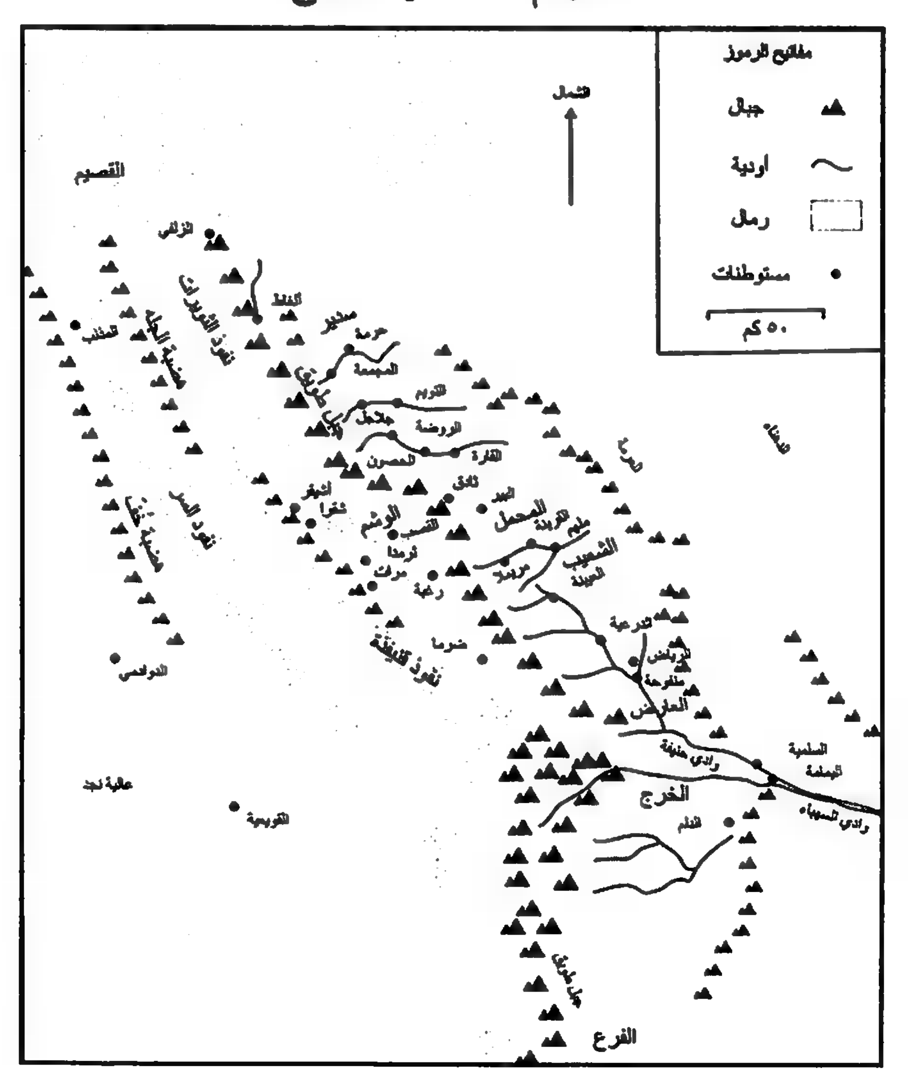
والخبرا، والرسّ، والهلالية، والنبهانية، قصر ابن عقيّل، والشماسية، والشقة.

جبل شمر

يقع جبل شمر شمال وادي الرمة، وبالتحديد بين وادي الرمة والنفود الكبير. ويقع جبل شمر في أقصى شمال نَجْد، وهو يضم عدداً من المستوطنات. وتنحدر أوديته، والتي أكبرها وادي العش ووادي الحائل، باتجاه الشمال، والشرق والجنوب؛ حيث تجمُّع فيضانات الجبلين المنخفضين، وهما: «أجا» و«سلمى»، والهضاب المجاورة. وتُعد قفار، وسميْرا، وحائل، وبقعاء، وفيد، وموقق، من أكبر المجتمعات الموجودة في جبل شمر.

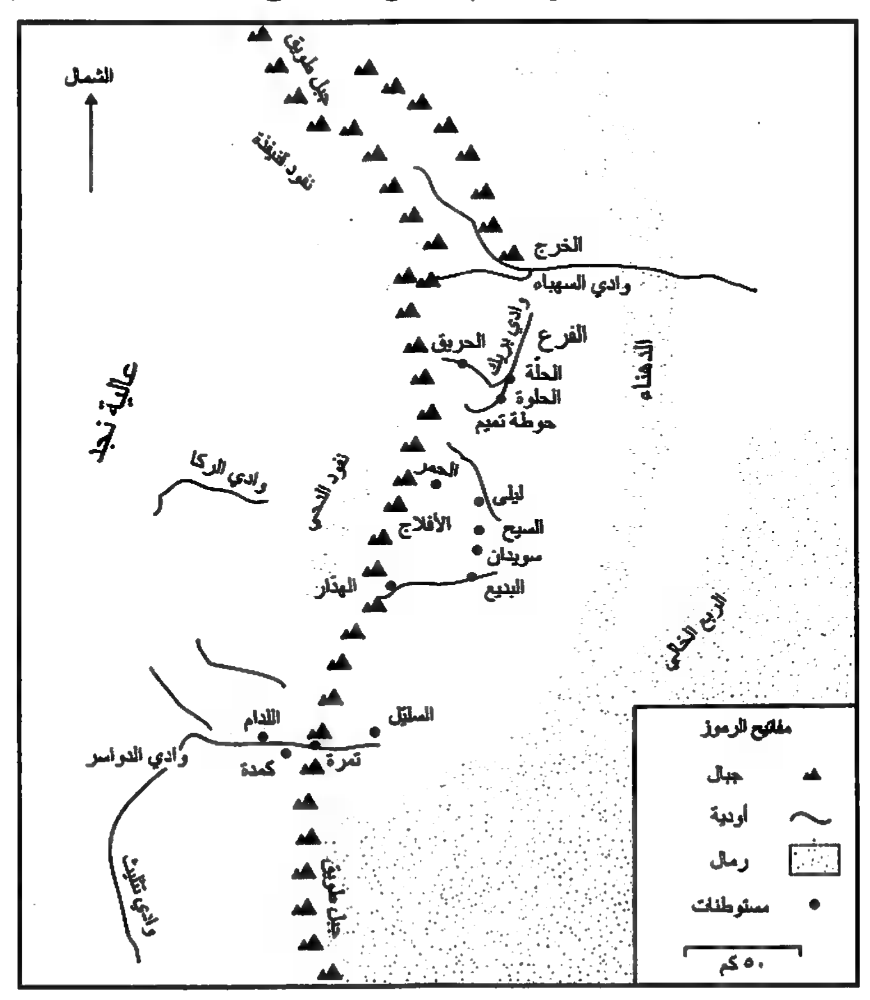
ويتضح من هذا التدوين الخاص بالأقاليم التي تمَّ استيطانها في نَجْد، أنَّ المستوطنات دائماً ما ترتبط بالأودية في هذه الأماكن، وقد نما السكان المستقرون وازدهرت الزراعة، حيث وُجِدت التربة الخصبة ومصادر المياه. وفي نجد توجد المستوطنات فقط في الأودية، إذ إن نَجْداً لا يتساقط فيها أمطار كافية، أو ليس فيها أنهار جارية. ونتيجة لذلك، ومنذ زمن سحيق، فإن سافلة نَجْد، وخاصة المنحدرات الشرقية من جبل طويق وحوض الرمة، هي الأقاليم التي تطوّرت فيها الزراعة واستقرار السكان. وتقوم الأودية العديدة لتلك الواحات بجمع المياه والتربة الخصبة من مناطق أوسع كثيرة وترسّبها على ضفافها، وكذلك في أحواضها. وتتكون طبقات التربة السميكة التي تقوم بتشرب وامتصاص مياه الفيضانات الموسمية، وتخزنها قريباً من سطح الأرض. إضافة إلى ذلك، فقد تمَّ حفر الآبار بهدف الوصول إلى خزانات المياه الموجودة في باطن الأرض، واستخدامها طوال العام. ولعلَّ الحالة مختلفة في «عالية نَجْد»؛ حيث تكون الصخور النارية والمتحولة أقدم وأقل سهولة من حيث تكسيرها إلى أجزاء صغيرة بفعل عوامل التعرية. وتفتقر أودية هذا البلد المنبسطة الضحلة وتربته الرقيقة إلى المواد العضوية اللازمة للزراعة، وفضلاً عن ذلك، فإن المياه الجوفية في هذا البلد محدودة، وهو ما يجعل هذا الجزء من نَجْد صالحاً للرعي فقط.

الخريطة الرقم (١ ـ ٣)
المستوطنات المهمة في أقاليم: سدير، والمحمل، والشعيب، والوشم، والعارض، والخرج



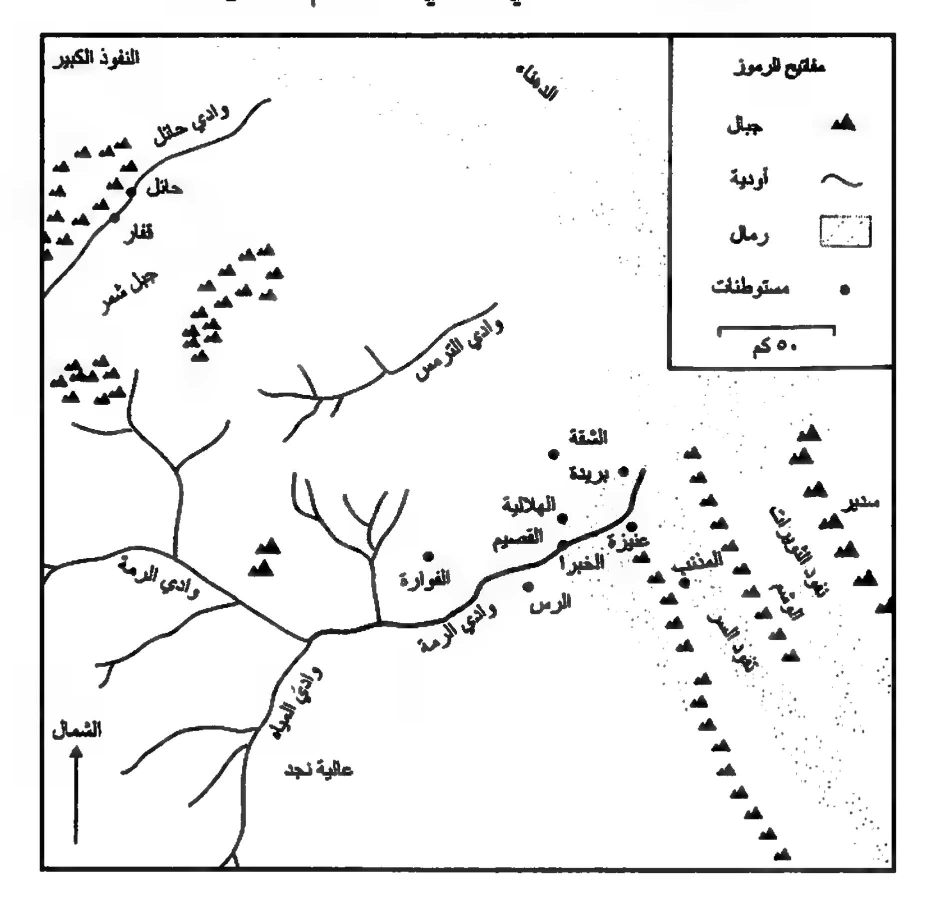
الخريطة الرقم (١ ـ ٤)

المستوطنات المهمة في أقاليم: الفرع، والأفلاج، ووادي الدواسر



الخريطة الرقم (١ ـ ٥)

المستوطنات المهمة في أقليمَي: القصيم، وجبل شمر



مناخ نَجْد وبيئتها الطبيعية

تقع هضبة نَجْد، تقريباً، بين خطيْ عرض ٢٠ و٢٨ درجة شمالاً، وهو الموضع الذي يجعلها داخل خطوط العرض الاستوائية الجافة والساخنة. هذا بالإضافة إلى الحقيقة القائلة بأن نَجْد بعيدة كل البعد عن مسطحات المياه الكبيرة التي ربما كانت لتسهم في اعتدال مناخها؛ ولذلك، فإنَّ نَجْداً تُعد بلداً صحراوياً من حيث درجة الحرارة وسقوط الأمطار.

والفرق بين درجات الحرارة في نَجْد في فصلَي الصيف والشتاء شاسع؛ ففي الوقت الذي يصل فيه متوسط درجة الحرارة في الرياض والقصيم خلال

شهر تموز/يوليو إلى ٣٥,٣ درجات مئوية و٣٤,٥ درجات مئوية على التوالي، تنخفض تلك الحرارة إلى ١٣,٢ درجة مئوية و١١,٩ درجات مئوية في شهر كانون الثاني/يناير[٢٨]. ويصل الفرق، أحياناً، بين أعلى درجات الحرارة وأقلها خلال العام إلى ٤٧ درجة مئوية[٢٩]. وكما أن الجليد والصقيع معروفيْن في نجْد، وهي الظواهر المناخية التي تؤدي إلى إتلاف المحاصيل، وإهلاك الدواب[٣٠].

وخلال فصل الصيف، تقع شبه الجزيرة العربية بين مركزيْن للضغط المنخفض: واحد إلى الشمال الغربي ويتركز على إيران والهند، والآخر إلى الجنوب الغربي ويتركز على إثيوبيا (الحبشة). وتصبح شبه الجزيرة العربية ميداناً معركة لمواجهات بين الرياح القادمة والذاهبة في اتجاهات متعاكسة[٣١]، وهو ما يسفر، أحياناً، عن عواصف رملية وغبار. ومع ذلك، فإن الرياح السائدة في الصيف هي رياح «السموم» (وهي ريح ساخنة وجافة)، التي تهب من الجنوب.

أما في فصل الشتاء، فتكون الرياح السائدة هي رياح «الشمال» التي تهب من آسيا الوسطى. وتتسم تلك الرياح بأنها باردة جافة. وفي أواخر موسم الشتاء وبداية الربيع، تحلُّ محل رياح الشمال تلك رياح أخرى معتدلة ورطبة تكون قادمة من شرق البحر الأبيض المتوسط، والتي تكون مسؤولة عن الأمطار القليلة التي تسقط في نَجْد. ويذكر أنَّ تساقط مياه الأمطار يكون في معظمه نتيجة لتكاثف السحب، وعواصف مطيرة لفترة

---

(٢٨) بندقجي، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص٤٢٣ و٤٢٩. يعتمد المؤلف في إحصائياته على الكتاب السنوي للإحصائيات الخاصة بالمملكة العربية السعودية (الكتاب الإحصائي السنوي) الذي أصدرته الحكومة. وتغطي الإحصائيات الخاصة بالطقس فترة تمتد إلى ١١ عاماً بدءاً من عام ١٩٦٧ إلى ١٩٧٧.

(٢٩) عزت النص، «المزاج الطبيعي لمنطقة نجد،» مجلة كلية الآداب (جامعة الرياض)، السنة ١ (١٩٧٠)، ص٢٦ ـ ٢٧. ويشار هنا إلى أن الإحصائيات الخاصة بالطقس والمستخدمة في تلك المقالة تعتمد على البيانات والأرقام التي تمَّ جمعها بواسطة مكتب الأرصاد الجوية التابع لوزارة الدفاع السعودية.

(٣٠) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٩؛ الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ص٤٨ و٦٧، وعثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج ٢، ص٢٣٠.

(٣١) النص، المصدر نفسه، ص٢٢ ـ ٢٣، وبندقجي، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص١١٥ ـ ١١٧.

قصيرة، كما أنَّ التساقط لا يكون بصورة دورية أو مستمرة، ويعزى السبب في تساقط الأمطار بصورة رئيسة إلى التصادمات بين الرياح التي لها درجات حرارة مختلفة والرطوبة القادمة من اتجاهات مختلفة[٣٢]. ولعلَّ أهم تلك الأمطار هي التي تسقط في أواخر موسم الخريف وبداية الربيع، والتي تُعرف محلياً بـ«الوسمي». ويذكر أنَّ أمطار «الوسمي» التي تتساقط خلال الموسم الدافئ، يكون لها تأثير إيجابي في المراعي في نَجْد؛ نظراً إلى أنها تسهم في إحياء الأعشاب والشجيرات على السهول ونموّها.

ويشار إلى أنَّ متوسط الأمطار السنوية في نَجْد يكون دون مستوى ٢٥٠ ملليمتر[٣٣]، وهي الكمية اللازمة للزراعة التي تعتمد على الأمطار فقط، ويصل متوسط الأمطار السنوي في الرياض والقصيم إلى ١٣٧,٥ ميلليمتر، و١١٠,٨ ملليمتر على التوالي[٣٤]؛ ولذلك، تعتمد الزراعة في نَجْد بصورة رئيسة على المياه الجوفية، وإضافة إلى ذلك، فإن تلك الزراعة تتركز لهذا السبب، في الواحات المنتشرة في الأودية. وخلال الفصل الممطر، تتم زراعة بعض الروضات الواقعة قرب المستوطنات بواسطة الناس في تلك المجتمعات؛ لكن هذا يحدث، فقط، عندما تكون هناك كمية وفيرة من الأمطار.

إنَّ المشكلة في هطول الأمطار في نَجْد لا تتمثّل في ندرتها فحسب، ولكن في تدميرها للزراعة، وتأثيرها سلباً في تربية الحيوانات الداجنة في البلاد، وتفاوت سقوطها وانتظامه سواء خلال العام الواحد أو على مدار سنوات عديدة. وإضافة إلى ذلك، فإن الأمطار التي تتساقط خلال عام ما لا يتوزع هطولها على نحو معقول على مدار العام كله، أو حتى خلال فترة الموسم المطير (الشتاء أو الربيع). هذا ويُعد النموذج الصحراوي للأمطار واحداً من العواصف المطرية وسقوطِ الأمطار الغزير، والتي تستمر، فقط، لجزء من الساعة في كل مرة، وقد بلغ إجمالي الأمطار الذي سقط في عام ١٩٧١، ١٥٠ ملليمتراً، والذي استمر لمدة أسبوعين، بدءاً من السابع

---

(٣٢) المصدران نفسهما، ص٢٩ ـ ٣٠، وص١١٥ ـ ١١٧. على التوالي.

(٣٣) النص، المصدر نفسه، ص٣١. انظر الجدول الرقم (١ ـ ١).

(٣٤) بندقجي، المصدر نفسه، ص٤٥٥. يُعد هذا هو المعدل لعشر سنوات، بدءاً من١٩٦٧ إلى ١٩٧٧.

والعشرين من شهر آذار/مارس إلى العاشر من شهر نيسان/أبريل، وقد سقط نحو نصف إجمالي مياه هذه الأمطار في يوم واحد[٣٥]. وتمدّنا النظرة الفاحصة المتأنّية في البيانات الخاصة بسقوط الأمطار السنوي لربع قرن، من العام ١٩٥٣ إلى العام ١٩٧٧م[٣٦]، بخلفية حول مشكلة تفاوت سقوط مياه الأمطار. وفي الوقت الذي تتلقى فيه مدينة الرياض ٤٨,٣، ٢٩,٣، ١٥,٥ ملليمتر من مياه الأمطار خلال الأعوام ١٩٥٤، ١٩٥٦، ١٩٦٦ على التوالي، نجدها قد تلقت ٢٢٠,٤، ٢٢٩,٧، ٢٥٧,٧ ملليمتر خلال الأعوام ١٩٥٥، ١٩٧٢، ١٩٧٦ على التوالي. وتصل المشكلة إلى ذروتها إلى الحد الذي يمكن أن تتحول فيه إلى كارثة عندما تمر سنوات عديدة متعاقبة، ولا يسقط المطر إلا بكميات قليلة. وفي مثل تلك الحالات، لا يلحق الضرر الحقيقي أرزاق الرحّل وحدهم عندما يحدث قحط في عام واحد، ولكنه يلحق، أيضاً، السكان المستقرين الذين يقعون في براثن المجاعة والأمراض الناتجة من سوء التغذية. وإضافة إلى ذلك، تنضب مياه الآبار، وتصبح الزراعة نتيجة لذلك ضرباً من ضروب المستحيل، ويهجر الناس مستوطناتهم أو يهلكون داخل ما بقي منها. وفي أغلب الأحيان، فإنه عندما يستمر القحط لسنوات عديدة تصبح المستوطنة مهجورة بكاملها؛ حيث يتركها سكانها متوجهين إلى إقليم آخر في نَجْد أو إلى الأحساء والعراق[٣٧].

تحكَّمت الظروف المناخية وسقوط المطر في حياة الناس في نجد إلى الحدّ الذي أعطى فيه مؤرخوهم اهتماماً خاصاً للأحداث المناخية؛ فقد قام

(٣٥) عبد الرحمن صادق الشريف، **مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن** (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٠)، ص٩١ ـ ٩٢. يستخدم المؤلف البيانات التي تمَّ جمعها بواسطة مطار الرياض.

(٣٦) انظر الجدول الرقم (١ ـ ١)، بالنسبة إلى متوسط الأمطار السنوية التي تسقط على مدينة الرياض.

(٣٧) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٢؛ ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٢٢؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقات ١٥ و٣٧ ـ ٣٨؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٩٤ ـ ٩٨ و١١٣؛ ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢١٣ و٢٣٥ ـ ٢٣٦، وعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦). وقعت الأحداث في أعوام ٨٦٨، ١٠٤٧، ١٠٦٥، ١٠٧٧، ١١٢٨هـ.

هؤلاء المؤرخون بتسجيل الأعوام التي سقطت خلالها مياه الأمطار بوفرة، وسنوات القحط، والكوارث الطبيعية، والعواصف المدمرة، والفيضانات، وكذلك الجليد. على صعيد متصل، تمَّ تسجيل سبع موجات كبرى من القحط خلال القرن الحادي عشر الهجري، بينما سجلت ثماني موجات في القرن التالي. وربما يستمر القحط من عام إلى أربعة أعوام[٣٨]، ولكن معظمه يستمر لمدة عامين أو ثلاثة[٣٩]. ومع ذلك، فإنَّه عندما تسقط الأمطار، على نحو متكرر، لا تسبب تدميراً أقل؛ إذ يلحق بالبلدان والمجتمعات الواقعة على مجاري السيل، وقد ورد ما يفيد بتعرّض عدد من المدن للدمار الكامل أو الجزئي بسبب العواصف المفاجئة، والعواصف المطيرة أو الفيضانات العارمة المعروفة بـ«الوسمي»[٤٠].

ولا شكّ في أنَّ الموقع الجغرافي والظروف المناخية السائدة في نَجْد تحدِّد من جانبها نمط الحياة، وكذلك الأنشطة التي يمارسها أهلها. وما من خيار أمام المرء إلا أن يكيّف نفسه ـ لكي يستطيع البقاء حياً ـ مع الظروف البيئية القاسية وغير المرغوبة السائدة في الإقليم.

وتُعدّ نَجد إقليماً صحراوياً مغطى بسهول صوانية وحصوية ورمال. وتتسم التربة بأنها رديئة ورقيقة ما يجعلها صالحة فقط لنمو بعض الشجيرات الصحراوية الشوكية والأعشاب التي تزهر بعد سقوط أمطار الشتاء، ويحدث هذا على نحو خاص في عالية نَجْد، التي تسكنها عصبات القبائل الرحّل من الجزيرة العربية.

هذا وتختلف سافلة نَجد عن عالية نَجد في أن تكويناتها الجيولوجية أحدث وأنعم من حيث الملمس؛ ومن ثَمَّ فهي أكثر عرضة للتآكل بفعل

---

(٣٨) المنقور (في مخطوطة ابن منصور)، ورقتان ١٤ ـ ١٥؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقات ٧ ـ ٣٥؛ ابن عيسى، المصدر نفسه، ص١٠٨ ـ ١٠٩، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢١٢.

(٣٩) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقتان ٥٧ ـ ٥٨؛ ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٩٤ ـ ٩٨، ١١٣ و١٢١؛ البسام، المصدر نفسه، الأحداث وقعت في أعوام ٨٦٨، ١٠٦٥، ١٠٧٧ ميلادياً، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ١، ص٦٦ وج ٢، ص٢١٠.

(٤٠) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقات ٢٤، ٣٢ ـ ٣٣ و٧١، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ١، ص١٤٧ وج٢، ص٢٣٠.

عوامل التعرية، كما أن تضاريسها متغيّرة. وتتعرض الهضاب المكونة من الحجر الجيري، وخاصة جبل طويق، لمياه الأمطار. كما تُوجّه الفيضانات التي تحمل الطمي والطفال الرملي عبر الأودية العميقة. وتُركز تربة خصبة سميكة على المجرى، وتنقّى بواسطة مياه الفيضانات؛ ولذلك، فإنَّ التربة الخصبة والمياه النفيسة، التي تجمعت من منطقة واسعة، تتركز في أرض الأودية الأضيق من حيث المساحة، ما يجعل في الإمكان تأسيس مجتمعات زراعية، ودعم سكان نَجْد المستقرّين منذ العصور القديمة، وتمكِّن مياه الفيضانات، التي تمَّ امتصاصها وتخزينها في باطن الأرض بواسطة تربة الوادي، المستوطنات في سافلة نَجْد والقصيم من أن تنجو من مواسم القحط التي تحدث بصورة دورية ومنتظمة.

لقد فرضت الظروف المناخية المضطربة التي لا يمكن التنبؤ بها على النجديين أن يحيوا حياة قاسية وغير مستقرة، وحتى السكان المستقرون في المجتمعات الموجودة في سافلة نَجْد يحيون نمط الحياة غير المستقر نفسه، الذي أُجبر عليه نظرائهم من مواطني بلدهم الرحّل. وإلى ذلك، فإنه من الممكن أن يتسبب القحط المستمر في تحويل مستوطنة، إقليم، أو حتى بلد بأكمله إلى أرض قاحلة جرداء. وفي الوقت ذاته، فإنَّ الرخاء والعسر، ليست من الحالات التي يتحكم فيها المرء في نَجْد، فعبر تاريخها شهدت فترات عديدة من الرخاء والشدة.

الجدول الرقم (١ ـ ١)

الأمطار السنوية في مدينة الرياض (بالمللميترات)

السنة	كمية الأمطار	السنة	كمية الأمطار
١٩٥٣	١٥٧,٩	١٩٦٦	١٥,٥
١٩٥٤	٤٨,٣	١٩٦٧	٢١٩,٦
١٩٥٥	٢٢٠,٤	١٩٦٨	١٠٧,٢
١٩٥٦	٢٩,٣	١٩٦٩	١٧٢,٧
١٩٥٧	١٥٣,٤	١٩٧٠	١٤٨,٠
١٩٥٨	٩٠,٩	١٩٧١	١٣١,٧

١٩٥٩	٦٩,٦	١٩٧٢	٢٢٩,٧
١٩٦٠	٤٩,٦	١٩٧٣	٦٩,٣
١٩٦١	٦٠,٣	١٩٧٤	٧٤,١
١٩٦٢	٧٣,٠	١٩٧٥	١٧٧,٠
١٩٦٣	٩٣,٠	١٩٧٦	٢٥٧,٧
١٩٦٤	١٤٧,٠	١٩٧٧	٦١,٦
١٩٦٥	٨٠,٠		

ملاحظة: أخذت البيانات الخاصة بالفترة من عام ١٩٥٣ إلى ١٩٦٩ من: عزّت النص، «المزاج الطبيعي لمنطقة نجد،» **مجلة كلية الآداب** (جامعة الرياض)، السنة ١ (١٩٧٠)، في حين أخذت البيانات الباقية من: حسين حمزة بندقجي، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ط ٣ (جدة: دار الشروق، ١٩٨١).

الفصل الثاني

خلفية تاريخية

يقوم هذا الفصل بإجراء مسح لأهل نَجْد، وخاصة سكان اليمامة المستقرين عند بزوغ فجر الإسلام، ثم بعد ذلك بتتبع التطور السياسي والديمغرافي في البلد خلال القرون التسعة الأولى من العصر الإسلامي، ويكمن الهدف من وراء ذلك تحرّي نمو أعداد السكان المستقرين والرحّل وتراجعها، والظروف السياسية التي سادت إبان تلك الفترة من أجل إيجاد خلفية ربما يتم من خلالها دراسة الظروف التي سادت في القرون الثلاثة التالية.

سكان اليمامة قبل الإسلام

كانت اليمامة[1] التي تتطابق، على نحو أقل أو أكثر، مع الإقليم الجغرافي المعروف بـ«سافلة نَجْد»، واحدة من أكثر الأجزاء المأهولة بالسكان والمستوطَنة في الجزيرة العربية. وخلال العصر الجاهلي، كان يسكن اليمامة قبيلتان معروفتان في الدراسات التاريخية الزمنية بـ«طسم، وجديس»[2]، وبالنظر إلى «الحصون» الضخمة و«البتل» العالية، ونظم الري

---

(١) الامتداد الدقيق لليمامة ليس موضع اتفاق بين الجغرافيين، الذين أصابتهم حالة من التشويش بسبب تقلبات سلطة حكام الإقليم. ونستنتج من الأماكن التي ذكر علماء جغرافيون، أمثال: ياقوت والأصفهاني والهمداني، أنها تقع في اليمامة، بأن المنطقة تضم تقريباً المناطق الشمالية والوسطى من جبل طويق (أو عارض اليمامة)، وكذلك المتخفضات والسهول التي تقع شرق هذا الجبل وغربه، والتي تقوم الأودية الواقعة في تلك الهضبة بتصريف مياهها فيها. انظر: الحسن بن عبد الله الأصفهاني، **بلاد العرب**، تحرير حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٦)، ص٢٣١ و٣٢٥ ـ ٣٢٧، وعبد الله بن محمد بن خميس، **معجم اليمامة** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ج ١، ص١٦ ـ ١٧.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٩)، ج ١، ص٤٥٢ ـ ٤٥٣، وأبو الحسن عز الدين بن الأثير، **الكامل في التاريخ** (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦)، ج ١، ص٣٥١ ـ ٣٥٤.

الحديثة التي خلفها هؤلاء البشر القدامى ـ والتي كان بعضها لا يزال موجوداً في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[٣] ـ يبدو أن «طسم وجديس»، كانا شعباً من البنائين والزراعيين.

ويُعزى اندثار هؤلاء البشر الذين لا يُعرف عنهم الكثير إلى الصراع الذي نشب بين الجماعتين؛ وهو ما دفع إلى تدخل الحميري ملك اليمن الذي قام من جانبه بغزو اليمامة في القرن الخامس الميلادي[٤]. ويذكر أنَّ البلد قد تعرض للدمار، وتفرّق أهله جراء هذا الغزو مخلفين وراءهم بقايا حصونهم وأبراج المراقبة وحدائقهم.

سكان نجد عند بزوغ الإسلام

بنو حنيفة

قبل نحو قرنين من بزوغ فجر الإسلام، هاجرت مجموعة من القبائل تعرف بـ«بني بكر بن وائل» من الحجاز وعالية نَجْد إلى اليمامة والبحرين[٥]. وذكرت المصادر التاريخية أنَّ بني بكر بن وائل قد وجدوا المساكن والحدائق المهجورة التي كانت مملوكة لقبيلتي «طسم وجديس» في اليمامة التي

---

(٣) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحرير محمد بن علي الأكوع الحوالي (الرياض: دار اليمامة ١٩٧٤)، ص٢٨٤ و٣٠٤ ـ ٣٠٦، المبلغ النجدي للهمداني، أبو مالك أحمد بن محمَّد بن سهل اليشكري والذي أخبره بأنه قد رأى واحداً من تلك «البتل» التي كان يبلغ طولها ٢٠٠ ذراع، أو ما يزيد ارتفاعها عن ١٠٠ متر.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، وابن الأثير، المصدر نفسه. انظر أيضاً: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، كتاب معجم البلدان، ١٠ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦)، ج ٨، ص٥١٧ و٥٢٢. وجد جون فيلبي الذي قام برحلات كثيرة وعلى نطاق واسع في شبه الجزيرة العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين، نقوشاً سبئية في وادي مأسل الجُمَح الذي يبعد ٥٠ كيلومتراً جنوب شرق الدوادمي في عالية نَجْد. وقد ورد ذكر أبي كرب أسعد وولده حسان يهأمن في واحدة من تلك النقوش على أنهم قد قاموا ببناء حصن في المنطقة للملك الذي حكم، وفقاً لما قاله فيلبي، في نهاية القرن الرابع الميلادي. وثمة نقش آخر يعود تاريخه إلى عام ٦٣١م من عهد سبأ (٥١٦م). وتؤكد تلك النقوش صحة الأخبار التي أوردها المؤرخون حول حكم الحميريين في نَجْد. انظر:

St. John Philby, "Motor Tracks and Sabaean Inscriptions in Najd," *The Geographical Journal*, vol. 116, nos. 4-6 (October-December 1950), pp. 211-215.

(٥) في كتابات مؤرخي قرون الوسطى، كان يشار إلى الحجاز دائماً على أنها هي أصل الهجرات التي قامت بها القبائل التي تنتمي إلى فرع عدنان من العرب. انظر أيضاً: عبد الرحمن صادق الشريف، مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٠)، ص٣٨ ـ ٤١.

احتلوها، ومن غير المستحيل أن نعزو الاختفاء الكامل لشعبين إلى الغزو الذي طالبت به إحدى القبيلتين ضدّ الأخرى. ومن المرجح أن تكون «طسم وجديس» قد اندثرتا؛ إما بسبب أنهما شابهتا، على نحو ناجح، مجتمع الوافدين الجدد (بنو بكر بن وائل)، وإما بسبب أنهما قد وقعتا ضحايا لكارثة بيئية وبائية. ومن وجهة نظر الكاتب، فإن احتمالية أن حدثاً مثل هذا قد حصل أكثر انسجاماً مع الأخبار التي وجدت في المصادر التراثية؛ أقصد بذلك أن بني حنيفة من بني بكر بن وائل وجدت حصوناً مهجورة وحدائق.

لقد استوطن عدد من قبائل بني بكر بن وائل، أو على الأقل فروع منها، اليمامة؛ أقصد بذلك بني حنيفة، وبني ذهل، وبني ثعلبة، وبني قيس بن ثعلبة، وبني يشكر. في حين استمرَّ آخرون ـ مثل: بنيْ شيبان، وبني عجل، وبني تيم الله، وبني ثعلبة، وبعض فروع من بني قيس بن ثعلبة، وبني يشكر ـ في التنقل في الصحراء بين اليمامة والضفاف الغربية للخليج العربي ونهر الفرات[٦]. ويتجلى مستوى الرفاهية التي وصل إليها بنو بكر بن وائل، والقوة التي حافظوا عليها في اليمامة في صدر الإسلام، من خلال المقاومة الشرسة التي أظهروها ضدّ المسلمين خلال حروب الردة[٧].

ولعلَّ أبرز قبائل بني بكر بن وائل في اليمامة كانت بني حنيفة الذين احتلوا أقاليم وادي قُرّان، ووادي حنيفة، والخَرْج (جو الخضارم). وكانت كبرى مستوطناتهم هي قُرّان، وحجر، والخضرمة. وكان رئيس بني حنيفة، وهو معاصر للنبي محمد، هو هوذة بن علي السحيمي الحنفي (ت. ٦٣٠م)، والذي كان «ملكاً» أو «حامل راية» السكان المستقرين بالدرجة الأولى[٨]. وقد نجح هوذة في الحفاظ على علاقات مميزة وفريدة مع الفرس، فضلاً عن أنه هو الذي حمى طرق التجارة التي تلتقي في نطاق الأراضي التي يحكمها من العراق، واليمن، ومكة[٩]. وإضافة إلى ذلك، فقد كانت المستوطنات العديدة التي،

(٦) Fred McGraw Donner, "The Bakr B. Wâ'il Tribes and Politics in Northeastern Arabia on the Eve of Islam," *Studia Islamica*, no. 51 (1980), pp. 17-18.

(٧) المصدر نفسه، ص١٩.

(٨) لمزيد من التفاصيل حول المستوطنات المختلفة لـ بني بكر بن وائل وبني حنيفة في اليمامة، انظر: الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٢٨٢ ـ ٢٨٥، والأصفهاني، **بلاد العرب**، ص٣٥٧ ـ ٣٦٢.

(٩) Dale Eickelman, "Musaylima: An Approach to the Social Anthropology of Seventh Century Arabia," *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol. 10, no. 1 (July 1967), pp. 31-32.

لمعرفة تفاصيل عن العلاقات التجارية بين اليمامة ومكة، انظر: =

بحسب الأصفهاني والهمداني وياقوت، تخصّ بني حنيفة، وقبائل أخرى من بني بكر بن وائل، وكذلك الجيش الكبير الذي يبلغ قوامه ٤٠,٠٠٠ مقاتل[١٠]، الذي جمعه مسيلمة وهزم المسلمين مرتين، قبل أن ينزل به الجيش الإسلامي المسلمين مرتين قبل أن ينزل بهم الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد هزيمة منكرة، كل هذه أدلة دامغة على الكثافة السكانية في اليمامة، والقوة، والنضج السياسي الذي كان يميز عامة الناس في اليمامة في ذلك الوقت.

بنو كعب بن عامر في الفلج (الأفلاج)

في الجزء الجنوبي من اليمامة، كان هناك إقليم زراعي غني آخر يُعرف بـ«الفلج»، علماً بأن أهل هذه المنطقة الأصليين ليسوا معروفين. فخلال عصر صدر الإسلام، كانت الفلج تخضع لسيطرة بني كعب، وهم فرع من قبيلة «بني عامر بن صعصعة». وبحسب نقش موجود في جنوب الجزيرة العربية، كانت المنطقة القبلية الأصلية لـ«بني عامر بن صعصعة»، في القرن السادس الميلادي، تتمركز حول واحات «تربة ورنية» الواقعة ناحية الحجاز الشرقية والممتدة ناحية الجزء الجنوبي من عالية نجد[١١]. وهاجر فرع من مجموعة القبائل هذه يُدعى «بني عقيل»، في الاتجاه الجنوبي الشرقي من «بيشة» و«عقيق تمرة أو عقيق عقيل» (وادي الدواسر)[١٢]. وثمة فروع أخرى، مثل: بني كعب وبني نمير، هاجرت في الاتجاهات الشرقية والشمالية من جنوب طويق (الفلج) والأراضي المرتفعة الواقعة غربه وشماله. أما بنو كلاب، وهم فرع آخر، هاجروا في الاتجاه الشمالي الشرقي إلى المنطقة، أي جزء مما سيسمى لاحقاً «حمى ضِرِيّة»[١٣].

Fred McGraw Donner, "Mecca's Food Supplies and Muhammad's Boycott," *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol. 20, no. 3 (October 1977), p. 262.

(١٠) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٢، ص٥٠٥ ـ ٥١٦، وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٢، ص٣١٦.

(١١) W. Caskel, "Amir B. Sain: *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., vol. 1, p. 441.

(١٢) عقيق هو مصطلح يشير إلى أي وادٍ كبير تتسع قناته وتتعمق بواسطة السيل. هذا وتعد عقيق تمرة وعقيق عقيل أسماء قديمة لوادي الدواسر الحالي. وقد اكتسب هذا الوادي نسبته إلى عقيل والدواسر بوصفهما القبيلتين اللتين تعاقبتا على احتلال هذا الوادي. انظر: ياقوت الحموي، كتاب **معجم البلدان**، ج ٦، ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

(١٣) Caskel, Ibid., pp. 441-442.

ويشار إلى أنَّ تاريخ تلك الهجرة واسعة النطاق لبني عامر بن صعصعة ليس معروفاً. وفي عام ٦٦هـ/ ٦٨٥ ـ ٦٨٦م لقي «بنو قشير» و«بنو جعدة» من بني كعب هزيمة في ذي المجاز الواقعة شمال الفلج، وذلك على أيدي خوارج وادي حنيفة(١٤). وخلال عشرينيات القرن الثاني الهجري/أربعينيات القرن الثامن الميلادي وقعت سلسلة من الـ«أيام» (معارك) بين بني حنيفة وبني كعب ونظرائهم من قبائل بني عامر بن صعصعة، حيث انتصر بنو عامر بن صعصعة في نهايتها(١٥). ويبدو أنَّ قبل هذا الوقت، كان بنو كعب قد سبق أن استقروا بوصفهم مستوطنين في الفلج. ويصف الأصفهاني والهمداني ـ اللذان عاشا في القرنين الثالث الهجري/التاسع الميلادي والرابع الهجري/العاشر الميلادي على التوالي ـ الفلج على أنها بلد بني جعدة، وبني قشير، وبني الحريش من بني عامر بن صعصعة. واشتملت الفلج على عدد من القرى التي فيها بساتين نخيل مترامية الأطراف، والتي تروى بواسطة عدد من السيوح (العيون أو الجداول)، وكذلك البيار (الآبار). وكان يتم توفير الحماية لتلك القرى وبساتين النخيل من خلال عدد من الحصون الضخمة. وفي الوقت ذاته، كانت السوق الموجودة في الفلج محصنة تحصيناً قوياً، وكانت تضم ٤٠٠ متجر و٢٦٠ بئراً للمياه، وكثيراً ما كانت تؤمه القبائل العربية كافة (نزار واليمن)(١٦).

وكانت هناك أنشطة قليلة لبني كعب، وبني عقيل، وبني كلاب والتي تمَّ تسجيلها وتدوينها في سجلّات الترتيب التاريخي للأحداث الخاصة بالنبي، وحروب الردَّة، وكذلك عندما وصل جيش خالد بن الوليد إلى اليمامة. وقد ذكر الطبري وابن الأثير أنه بعد وفاة الرسول ورفض الكثير من الجماعات القبلية الاعتراف بسلطة خليفته أبي بكر الصديق، انتظرت تلك الجماعات القبلية الثلاث نتيجة معركة البزّاخة التي نشبت بين جيش المسلمين و«بني أسد»، و«غطفان»، و«طي»، وبهزيمة بدو شمالي نجد، استسلم رئيسا بني كعب وبني كلاب لقائد جيش المسلمين الذي أرسلهم إلى المدينة المنورة(١٧).

(١٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٤، ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

(١٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص٢٩٨ ـ ٣٠١.

(١٦) الأصفهاني، **بلاد العرب**، ص٢٢١ ـ ٢٢٧؛ الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٣٠٤ ـ ٣٠٦، وياقوت الحموي، **كتاب معجم البلدان**، ج ٦، ص٣٩١ ـ ٣٩٢.

(١٧) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٢، ص٤٨٣ ـ ٤٨٦، وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٢، ص٣٤٩.

ولعلَّ الحقائق القائلة بأن بني كعب قد ربطوا مصيرهم بمصير بدو بني أسد، وغطفان، وطي، وليس بمصير جماعات بني حنيفة المستقرة، يشير إلى أنهم كانوا يحيون حياة بدوية في عالية نَجْد، كما أنهم لم يستقروا كمستوطنين في الفلج. ومن غير الممكن أن يكون بنو جعدة، وبنو قشير، وبنو الحريش قد بنوا مثل تلك الحصون والأدوات الزراعية التي وصفها الهمداني. فمما لا شك فيه أنَّهم قاموا بطرد المستوطنين الأصليين في الإقليم أو إخضاعهم، أو أنهم وجدوا أيضاً قرية بالكاد تكون مسكونة أو مهجورة، كما في حالة بني حنيفة[١٨]. وباستثناء الفروع الثلاثة من بني كعب سالفة الذكر، فإن السواد الأعظم من بني عامر بن صعصعة كانوا بدواً يسيطرون على معظم القسم الأوسط والجنوبي من عالية نَجْد، إبان القرن الثاني وطوال القرن الخامس من العصر الإسلامي.

بنو تميم

تُعدّ المناطق الجنوبية والغربية من اليمامة، سدير والوَشْم والمقاطعة الجنوبية الشرقية من القصيم، الحدود الغربية لمنطقة بني تميم القبلية[١٩].

وخلال عصر النَّبيّ وحروب الردة، كان بنو تميم، بالدرجة الأولى، رحلاً، وقد وصفت المصادر رؤساءها[٢٠] ـ عطارد بن زرارة، والأقرع بن حابس، ومالك بن نويرة، والزبرقان بن بدر، وعاصم بن قيس ـ ووفودهم التي أرسلوها إلى المدينة على أنهم من الرحّل. ولعل من أبرز ما يوضح السلوك والطابع البدوي لبني تميم كانت الطريقة الخشنة والقاسية التي تصرف بها وفودهم عندما أتوا إلى المدينة في عام ٩هـ/ ٦٣٠[٢١]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الطابع السلوكي الذي يميز بني تميم كان قد تمَّت الإشارة إليه في

---

(١٨) إن أقوى القلاع والحصون الموجودة في الفلج تعود إلى عهد طسم وجديس، انظر: الهمداني، المصدر نفسه، ص٣٠٥.

(١٩) إنَّ قلب منطقة بني تميم القبلية كانت تقع بين اليمامة والبحرين، وقد امتدَّت شمالاً إلى منطقة الحيرة المجاورة في جنوب العراق. انظر: الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٤٦ ـ ٣٢٤. ولهدف هذه الدراسة، يتم فقط مناقشة مناطق بني تميم القبلية في نَجْد.

(٢٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص٤٩٥ ـ ٥٠٠.

(٢١) المصدر نفسه، ص٣٧٧ ـ ٣٨١.

القرآن الكريم[٢٢]. وإضافة إلى ذلك، فقد أشير إلى صدقات بني تميم، سواء تلك التي تمت إحالتها إلى المدينة، وتلك التي تمَّ احتجازها، على أنَّها كانت جمالاً، والتي تُعد من الأشياء التي لا غنى عنها بالنسبة إلى الرحّل[٢٣].

وفي التدوينات التي تؤرخ لحروب الردّة، لم يرد ذكر أيٍّ من قرى بني تميم على الإطلاق. وفي السياق ذاته، لم يسكن رؤساء بني تميم في القرى أو حتى دافعوا عنها[٢٤]. ومن خلال تعداده للمنازل التي كان يقطنها بنو تميم، قدَّم لنا الأصفهاني (٣هـ/ ٩م)[٢٥] خبريْن: في **الأول**، سرد عدداً من أسماء الأمكنة الموجودة في الكرمة (سدير)، والوشم، والقصيم، والتي بقي العديد منها. وتُعرف تلك الأماكن بـ«ماء، وماءة، ومياه» (مكان ورود الماء؛ في المفرد، المؤنث، والجمع على التوالي). وغالباً ما تستخدم كلمة ينزلون (يعسكر أو يحتل) لوصف علاقة بني تميم بالمكان[٢٦]. ومن الواضح أنَّ كلمتَي «مياه» و«منازل» لم تكن هي بيوت السكان المستقرين.

كانت القصيم هي المنطقة القبلية الخاصة ببني أسد وبني عبس، بالإضافة إلى بعض الأقسام التي تنحدر من بني تميم[٢٧]. وتُعرف القبائل السابقة بوصفها من الرحل، وكل الأماكن التي ذكرها الأصفهاني في هذه

---

(٢٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [القرآن الكريم، «سورة الحجرات،» الآيات ٢ ـ ٥].

(٢٣) الطبري، المصدر نفسه، ج ٢، ص٤٩٥.

(٢٤) أسر مالك بن نويرة، الشيخ التميمي البارز، على أيدي المسلمين وقتل في البطاح وسط صحراء جنوب القصيم. انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص٥٠١ ـ ٥٠٢. للحصول على مزيد من التفاصيل حول البطاح، انظر: محمد بن ناصر العبودي، **بلاد القصيم** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩)، ص٥٩١.

(٢٥) إن نسب كتاب بلاد العرب إلى الحسن الأصفهاني ليس أمراً قاطعاً. ويعتقد واحد من الذين قاموا بتحرير الكتاب وهو الدكتور صالح العلي أن الكتاب قد كتب بواسطة عبد الملك الأصمعي (ت. ٢١٦هـ/ ٨٢٨م). وإذا كان هذا حقيقياً، فإن المعلومات التي وردت في الكتاب لا بد من أنَّها تشير إلى الظروف التي كانت سائدة في الجزيرة العربية والتي عاش خلالها الأصمعي هو ومن قاموا بإبلاغه بالمعلومات: القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

(٢٦) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٤٦ ـ ٢٧٢.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٧٩ و٢٦٨ ـ ٢٧١.

المنطقة هي مياه، باستثناء قريتي ابن عامر، الفوّارة والنبهانية، والتي ذكر أنها قرى. وتدين تلك القرى في تطوّرها للأهمية الكبيرة التي حظي بها طريق الحج من العراق إلى مكة، وذلك خلال العصر العباسي الأول، بالإضافة إلى روح التنمية التي كان يتحلى بها ولاتها[(٢٨)].

ويتحدث الخبر الثاني عن قرى الوشم؛ وأعني بذلك ثرمدا، ومرات، وأثيفية، والقصيبة، وذات غسل، وشقرا، وأشيقر. وقد ورد أيضاً في الخبر ذاته أنَّ معظم منطقة الوشم تتبع بني امرئ القيس[(٢٩)]، وهم فرع من بني تميم، ويبدو أن بني امرئ القيس كانوا هم الأوائل بين بني تميم الذين نزلوا في تلك القرى واستوطنوها؛ ولذلك، فَقَد بنو امرئ القيس مكانتهم في مجتمع بني تميم الأصلي البدوي الأرستقراطي (المتنفّذ)[(٣٠)]. وقد وضح ذلك جلياً في الشعر الهجائي لـ«جرير» (ت. ١١٠هـ/ ٧٢٩م)، والذي استبعدهم من التصنيفات الأرستقراطية الأربعة لبني تميم؛ مبرراً ذلك بأنهم لا يستحقون ذلك[(٣١)].

ووفقاً لمصادر نجدية مطلعة، وصف الهمداني (الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) وادي الفقي (وادي سدير) الذي يُعدّ هو الوادي الرئيس للكرمة (سدير)، على أنه مملوء بالقرى الكبيرة التي يتوافر

---

(٢٨) طوّرت القريتان التابعتان لابن عامر في بادئ الأمر بواسطة عبد الله بن عامر بن كريز، الذي عاش في أول العصر الإسلامي. وبعد ذلك، أعيد تطوير هاتين القريتين من جانب موظّف آخر، جعفر بن سليمان بن علي الذي انتمى إلى الأسرة العباسية، تولى الخلافة في العراق والحجاز في العقدين الخامس والسابع من القرن الثاني الهجري. انظر: المصدر نفسه، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠، وياقوت الحموي، **كتاب معجم البلدان**، ج ٧، ص٧٠. انظر أيضاً: إبراهيم بن إسحاق الحربي، **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحرير حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٩)، ص٥١٨، ٥٨٨ ـ ٥٨٩ و٦١٠. وقد ورد ما يفيد بأن بساتين النخيل الموجودة في الفوّارة تخص السلطان (الخليفة أو ولاته) (الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٧٠ و٣٨٩).

(٢٩) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٧٢ ـ ٢٧٤.

(٣٠) لمناقشة العلاقة بين البدو الرعاة (الأرستقراطية البدوية (البدو المتنفذون))، والمجموعات البدوية الأضعف والسكان المستقرين في الجزيرة العربية، انظر:

Fred McGraw Donner, *Early Islamic Conquests* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981), chap. 1, esp. pp. 28-33.

(٣١) انظر الأبيات الشعرية الهجائية لجرير، في: نعمة محمد أمين طه، محرر، **ديوان جرير**، بشرح محمد بن حبيب، ٢ ج (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١)، ج ٢، ص١٠٢٩.

فيها أسواق، فضلاً عن وفرة بساتين النخيل والآبار. ويذكر الهمداني: جمّاز، قارة بلعنبر، والحائط، والروضة، وقارة الحازمي، وتَوَم [تويم] وأشي، والخَيْس كمستوطنات لبني تميم في هذا الوادي(٣٢). وإذا ما تمَّ مقارنة هذا الخبر بوصف الأصفهاني للمنطقة ذاتها، يمكن التوصّل إلى نتيجة مفادها أن استيطان بني تميم في سدير كان قد بدأ في القرن الثالث الهجري/ القرن العاشر الميلادي. وفي عهد سابق، اعتادت بنو حنيفة أن تتملّك عدداً من المجتمعات في وادي الفقي، مثل: موسوم (أو موشوم)، والقارة(٣٣)، والتي يبدو أنَّ مستوطني بني تميم الجدد قد سلبوها من قبيلة بني حنيفة المتضعضعة.

اليمامة إبان الخلافتين الراشدة والأموية

بعد الفتح الإسلامي لليمامة والهزيمة المنكرة التي نالتها بنو حنيفة، أضحت اليمامة إقليماً شهيراً خلال فترة حكم الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين من بعدهم؛ لكن قوة بني حنيفة السياسية قد أُنهكت وضعفت بفعل حروب الردة. وفضلاً عن ذلك، فإن الحكام الذين تمَّ إرسالهم من المدينة إلى دمشق كان يتم اختيارهم بدقة وعناية من القبائل التي كانت أعداء تقليديين لبني حنيفة. لقد أسهمت الفتوحات الإسلاميَّة ـ التي شهدتها بلاد العراق وفارس وخراسان وغيرها من البلدان إبان حكم الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين ـ في إنهاك الطاقات، وأضعفت من الاهتمام السياسي لأهل اليمامة ونَجْد، ويبدو أن الظروف في اليمامة كانت مستقرة إلى الحد الذي تكون معه الاستثمارات الزراعية آمنة(٣٤).

وخلال البلبلة التي أعقبت وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١ ـ ٦٨٠م)، انتهز متمرد من بني حنيفة يُدعى نجدة بن عامر الحنفي الذي أصبح فيما بعد زعيم الخوارج، الفرصة ليعبّر عن عدم رضى

(٣٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣٣) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٦٣.

(٣٤) ورد ما يفيد بأن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان لديه ٤٠٠٠ عبد يعملون في المزارع الموجودة في الخضرمة باليمامة، قبل عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص٢٠١.

كل من بني حنيفة والخوارج عن الحكم الأموي. وفي عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م، أقنع نجدة أهل اليمامة أن يتبعوه. وبمساعدة أهل اليمامة، نجح نجدة في إلحاق الهزيمة ببني كعب، والاستيلاء على الفلج، ثم حول وجهته إلى البحرين، التي استولى عليها هي الأخرى أيضاً. وبعد ذلك قاد قواته إلى عمان، واليمن، وحضرموت، والطائف في الحجاز[٣٥]. وبعد ذلك بثلاث سنوات، وبالتحديد في عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م، بدا نجدة خصماً للسلطة الدينية السياسية العليا للإسلام، عندما ارتفعت رايته عالية على عرفات على مقربة من مكة، وكان ذلك خلال موسم الحج، في مواجهة خصوم آخرين مثل: محمَّد بن الحنفية، وابن الزبير، والأمويين[٣٦].

لقد تناقصت ثروات نجدة وبني حنيفة؛ وذلك بسبب تعزيز السيادة الأموية من قبل عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥م) ورجعيّة أتباع نجدة. وفي العام ٧٢هـ/ ٦٩١م، قُتل نجدة بن عامر الحنفي على يد واحد من أتباعه، وكان يُدعى أبا فديك[٣٧]. وفي العام التالي، قُتل أبو فديك وهُزم جيشه في البحرين من جانب جيش الأمويين الذي تمَّ إرساله من العراق[٣٨].

وقد أرسل حاكم قوي وهو إبراهيم بن عربي الكناني إلى اليمامة من قبل عبد الملك بن مروان، بهدف إعادة تأسيس وتوطيد الحكم الأموي في نَجْد ومن الأدلة التي توضّح قوة السلطة الأموية في نَجْد في هذا الوقت هي السجن (الدوّار) الذي بناه ابن عربي للمتمردين واللصوص، وهو السجن الذي تمَّ تخليده في الشعر الذي كان يكتبه نزلاؤه[٣٩].

وما إن اغتيل الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ ـ ٧٤٤م)؛ حتى شعر بنو حنيفة بالمصير الغامض للأسرة الأموية الحاكمة. وتحت قيادة المهير بن سلمى الحنفي، ثار بنو حنيفة على حاكمهم علي بن المهاجر

(٣٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص٢٠١ ـ ٢٠٤.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٩٦.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.
(٣٨) المصدر نفسه، ص٢٠٦ ـ ٣٦٢.
(٣٩) حمد الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص٦١ ـ ٦٢.

الكلابي[٤٠] وطردوه. وخَلَف المهيرَ عبد الله بن النعمان، الذي بدأ ينتهج سياسة توسعية مدفوعاً في ذلك بالنجاح الذي أحرزه نجدة بن عامر الحنفي قبل نصف قرن. فقد أخضع عبد الله بن النعمان بني كعب من بني عامر بن صعصعة من الفلج بعد عدد من الهزائم[٤١].

ويُشار إلى أنَّ الظروف التي كانت موجودة في اليمامة لم تكن تصبُّ في مصلحة بني حنيفة في هذا الوقت. ومن ثَمَّ، فقد أخذ بنو حنيفة يزدادون ضعفاً، ولم يكن لديهم الحمية الدينية التي كانت لدى خوارج نجدة. في غضون ذلك، كان نجم بني عامر بن صعصعة قد بدأ بالصعود في الجزيرة العربية، ومن سوء طالع ابن النعمان وعمر بن الوازع (الذي من المحتمل أن يكون خليفته) أنَّهم قد استفزوا بدو بني عامر بن صعصعة واستنفروهم ضدهم، وعند غزوهم لأراضي بني عامر الموجودة في الفلج وعالية نجد، وحّد بنو عقيل، وبنو كعب، وبنو نمير من بني عامر قواتهم، ووجهوا ضربة قاضية لبني حنيفة في موقعة يوم النشاش والتي لم يفيقوا منها أبداً[٤٢].

اليمامة إبان الخلافة العباسية الأولى

عزم الخلفاء العباسيون أن يوطدوا سلطتهم في اليمامة ونَجْد، وذلك من خلال إرسال شخص ثقة من الهاشميين وهو السرّي بن عبد الله الهاشمي؛ لكي يتولى حكم اليمامة. ويبدو أنَّ الأمور قد سارت على ما يرام بالنسبة إلى العباسيين إلى باقي القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي في نَجْد. وكان هناك مؤشران على استقرار الظروف، والاهتمام الكبير الذي منحه الخلفاء العباسيون اليمامة: الإيالة الكبيرة التي خضعت لسيطرة عامل (حاكم) اليمامة، والنسبة الكبيرة من الضرائب التي كانت تدفع للخزينة العباسية من تلك الإيالة.

ويذكر الأصفهاني أنَّ جامع ضرائب اليمامة كان يجمع الضرائب في جوف المربد (قرب البصرة)، وركبة (رحلة ليلتين من مكة)، ورمال اليمن

(٤٠) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٥، ص٢٩٨.
(٤١) المصدر نفسه، ص٢٩٨.
(٤٢) المصدر نفسه، ص٣٠٠.

(واحة بيشة)، والبحرين (الأحساء، التي كان حاكمها تابعاً لحكام اليمامة)، ووادي القرى، وجبل طي (جبل شمر)، ومن قبائل بني تميم في الشرق، وقبائل بني عامر بن صعصعة في الغرب، باستثناء بني كلاب من حمى ضرية[٤٣]. وقد قدّر قدامة بن جعفر الذي عمل خلال حكم الخليفة المكتفي (٢٨٤ ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ ـ ٩١١م)، في كتابه الذي حمل عنوان **الخراج**، أنّ الضرائب التي كان يتم جمعها من اليمامة بلغت ٥١٠,٠٠٠ دينار[٤٤]. وهذا العائد ضخم جداً ليتم جمعه من إقليم مثل اليمامة. وإلى ذلك، تُعد المنطقة الكبيرة التي خصصّت لحاكم اليمامة، فضلاً عن كمّ الضرائب الكبير المقرر تحصيله من تلك المنطقة، أدلة واضحة على السلطة القوية للخلفاء العباسيين، وممثليهم في نَجْد، وكذلك على مستوى الرفاهية التي كان ينعم بها هذا البلد.

وقد بدا أنَّ بني حنيفة ما زالوا مستمرين في الازدهار في اليمامة، على الرغم من أنَّهم لم يُظهروا أيّة رغبة في الاستقلال السياسي. فقد ظلَّ بنو حنيفة يشكّلون آنذاك السواد الأعظم من سكان حجر التي كانت العاصمة الإدارية لليمامة حتى أكثر من منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وكانت حجر تُعد واحدة من الحواضر الكبرى، المنابر الأولية للجزيرة العربية[٤٥].

وابتداءً من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بدأ الخلفاء

---

(٤٣) الأصفهاني، **بلاد العرب**، ص٣٢٥ ـ ٣٢٧، تأسست حمى ضرية، منطقة الرعي المحصنة التي تقع بين المدينة ووادي الرمة، على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للجمال الخاصة بجيش المسلمين. ونظراً إلى قرب المنطقة من المدينة ووقوعها على طريق الحج العراقي، كان يتم تخصيصها، تقليدياً، لحاكم المدينة الذي كان مسؤولاً، عادة، عن سلامة قوافل الحجيج.

(٤٤) Adolf Grohmann, "Al-Yamama," in: *Encyclopaedia of Islam*, vol. 4, p. 1154.

لا بد من أنه قد تمّ جمع هذا المقدار من الضرائب خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، أو النصف الأول من القرن التالي، حيث لم تعد كل من اليمامة والبحرين تحت هيمنة العباسيين في عهد الخليفة المكتفي وقدامة بن جعفر. وقد فُقدت البحرين واليمامة لمصلحة القرامطة ثم بني الأخيضر على التوالي.

(٤٥) الحربي، **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، ص٦١٦ ـ ٦١٧، والأصفهاني، **بلاد العرب**، ص٣٥٧. انظر أيضاً: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، **الأخبار الطوال**، وأحمد بن حمد بن فقيه الهمذاني، **كتاب البلدان**، جميعهم ورد ذكرهم في: الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**.

العباسيون يعتمدون في إدارتهم للحكم والجيش على عناصر غير عربية وبصورة أكبر من أي وقت مضى (على سبيل المثال، الفرس والأتراك). وحين ازداد ضعف الحكومة المركزية، وكذلك تنامي قلة رعاية العرب في العراق من قبل الخلافة العباسية، أصبح الاتصال بين الجزيرة العربية والعراق وحكومتها أضعف من ذي قبل، وقد رأى الخلفاء الضعفاء والجيش التركي والولاة الفرس، أن لا نفع من إهدار طاقتهم ومواردهم من أجل توطيد سلطتهم في أقاليم نائية ومملوءة بالمتاعب مثل نَجْد واليمامة. لكن الجزء الوحيد من الجزيرة العربية الذي لم يقدر الخلفاء العباسيون على إهماله كانت الحجاز، ولا سيما المكانان المقدسان فيها وهما مكة والمدينة وطريق الحج القادم من العراق إلى هاتين البقعتين المقدستين.

وخلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، نمت أعداد الجماعات القبلية لبدو بني عامر بن صعصعة، وزاد أذاهم، إذ إنهم سيطروا على وسط الجزيرة العربية بأكمله من الحجاز الشرقية في الغرب إلى اليمامة في الشرق، ولقد تسبّبت تصرفاتهم التي تتسم بالشغب والتمرد في زعزعة السلام في الأماكن المقدسة الموجودة في الحجاز، وطرق الحج، وقرى اليمامة. وفي هذا الصدد، أرسل الخليفة الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ ـ ٨٤٧م) واحداً من قادته الأتراك، ويُدعى بُغا الكبير إلى المدينة؛ كي يُخضع بني سليم وبني هلال في الحجاز ونَجْد[٤٦]. وقد قضى بُغا ما يزيد عن عامين في حملاته العربية، والتي هزم خلالها بني سليم وبني هلال، قبل أن يواصل حملته على القبائل التي يمر طريق الحج العراقي من خلال أراضيها؛ مثل: طي وغطفان.

لقد انتهز أهل اليمامة المستقرون فرصة وجود جيش في الجزيرة العربية، وطلبوا من شاعر نجد عمارة بن عقيل الخطفي من قرية مرات الموجودة في الوشم أن يتوسل إلى الخليفة الواثق أن يوجّه حملة بُغا ضد بني نمير من بني عامر بن صعصعة، الذين كانوا يُغيرون على اليمامة وينهبون خيراتها هي والمناطق المجاورة[٤٧]؛ ونتيجة لذلك، فإنه في عام ٢٣٢هـ/

---

(٤٦) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٧، ص٣٢٢ ـ ٣٢٣، وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٧، ص١٢ ـ ١٣.

(٤٧) الطبري، المصدر نفسه، ج ٧، ص٣٣٤ ـ ٣٤٥.

٨٤٦ ـ ٨٤٧م، توجّه بُغا نحو بني كلاب وبني نمير في عالية نَجْد والجزء الغربي من اليمامة. وبعد إخفاق كبير، تمكَّن بغا الكبير من إلحاق الهزيمة ببني نمير، وأرسل قوة عسكرية لتتعقّبهم وتتبعهم في تبالة (بيشة) قبل العودة إلى البصرة ومعهم عدد كبير من الأسرى[٤٨].

لقد كانت حملة بُغا هي المحاولة الأخيرة التي استطاع فيها الخلفاء العباسيون أن يتفقوا معاً؛ كي يحافظوا على سلطتهم التي كانت في تضاؤل مستمر في اليمامة. ولعل من الأشياء المهمة لأغراضنا في هذه الدراسة هو أن تدوين تلك الحملة يسلط الضوء على الحالة القائمة في نَجْد واليمامة، فلم تعُد القبائل المهيمنة في نَجْد واليمامة هي بنو أسد، وبنو تميم، وبنو بكر بن وائل، وباهلة، والذين احتوتهم الفتوحات الإسلاميَّة والمدن الحامية في الأراضي التي كان يتم فتحها على أيدي المسلمين. لقد ظهرت الفروع القبلية لبني عامر بن صعصعة وطي بوصفها أكبر جماعات البدو الرحّل في نجد. وقد بدت اليمامة وليس فيها حاكم في هذا التوقيت؛ لذا لم يكن هناك من أحد عليه مسؤولية الدفاع عن البلاد ضدّ الرحل، أو أن يساعد على تعزيز حملة بُغا، والإسهام في تحقيقها لأهدافها[٤٩].

حكم بني الأخيضر في اليمامة

بعد مُضي عشرين عاماً على حملة بُغا العربية، وتحديداً في عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م، ثار متمرد علوي يُدعى محمَّد الأخيضر في الحجاز مع شقيقه إسماعيل؛ ولكنه فشل. وقد نجح محمَّد الأخيضر بعد ذلك في أن يكون حاكم اليمامة[٥٠]. ولم يكن مقرّ إقامته في حجر التي كانت العاصمة التقليدية

---

(٤٨) المصدر نفسه، ص٣٣٤ ـ ٣٣٧. انظر أيضاً: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٧، ص١٩ ـ ٢٠ و٢٧ ـ ٢٩.

(٤٩) في عام ٢٣١هـ/ ٩٤٢ ـ ٩٤٣م، وفي أثناء حملة بُغا، تمَّ تعيين حاكم لليمامة والبحرين في بغداد، وليس معروفاً ما إذا كان هذا الحاكم قد وصل إلى اليمامة. انظر الطبري، المجلد رقم ٧، صفحة ٣٣٠.

(٥٠) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم**، ٧ ج (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨)، ج ٤، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.انظر أيضاً: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، طبعة بربيه =

لليمامة؛ ولكن كان في الخضرمة بالخرج الواقعة إلى الجنوب الأقصى من حجر(٥١). وتجدر الإشارة إلى أنه لم تكن تتوافر المعلومات الكافية حول أسرة بني الأخيضر التي أسسها هذا المتمرد، ولعلّ نقص المعلومات المتاحة حول بني الأخيضر في المصادر الاعتيادية الثابتة من المحتمل أنه يعود إلى حجم أملاكهم الضئيل وانعزالها، وكذلك التحيّز الموجود لدى المؤلّفين السُنّة ضد أيديولوجية بني الأخيضر.

إنَّ حدود إمارة بني الأخيضر ليست معروفة، ومع ذلك فإنه بسبب الضغط الممارس على أملاكهم من الغرب والجنوب من قبل رحّل بني عامر بن صعصعة، وكذلك من الشرق من قبل القرامطة الذين استقروا في البحرين قبل العقد التاسع من القرن الثالث الهجري؛ فإنه من غير الممكن أن يكون نطاق الإمارة التي أسسها بنو الأخيضر واسعاً أو هائل الحجم. جعل أبو مالك اليشكري، مبلّغ الهمداني، الخضرمة والقرى التابعة لها فقط، (الخرج) لبني الأخيضر(٥٢). وعلى الجانب الآخر، يخبر ياقوت عن سلطة ابن سيرين بأن أهل قرّان قد هاجروا إلى البصرة في عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢ ـ ٩٢٣م، ويُعزى هذا بصورة جزئية إلى الظلم الذي تعرضوا له على أيدي بني الأخيضر(٥٣). وعلى الأرجح أن تكون أملاك بني الأخيضر قد اشتملت على الخرج، ووادي حنيفة، كما أنها تمتد شمالاً إلى وادي قرّان؛ إذ إن تلك المنطقة قد شكّلت وحدة سياسية واحدة منذ عهد هيمنة بني حنيفة.

ويذكر أن اليمامة قد عانت من سوء حكم بني الأخيضر(٥٤). وبالإضافة

= دي مينار وبافيه دي كرتاي؛ عني بتنقيحها وتصحيحها شارل بلا، ٧ ج (بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٤)، ج ٥، ص٨٧ و٩٠ ـ ٩١.

(٥١) الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ص٦٩.

(٥٢) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٢٨٢.

(٥٣) ياقوت الحموي، **كتاب معجم البلدان**، ج ٧، ص٤٦، ووادي قران (الشعيب) يقع على بعد نحو ١٠٠ ميل شمال غربي الخرج.

(٥٤) إن التمرد الذي قاده إسماعيل الأخيضر وشقيقه محمد في الحجاز كان يتّسم بعنف منظّم من جهة المتمردين في تعاملاتهم مع عامة الناس. انظر: ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم**، ج ٤، ص٢٠٩ ـ ٢١٠، وأحمد بن علي الداودي بن عنبة الحسني، **عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب**، حقق نصوصه نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة [د. ت.])، ص٩١ ـ ٩٢.

إلى الخبر السابق ذكره، والذي يدور حول المحنة التي مرَّ بها الناس في قران، يبيِّن ابن حوقل أن الظلم الذي مارسه بنو الأخيضر قد حدا بأهل اليمامة، وربيعة، ومضر، وتميم أن يرحلوا إلى شرقي مصر[٥٥]. ومع ذلك، فلم يحدد ابن حوقل ما إذا كان هؤلاء المهاجرون بدو أم من السكان المستقرين، ويشار أيضاً إلى أنَّ هناك شكوكاً حول مصداقية خبر ابن حوقل لأربعة أسباب هي:

أولاً: أنَّ نجاح الثورة ضدّ الحكومة المركزية، مثل ثورة بني الأخيضر هذه، تعتمد على دعم محلي. فليس من المعقول أن يكون بمقدور بني الأخيضر الذين لم يكن لديهم دعم خارجي، أن يقوموا بطرد أهل اليمامة بالآلاف، كما هو مذكور في الخبر. وفضلاً عن ذلك، فإنه إذا كانت الهجرة الجماعية لأهل اليمامة قد حدثت بالفعل، فإنه لا بد من أن يكون ثمَّة سبب آخر ـ ومن المحتمل أن يكون هناك عدة أسباب ـ وأقلها على الأرجح هو سوء حكم بني الأخيضر.

ثانياً: أن الاتجاه الطبيعي التقليدي الذي هاجر فيه أهل اليمامة سواء أكانوا رحلاً أم مستقرين، كان الشرق والشمال إلى العراق، والبحرين (الأحساء)، والشام. وقد كانت مصر هدفاً للهجرات التي كانت تأتي من الحجاز على نحو خاص.

ثالثاً: إن خبر تهجير أهل اليمامة ومحنتهم قد تمَّ تضمينه من قبل ابن حوقل في خبر آخر، كان يتناول حملة عسكرية بطولية كان قد أرسلها الخليفة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ ـ ٨٦١م) ضدّ مملكة البجة في النوبة؛ وذلك لأن واحداً من البجة كان قد أهان اسم النَّبيّ محمَّد ويقال بأن المهاجرين الجدد كانوا قد شاركوا في الحملة، ومن الواضح للعيان أن ابن حوقل كان يحاول أن يشوّه سمعة بني الأخيضر، ويرفع من شأن الخليفة العباسي[٥٦].

---

(٥٥) أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل، **كتاب صورة الأرض** (بيروت: دار مكتبة الحياة، [د. ت.])، ص٣٨ و٥٨ ـ ٥٩. يرجع ابن حوقل تاريخ هجرة سكان اليمامة إلى عام ٢٣٨هـ، مفترضاً أن بني الأخيضر قد استقروا في اليمامة في وقت أقدم من الوقت الذي سجله معظم المؤرخين.

(٥٦) من الممكن أن يُنظر إلى تلك الحملة النوبية، التي تنسب إلى الخليفة المتوكل في سياق الموقف الضعيف لهذا الخليفة إزاء جيشه التركي.

رابعاً: يُدرج الطبري الذي كان مصدر ثقة أكثر من ابن حوقل ـ الحملة النوبية ضمن أحداث عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦م[٥٧]، أي قبل عشرة أعوام من استقرار بني الأخيضر في اليمامة. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يذكر مشاركة أي جماعات من نجد في هذه الحملة.

وفي الخبر الذي تمَّ الاستشهاد به في كتاب ياقوت حول هجرة أهل قرّان، لم يكن «الحَيْف» (الظلم) الذي مارسه بنو الأخيضر هو السبب الوحيد الذي ذكر في سياق الحديث عن محنتهم، فجدب أرضهم (القحط الذي أصاب دولتهم) قد تمَّ الإشارة إليه على أنه سبب آخر. ويبدو أن هذا السبب الأخير كان هو الحقيقي، أو على الأقل، الرئيس بالنسبة إلى كل المهاجرين من نَجْد؛ فموجات القحط كانت هي المسؤولة عن أحداث الهجرات الجماعية الأخيرة من نَجْد إلى العراق والأحساء، وهي الأحداث التي لدينا خلفيات معرفية جيدة حولها.

صعود بدو بني عامر بن صعصعة في نَجْد

شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان/ التاسع والعاشر الميلاديان، الكثير من أحداث الفتنة والشغب والاضطراب، وكذلك هجرات كثيرة بين الرحّل في نجد. لقد تمَّ، سابقاً، توثيق الاضطرابات والقلاقل التي قامت بها جماعات البدو الرحّل من بني عامر بن صعصعة، وطي إبان النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي، وكذلك حملة بُغا التي تمَّ إرسالها من بغداد لتكبح الاضطرابات التي تسببوا فيها. وشهد النصف الثاني من ذلك القرن هجرات واسعة النطاق لتلك الجماعات القبلية ناحية الشمال والشمال الشرقي قاصدين الشام والبحرين (الأحساء) والعراق. لقد أصبحت قبائل «طي» هي الجماعة المسيطرة من الرحّل في نجد الشمالية. ويظهر هذا من خلال الهجمات المتكررة التي كان يشنّها شيوخ تلك القبيلة على قوافل الحجّاج العراقيين التي كانت تمر عبر أرضهم[٥٨]. وفضلاً عن ذلك، فقد

---

(٥٧) يعطي الطبري سبباً أكثر منطقية وعقلانية للحملة النوبية، وهو تعليق الجزية السنوية التي كانت تدفعها البجة إلى الخليفة. انظر أيضاً: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٧، ص٣٧٧ ـ ٣٧٩.

(٥٨) المصدر نفسه، ج ٨، ص١٩٣، ١٩٨ و٢٤٩. انظر: عريب بن سعد القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، طبع مع طبعة تاريخ الرسل والملوك، الذي يستخدم في هذه الدراسة، ص٣٨، وانظر أيضاً: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٧، ص٥٥٣، ٥٠٨ و٤٩٠، وج ٩، ص٢٠٥.

ذُكرت «طي»، أيضاً، كواحدة من جماعات البدو الرحّل التي حاربت في عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦ ـ ٩٠٧م من قبل بني حمدان الذين مُنحوا حكم الموصل في العام السابق[٥٩].

وبحلول ثمانينيات القرن الثالث الهجري/ تسعينيات القرن التاسع الميلادي، بدا أن جماعات بني عامر بن صعصعة القبلية قد وصلت إلى البحرين، واستقرت هناك. وكانت قبيلة بني عقيل الفرعية لها منازلها الأصلية في «رنية وبيشة» في الوادي الذي يحمل اسمهم «عقيق عقيل» (وادي الدواسر)، في الجنوب الشرقي من الحجاز وجنوبي نَجْد[٦٠]. وثمة قبائل فرعية أخرى كانت تتجول في عالية نَجْد كما ذُكر سابقاً، مثل: بني كعب، وبني كلاب، وبني نمير. وكان حضور بني عامر بن صعصعة عاملاً رئيساً أسهم في الغارات الناجحة والسريعة التي تمكنت من خلالها طوائف القرامطة في البحرين من إرهاب الجزيرة العربية والعراق، وكان ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي، وبداية القرن التالي[٦١]. وقد سمّى ابن الأثير، على نحو خاص، بني كلاب، وبني عقيل، والخريس (الحريش من بني كعب) بوصفهم حلفاء أبي سعيد الجَنّابي، وذلك في بداية عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م[٦٢].

وعلى الجانب الآخر، فقد أسهمت الغارات والحملات الكبيرة التي كان يقوم بها زعماء القرامطة، أبو طاهر الجنّابي (ت. ٣٣٢هـ/ ٩٤٣ ـ ٩٤٤م)، وأبو الحسن الأعصم (ت. ٣٦٦هـ/ ٩٧٦ ـ ٩٧٧م)، في جعل السواد الأعظم من الرحّل الذين كانوا متمركزين في وسط الجزيرة العربية وشمالها والصحراء السورية، إما تحت سيطرتهم أو في تحالف معهم[٦٣].

---

(٥٩) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٧، ص٥٥٣.

(٦٠) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤ ـ ٧، وياقوت الحموي، كتاب معجم البلدان، ج ٦، ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

(٦١) H. Kindermann, "Ukail B. 'Amir," in: *Encyclopaedia of Islam*, Supplement, p. 254.

(٦٢) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٧، ص٤٩٥. ويذكر أيضاً أن أبا عبد الله محمد بن مقن شيخ بني عقيل كان مع القرامطة عندما أغاروا على مكة في عام ٣١٧هـ، (ج ٩، ص٢٢٥).

(٦٣) H. R. Idris, "Hilal," in: *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, p. 385.

انظر أيضاً: ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم، ج ٦، ص٢٦ ـ ٢٧ و١٢٤، وج ٤، ص١٩٠ ـ ١٩٣، حيث يوضح ابن خلدون أن أبا طاهر =

ولعل الجانب الأكثر أهمية من الغارات التي كان يقوم بها القرامطة على سوريا والعراق، كان يتمثّل في أنهم قد منحوا رحّل الجزيرة العربية الزعامة، والتي حملتهم إلى داخل المراعي الواعدة من الهلال الخصيب، وفي الوقت نفسه، كشفت هذه الغارات ضعف الحكومة العباسية وقابلية سقوط أملاكهم بيد الأعداء. وفي العام ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، نهب رحّل بني نمير وبني كلاب من بني عامر جوار الكوفة التي لم تجد من يدافع عنها ويدرأ عنها هذا الضر إلا المواطنين الذين يقطنون فيها، والذين كانوا يدافعون عن أنفسهم[٦٤].

وخلال القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي، استمر رحّل نَجْد في التسلّل إلى العراق والشام، وبقوا هناك تحت قيادة أسرة بني حمدان الحاكمة من الموصل وحلب[٦٥]. وبحلول نهاية هذا القرن وبداية القرن الذي بعده، أصبحت السلطة التي كانت تتمتع بها الكيانات الثلاثة الحاكمة التي سيطرت على الهلال الخصيب ـ البويهيون في بغداد، والحمدانيون، والفاطميون في مصر ـ ضعيفة؛ ولذلك، فقد بدأ الرحّل من بني عقيل، وبني نمير، وبني كلاب، وبني خفاجة، وبني أسد، وطي، في إنشاء أسرهم البدوية الحاكمة في الشام والعراق[٦٦]. وانضمت الجماعات الكبرى، أيضاً، من الرحّل في شرقي الحجاز وغربي نجد، ومنهم بنو سليم وبنو هلال، إلى الحملات التي يشنّها القرامطة، وعندما صدّ الخليفة الفاطمي العزيز (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ ـ ٩٦٦م) القرامطة في عام ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م، قام بدعوة قطاع كبير من بني هلال وبني سليم إلى صعيد مصر، وذلك ليجرّد أعداءه من تلك الميزة العسكرية[٦٧].

ويشار إلى أنَّ هجرة عدد كبير من الرحّل النجديين كانت وراءها دوافع

= قد ألزم رحّل الجزيرة العربية أن يأتوا بضرائبهم إلى الحجر، عاصمته، كما أنه قام باستقطاع الإعانات من بغداد وبني طغج (الإخشيديون) في دمشق.

(٦٤) ابن سعد القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٤٥٤.

(٦٥) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٤، ص٥٤٥.

(٦٦) لمزيد من التفاصيل حول تلك الأسر، انظر: المصدر نفسه، ج ٤، ص٥٤٥ ـ ٥٦٠ و٥٨٠ ـ ٦٢٥. هذا وتوزع المعلومات أيضاً في الدراسات التي تعنى بالترتيب التاريخي للأحداث لابن الأثير (ج ٩ ـ ١٠).

(٦٧) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٦، ص٢٧ ـ ٢٨ و١٤٢. انظر:
Idris, "Hilal," vol. 3, p. 385.

تتعلق بكارثة مناخية؛ مثل القحط أو حتى الفشل في تحقيق التوازن الديمغرافي (السكاني) في هذا البلد. وفي أي حال، أصبحت نجد مكتظة بالسكان، خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. وكان سبب هذا الوضع، بصورة رئيسة، مضاعفة عدد الجماعات القبلية المختلفة من بني عامر بن صعصعة وزحفها من الغرب والجنوب الغربي إبان القرن السابق. لم يكن بمقدور الموارد الطبيعية للبلد أن تؤمن معيشة مثل هذا العدد الكبير من الناس، ناهيك بالتوازن الديمغرافي (السكاني) غير المستقر أبداً، والذي كان من العوامل المزعجة. لقد استمرت مشكلة تنافس عدد كبير من الناس على موارد محدودة وضعيفة في نجد خلال القرنيْن الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين. ومع ذلك، فقد ساعد الوضع السياسي السائد في الجزيرة العربية والهلال الخصيب على حل تلك المشكلة؛ وبتفريغ نسبة كبيرة من سكانها بدت نجد أنها ستعاني ظروفاً أقل اضطراباً على مدار القرون الثلاثة التالية. وبالإضافة إلى ذلك، لم تكن الأمور في نَجْد إبان تلك الفترة معروفة لنا.

تراجع أعداد السكان المستقرين في اليمامة

وفي عام ٣١٦هـ/٩٢٨م، خاض بنو الأخيضر معركة حاسمة ضدّ القرامطة، وهي المعركة التي قتل فيها كثير من قادتهم[٦٨]. ومع ذلك، فقد استمروا في حكم اليمامة، ظاهرياً، بوصفهم تابعين للقرامطة خلال هيمنة الأخيرين، وبوصفهما حكاماً مستقلّين حتى بعد منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. ويذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي مرَّ باليمامة في عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م؛ أن أمراءها كانوا من العلويين، وقد استمروا كذلك لفترة طويلة. وقد كانت قوّتهم العسكرية في ذلك الوقت تتألّف من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ فارس[٦٩]. ويذكر مؤلف كتاب **عمدة الطالب** أربعة أمراء من بين أحفاد الحسن وإسماعيل، أبناء يوسف بن محمَّد الأخيضر. وكان إسماعيل هو الأمير في وقت المواجهات مع القرامطة

---

(٦٨) ابن عنبة الحسني، **عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب**، ص٩٢ ـ ٩٣.

(٦٩) ناصر خسرو علوي، **سفر نامه**، ترجمة وتحقيق يحيى الخشاب (القاهرة: جامعة فؤاد الأول، ١٩٤٥)، ص٩١ ـ ٩٢.

وقُتل في المعركة(٧٠).

إن الصورة التي رسمها ناصر خسرو لليمامة (الخضرمة)، وهي مقر إقامة بني الأخيضر: «وباليمامة حصن كبير قديم، والمدينة والسوق حيث صنّاع من كل نوع، يقعان خارج الحصن ولها مسجد جميل. . . وباليمامة مياه جارية في القنوات وفيها نخيل»(٧١). أما الصورة الخاصة بالفلج التي تقع على بعد نحو ١٢٠ ميلاً جنوب غرب الخضرمة، والتي قضى بها ناصر خسرو أربعة أشهر، فتختلف تمام الاختلاف. لقد كانت الفلج بلداً مخرباً، وقد تقلّصت مساحتها العمرانية إلى منطقة صغيرة، وقد سيطر على قلاعها القديمة اللصوص والمفسدون والجهلة. وفضلاً عن ذلك، فقد دُمّرت الفلج بواسطة الحرب المستمرة، والعداء القائم بين حزبين من أهلها، وكذلك الغارات التي كان يشنها الرحّل عليها. وبينما مكث ناصر خسرو في الفلج وصل إليها جيش من العرب وطلبوا ٥٠٠ تمرة (بما يقدر بنحو ٥ شحنات تحمل على الحمار)، والتي بدت أنها أتاوة، وقد رفض السكان أن يدفعوا وحاربوا. وقد قُتل من أهل القلعة عشرة رجال وقُلعت ١٠٠٠ نخلة، ولم يعطوهم عشرة أمنان تمراً. لقد كان الناس جياعاً وعراة وجهلاء، ويلتزمون حمل السيف والترس إذا ذهبوا للصلاة. وكان غذاؤهم الأساس هو التمر، ولم يكن هناك قمح(٧٢).

وتظهر مقارنة تدوين ناصر خسرو الخاص بالفلج مع تدوين الحمداني الذي كتب عن الإقليم نفسه قبل ما يزيد على قرن مضى، الحالة البائسة التي كان يغرق فيها السكان المستقرون في الفلج، وربما في نجد كلها. وفضلاً عن ذلك، يوضّح تدوين ناصر خسرو السلطة المحدودة لبني الأخيضر على الأقل قبل منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. فلم يكن فرسانهم الذين تتراوح أعدادهم ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ قادرين على حماية أكثر من إقليم الخرج وبلدته الرئيسة الخضرمة.

---

(٧٠) ابن عنبة الحسني، المصدر نفسه، ص٩٢ ـ ٩٣.

(٧١) علوي، المصدر نفسه، ص٩٢.

(٧٢) المصدر نفسه، ص٩٠ ـ ٩١. لم يرَ ناصر خسرو في الأشهر الأربعة التي أقامها بفلج خمسة أمنان من القمح في أي مكان. مَن واحد =٦٠٠ مثقال، ومثقال واحد= ٤,٢٥ غراماً. خمسة أمنان= ١٢,٧٥٠ غراماً.

وإبان القرن الثالث الهجري/القرن التاسع الميلادي، انقلب التوازن الديمغرافي على نحو شديد بين السكان المستقرين والرحّل في نَجْد وقد رجحت كفة الفئة الثانية؛ فلقد ضعفت قوة بني حنيفة تدريجياً بسبب الفتح الإسلامي، وقمع حركة الخوارج التي قادها نجدة، والمواجهة مع رحّل بني عامر بن صعصعة. وقد أسهم ضعف سيطرة الخلفاء العباسيين على نَجْد في وضع البلاد تحت رحمة رحّل بني عامر بن صعصعة، ولم تكن إمارة بني الأخيضر، التي ورثت مكانة بني حنيفة كحارس للسكان المستوطنين، قوية إلى الدرجة التي تسمح لها بحماية مصالح السكان المستقرين في اليمامة. ولا يبدو أن المستوطنات الموجودة في اليمامة قد اجتذبت عناصر جديدة من الرحّل من أجل الاستقرار. حتى بنو قشير، وبنو جعدة وبنو الحريش، الذين وصفهم الأصفهاني والهمداني بأنهم أهل الفلج، لم يكونوا موجودين هناك عندما زار ناصر خسرو الإقليم. وقد أخبر الناس الرحالة الفارسي عندما تحدث إليهم في الفلج أنهم ينتمون إلى «أصحاب الرقيم»، الذين ذكروا في القرآن الكريم.

وليس من المعروف متى انتهى حكم بني الأخيضر في اليمامة. وكحقيقة واقعة، فإن تاريخ اليمامة ونَجْد بأكملها بدءاً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، يتّسم بالغموض الشديد. ومع ذلك، فقد استمر بنو حنيفة في احتلال مستوطناتهم القديمة في اليمامة. وقد خفّفت، ظاهرياً، هجرة بعض رحّل بني عامر بن صعصعة إلى الهلال الخصيب، من الضغط عليهم. ويبين الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة الذي زار حجر (العاصمة القديمة لليمامة في ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ ـ ١٣٣٢م)، أن السواد الأعظم من السكان في تلك المدينة ينتمون إلى قبيلة بني حنيفة، وقد قام ابن بطوطة برحلة الحج إلى مكة في قطار قافلة أميرهم، طفيل بن غانم، وقد وصف الرحالة العربي حجر بأنها «مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار»[٧٣].

وثمّة خبر آخر لمؤرخ يعود تاريخه إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع

---

(٧٣) عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار صادر، ١٩٦٤)، ص٢٨٠.

عشر الميلادي، وهو ابن فضل الله العمري (ت. ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)[٧٤]، والذي ينسب الكثير من المستوطنات الموجودة في وادي قرّان، ووادي حنيفة، والخرج، والفرع إلى بني يزيد وبني مزيد الذين اعتبرهم علماء الأنساب والمؤرخون المتأخرون في نجد، أنهم ينتمون إلى بني حنيفة[٧٥]. وفي الوقت نفسه تقريباً، ورد ما يفيد أن ثمة جماعة أخرى من المستوطنين الذين يُعرفون بـ«بني عائذ بن سعيد» تسكن في وادي القرى (وادي سدير) في شمال اليمامة، وقد أخبر شخص من السكان الأصليين في تلك المنطقة العمري أن بلدهم كانت تتمتع بمستوى عالٍ من الرفاهية والحماية[٧٦].

وفي الوقت ذاته، فقد هاجر جزء كبير من الجماعة القبلية طي باتجاه الشمال إلى فلسطين والصحراء السورية، وذلك خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد أدّى شيوخهم من بني الجراح وخلفائهم، وآل فضل وبنو مهنا، دوراً كبيراً في سياسة شمال غرب الجزيرة العربية وجنوبي سوريا خلال سيطرة الفاطميين والأيوبيين، وكانوا يُعرفون بأنهم «أمراء الأعراب»، وقد تمَّ تكليفهم من جانب حكام مصر والشام بالسيطرة على رحّل الشام وشمالي الجزيرة العربية وإخضاعهم[٧٧].

سيطرة بدو بني لام في نَجْد

لم يهاجر رحّل قبيلة طي كلهم إلى الشمال؛ فلقد بقي فلول من تلك

---

(٧٤) تمَّ جمع تدوين العمري حول الجماعات القبلية العربية التي تواجدت في زمانه وصدرت ضمن سلسلة على عدة حلقات. انظر: أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، «العرب في القرن السابع (١ ـ ٤): من كتاب «مسالك الأبصار»،» تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة ١٦، الأعداد ٣ ـ ٤، ٧ ـ ٨، ٩ ـ ١٠ و١١ ـ ١٢ (١٩٨١ ـ ١٩٨٢). استخدم المحرر المخطوطة رقم ٣٤١٧ والتي تمّ حفظها في مكتبة آية صوفيا الموجودة في مدينة إسطنبول التركية، ورقات ٦٣ ـ ١٠٤، ج ٤، كما أنه قارنها بالمواد المناظرة لمخطوطة أخرى وجدت في خزانة السلطان الملك المؤيد شيخ القاهرة.

(٧٥) العمري، «العرب في القرن السابع (٢): من كتاب «مسالك الأبصار»،» مجلة العرب، السنة ١٦، العددان ٧ ـ ٨ (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١)، ص٧٧٩.

(٧٦) المصدر نفسه، ص٧٧٨. انظر أيضاً: حمد بن محمد بن لعبون، **تاريخ ابن لعبون** (مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ص٣٠ ـ ٣١.

(٧٧) ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم**، ج ٦، ص١٢ ـ ٢٣.

الجماعة الكبيرة في منطقتهم القبلية القديمة الواقعة في شمال نَجْد[٧٨]، والتي تجمّع حولها رحل عديدون أكثر ضعفاً، طالبين حمايتها. وقد ورثت طي الجنوبية مناطق بني أسد، وبني تميم، وغطفان القبلية الواقعة في شمال الجزيرة العربية ووسطها[٧٩]. وبحلول القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ظهر حلف قبلي جديد يُعرف بـ«بني لام» في شرقي الحجاز وعالية نجد، ويدّعي بنو لام أن طياً هم أسلافهم. ويخلص ابن سعيد (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، المؤرخ الأندلسي الذي زار الجزيرة العربية في منتصف ذلك القرن، إلى أنَّ أبرز جماعات طي في الحجاز، وفي الوقت الحالي هم بنو لام وبنو نبهان، مضيفاً أن بني لام يسيطرون على البلاد بين المدينة المنورة والعراق[٨٠].

وتتضح سلطة حلف بني لام وأعداده جلياً من خلال الأنشطة العديدة، والمنطقة المترامية الأطراف التي كانوا يديرونها، فلقد غطت مجموعة الأنشطة الخاصة بهم المنطقة الكاملة الواقعة بين طريق الحج المصري ـ الذي يمتدّ شرق ساحل البحر الأحمر ـ إلى سافلة نَجْد. وسجّل الجزيري والعصامي هجمات عديدة قام أولئك بشنها على قوافل الحج المصرية، وكذلك على القبائل الحجازية الأخرى إبان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[٨١]، ولعل الملاحظة التي سجّلها الجزيري (ت. ٩٧٧هـ/ ١٥٦٨م)، الذي عمل أميراً لقوافل الحج المصرية ـ التي تشير إلى أن بني لام لم يكن لديهم درك (منطقة محددة موجودة على طريق القوافل، تتم حمايتها بواسطة قبيلة معينة)، وأن إجمالي الحصيلة التي كان يتم دفعها

(٧٨) لم يفقد الرحّل الشاميون الذين قدموا في الأساس من نَجْد بالكلية الاتصال والتواصل مع مساكنهم وأماكن إقامتهم القديمة. فقد كان هؤلاء يترددون على نَجْد عندما كانت تسقط عليها أمطار غزيرة، ولم يكن هناك جماعة رحّل أقوى لوقف هجراتهم الموسمية.

(٧٩) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٦، ص١٣.

(٨٠) مقتبس في: المصدر نفسه، ج ٦، ص١٣. ويذكر أيضاً أن «بني لام» قد شاركت في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤ ـ ١٢٠٥م في الصراع الدائر بين أشراف مكة والمدينة من أجل الفوز بالسيطرة وبسط النفوذ على الحجاز، نيابة عن الطرف الأخير (ج ٤، ص٢٣٥).

(٨١) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري، **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة** (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص٣٤٤، ٣٤٦ ـ ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٦٦ ـ ٣٦٧ و٣٨٥.

لشيوخهم من جانب قائد القافلة كان يأخذها شيخ القبيلة الحجازية في الشمال كل عام بالنيابة عنهم ـ توضّح أن بني لام لم يعيشوا في الحجاز أو بالقرب من طريق القوافل ـ على الأقل خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي(٨٢) ـ وتجدر الإشارة إلى أن المبلغ المالي الذي كان يدفع لـ«بني لام» كان ضرورياً لتجنّب غاراتهم على المدى الطويل على قوافل الحجيج.

وفي نَجْد، زاد جماعة بني لام القبلية في القوة والعدد، ولذلك فإنه بحلول القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فَقَدَ حِلْفُهم تماسكَه. وقد ظهرت ثلاث قبائل مختلفة، وهي: آل مغيرة، وآل فضل، وآل كثير، والتي زعمت كلّها أنها تنتمي إلى بني لام(٨٣). وقد ورد ما يفيد بأن آل مغيرة تركّزت في عالية نَجْد، وأنها تجوّلت وجابت وسط الجزيرة العربية بأكملها، في حين كان لآل فضل وآل كثير مناطقهم القبلية في سافلة نَجْد، في إقليم العارض وفي الخرج(٨٤). وتوضّح السجلات الخاصة بدراسة الترتيب التاريخي للأحداث أنَّ تلك القبائل الثلاث، مع الظفير، كانت هي الجماعات الرحّل المسيطرة في نَجْد خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين(٨٥).

---

(٨٢) المصدر نفسه، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧ و٥١٤.

(٨٣) محمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، حرره محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ (الرياض: المؤلف، ١٩٧٢)، ج ٢، ص١٢٧ ـ ١٢٨، وعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ٣ ج (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨)، ص٤٣٩ ـ ٤٤٠.

(٨٤) ابن بليهد، المصدر نفسه، والبسام، المصدر نفسه، ص٧٠٩ ـ ٧١١ و٨٢٢.

(٨٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦)، ورقات ٨ ـ ٣٤. يعتبر بعض النسّابة النجديين، مثل: ابن لعبون وعبد الله البسام قبيلة الظفير فرعاً آخر من بني لام. انظر: ابن لعبون، **تاريخ ابن لعبون**، ص٣٢، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٦٣٨ ـ ٦٤٠. ويعتقد مؤرخون آخرون ـ أحمد البسام وابن سند ـ أن الظفير كانت فلولاً من بني سليم والتي تجمّع حولها حلف من الرحل ذوي الأصول المختلفة (**تحفة المشتاق**، ورقة ١٠٦) وقد ورد كلام ابن سند في: عباس العزاوي، **عشائر العراق**، ٤ ج (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٣٧)، ج ١، ص٢٩٦.

سلطة جبريّي البحرين في نَجْد

وكما هو في حالة طي، فإنه من المستبعد أن يكون بنو عامر بن صعصعة كلهم قد رحلوا عن نَجْد والبحرين وهاجروا إلى العراق والشام في القرنيْن الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين. فلا بد من أن يكون بعض من جماعاتهم قد بقيت في مناطقها القبلية القديمة، وإبان القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ظهر حلف قبلي كبير في البحرين، الذي يبدو أنه قد ضمَّ جماعات مختلفة من بني عامر بن صعصعة، وكان يقود هذا الحلف بنو عامر بن عقيل[٨٦]. ويذكر ابن سعيد أن بني عامر بن عقيل كانت هي الجماعة المسيطرة في البحرين واليمامة، وكان ذلك في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأنهم قد انتزعوا اليمامة من بني كلاب. أما الأسرة الحاكمة من بني عامر في ذلك الوقت فقد كانت بني عصفور[٨٧].

وفي منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تقريباً، استولت أسرة حاكمة جديدة من بني عامر بن عقيل على السلطة، وهم الجبريون، وسيطروا على رحّل بني عامر والبحرين[٨٨]. وتكمن أهمية تلك الأسرة الحاكمة في حقيقة أنه انحدر منها حكّام ذاع صيت سلطتهم، وما اتّسموا به من صلاح إلى ما وراء البحرين. وقد قام أبرز من في تلك الأسرة، أجود بن زامل الجبري (٨٢١ ـ ٩٠٢هـ/ ١٤٧٠ ـ ١٤٧٩م)، بتوسيع سلطة الجبريين لتصل إلى جزيرة أوال (البحرين الحديثة)، وعُمان، ونَجْد،

(٨٦) ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم**، ج ٦، ص٢٤. انظر أيضاً: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلّق عليه إسماعيل العربي (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٧٠)، ص١١٨.

(٨٧) ورد ذكر أقوال ابن سعيد في: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٦، ص٢٥، وأبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، حققه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣)، ص١٢٠ ـ ١٢١.

(٨٨) إن التاريخ الذي استولى فيه الحاكم الأول من هذه الأسرة وهو سيف بن زامل بن جبر، على البلاد ليس معروفاً بالنسبة إلينا. ومع ذلك، فإن مؤلف **تحفة المشتاق** (ص٧) يذكر أن الحملة الأولى التي أطلقها سيف ضد رحّل نَجْد كانت في عام ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م. لقد حلّ الجبريون محل الجروانيين وهي أسرة حاكمة أخرى من بني عقيل في البحرين. انظر: حمد الجاسر، «الدولة الجبرية في الأحساء،» **مجلة العرب**، السنة ٧ (١٣٨٧هـ/ ١٧٦٩م)، ص٦٠١ ـ ٦٠٣. انظر أيضاً:
G. Rentz, "Djabrids," in: *Encyclopaedia of Islam*, Supplement, Fasc. 3-4 (1981).

وقد وصفه أحد معارفه، مؤرخ المدينة الشهير السمهودي، بأنه «رئيس أهل نجد، ورأسها، وسلطان البحرين والقطيف»[٨٩]. وإضافة إلى ذلك، فقد أشير إلى سلطة الجبريين في نَجْد، وخاصة في اليمامة، في قصيدة شعبية ألقيت من قبل أحد سكان وادي حنيفة الأصليين، في مدح مقرن بن زامل بن أجود بن زامل (ت. ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م). من ناحية أخرى، يؤكد الشاعر جعيثن اليزيدي الحنفي تفوق وسيطرة مقرن على الرحّل النجديين، بني لام وبني خالد بالإضافة إلى بني حنيفة المستقرين في نَجْد، وهم أهل الشاعر[٩٠]. وقد وُصِف الأمير مقرن من قبل المؤرخ المصري المعاصر ابن إياس (ت. ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)، بأنه «سيد عربان الشرق على الإطلاق»[٩١].

لقد كان حكم الجبريين في نجد يتميّز بالحملات العديدة التي كان يطلقها أمراؤهم ضد الرحّل في هذا البلد، والتي كانت تُنفّذ خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وبداية القرن التالي. ولقد كانت أغلبية هجمات الجبريين موجّهة ضدّ القبائل التي عاشت في جوار اليمامة؛ وأقصد بذلك آل مغيرة، والدواسر، وآل فضل، وآل عائذ وسبيع[٩٢]. وإلى ذلك، فإنه لم يتمّ تسجيل هجمة واحدة ضدّ السكان المستقرين أو بلدات نَجْد. وفضلاً عن ذلك، فإن معظم حملات الجبريين قد أطلقت على جماعة الدواسر القبلية الذين كانوا يزحفون من بلادهم (وادي الدواسر في جنوب نَجْد) باتجاه عالية نَجْد واليمامة، مهدّدين بذلك السكان الرحّل والمستقرين في تلك المناطق على حد السواء.

إن السبب الذي ساقه مراراً مؤلف كتاب **تحفة المشتاق** للحملات ـ التي أطلقها الجبريون على الجماعات البدوية في نَجْد ـ هو أنهم كانوا يحاولون

---

(٨٩) أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، حققه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)، ص١٠٩٣.

(٩٠) ابن لعبون، **تاريخ ابن لعبون**، ص٣٢، والجاسر، «الدولة الجبرية في الأحساء،» ص٦٠٦ ـ ٦٠٨.

(٩١) أبو بركات محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، حقّقها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، ط ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦١)، ج ٥، ص٤٣١.

(٩٢) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، الورقات ٧ ـ ٢١.

معاقبة تلك الجماعات؛ لاعتدائهم على الرّحل في الأحساء[٩٣]. ولا يمكن أن يقابل هذا السبب بالرفض من دون تمحيص، على الرغم من أن الرحّل في الأحساء لم تتم تسميتهم، ومن الممكن أن الجبريين كانوا يحاولون الدفاع عن بني جلدتهم من قبيلة بني عامر بن عقيل والرحّل الآخرين الموالين لهم، وليتيحوا لهم بأن يكون لهم نصيب في مراعي نَجْد.

ونظراً إلى الحقيقة التي مفادها أنَّ العدد الأكبر من المعارك التي خاضها الجبريون مع الدواسر قد وقعت في الخَرْج، وأن الجبريين قد جعلوا من الخَرْج منطلقاً لحملاتهم ضدّ الرحّل، كان زعماؤهم يمضون، دائماً، بعض الوقت في الخرج بين أوقات الحملات أو قبل العودة إلى بلدهم[٩٤]. ويمكن لنا أن نستخلص، أن مواجهاتهم مع الرحل كانت ترمي بصورة رئيسة إلى الدفاع عن السكان المستقرين في هذا الإقليم على نحو خاص، ومن الممكن أيضاً في اليمامة بأسرها. إن حماية الرحّل الموالين ينبغي لها أن تكون هدفاً ثانوياً. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ السكان المستوطنين وقوافل التجارة بين الأحساء واليمامة كانوا أكثر عرضة لغارات الرحّل، وأكثر حاجة إلى حماية أمراء الجبريين. وفي كل الحالات، فإن الهدف الرئيس للجبريين كان يتمثّل في تعزيز سلطتهم في نَجْد في مواجهة سلطة الرحّل.

لقد اشتهر أمراء الجبريين بصلاحهم وعدلهم وكذلك احترامهم للعلماء[٩٥]؛ فقد نظَّموا عدداً من قوافل الحج إلى مكة، والتي ضمَّت عدداً كبيراً من الحجيج من الأحساء واليمامة[٩٦]. وكانت هذه الطرق التي كانت تؤدي إلى مكة من تلك البلدان محميّة من قبل أمراء الجبريين؛ ولذلك فإن هذا العدد الكبير من الناس قد شعر بالأمان في السفر إلى مكة لأداء فريضة الحج. وإضافة إلى ذلك، فإن قوافل الحج التي نظمها الجبريون لا بد من

---

(٩٣) المصدر نفسه، الورقات ٨، ١١ و١٥ ـ ١٦.

(٩٤) المصدر نفسه، الورقات ٧ ـ ٩، ١١، ١٥ و١٩.

(٩٥) شمس الدين محمد بن عبد الله السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (بيروت: دار مكتبة الحياة، [د. ت.])، ج ١، ص١٩٠.

(٩٦) تقديرات الجزيري الخاصة بالحجاج من بني جبر (الجبريون) هي كالآتي: خلق كثيرون جداً (عدد كبير) في العام ٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م، وكان ثمَّة ٢٠,٠٠٠ جمل في عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، و١٥,٠٠٠ جمل في عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م، و٣٠,٠٠٠ جمل في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م. انظر: الجزيري، **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة**، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣، ٣٥٦ و٣٧٧.

أنها قد اشتملت على الكثير من التجار الذين يمارسون التجارة بين الأحساء والحجاز، كما كانت العادة في كل قوافل الحج. ويُقال إن الأمير مقرن بن أجود كان قد جلب إلى مكة اللؤلؤ والحرير الملون والمسك والعنبر والعود، وغير ذلك من السلع الأخرى القيِّمة[97]. وباستثناء اللؤلؤ، فإن تلك السلع كانت هندية المنشأ، ويبدو أن التجارة بين الهند والأحساء، وكذلك بين الأحساء واليمامة والحجاز كانت قد ازدهرت في ظل الحماية التي كان يوفرها الجبريون.

لقد وُصف الجبريون في المصادر على أنهم أمراء من الحَضَر وليسوا حكاماً بدواً؛ ولذلك فإنهم لا بد من أن يكونوا قد وسعوا دعمهم وحمايتهم لمواطنيهم المستقرين في اليمامة. على صعيد متصل، دفعت السياسة والموقف الذي تبناه الجبريون في مواجهة الرحّل ـ وكذلك مكانتهم القوية في الجزيرة العربية ـ شريف مكة إلى طلب نجدتهم في مواجهة الرحّل الذين كانوا يشكلون تهديداً لميناء جدة في عام ٩١٢هـ/١٥٠٧م. وبناءً عليه، فقد تمَّ إرسال جيش كبير بقيادة محمَّد بن أجود الجبري إلى هناك؛ لكنه ما إن وصل حتى وجد أن قواتاً عسكرية مصرية، أُرسلت من القاهرة، قد تولّت تسوية تلك المشكلة[98].

وفي العقد الثالث من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بدأت الأسرة الجبرية في التفكّك؛ وذلك نتيجة للخلافات والنزاعات الداخلية التي كانت تنشب بين الشخصيات البارزة في الأسرة الحاكمة[99]، والتهديد الخارجي من قبل البرتغاليين الذين بدؤوا في التسلل إلى الخليج العربي في العقد السابق. وقد كان آخر الأمراء الجبريين الأقوياء هو مقرن بن أجود الذي وقع في الأسر، وقتل على أيدي البرتغاليين بعد مواجهة معهم في عام ٩٢٧هـ/١٥٢١م[100]. وقد جرّد البرتغاليون الجبريين من أقاليمهم البحرية مثل جزيرة أوال (البحرين) وعمان. وفي الوقت ذاته، فإن أراضيهم

(٩٧) ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج ٥، ص٤٣١.

(٩٨) الجاسر، «الدولة الجبرية في الأحساء،» ص٦٠٥، ورد في: عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج، **السلاح والعدة في تاريخ جدة**، تحقيق وتقديم مصطفى الحدري (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٨).

(٩٩) الجاسر، المصدر نفسه، ص٦٠٩.

(١٠٠) ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج ٥، ص٤٣١؛ يقول رينتز أن مقرناً قد توفي متأثراً بجراحه. انظر:

Rentz, "Djabrids".

الداخلية قد أُخذت منهم في عام ٩٣١هـ/ ١٥٢٤ ـ ١٥٢٥م بواسطة راشد بن مغامس شيخ قبيلة المنتفق من بني عقيل. وقد أصبح ابن مغامس فيما بعد هدفاً للعثمانيين الذين قاموا في منتصف القرن بإرسال حاكم من طرفهم إلى الأحساء[١٠١]. ولم يكن بوسع العثمانيين أن يوسعوا من سلطتهم ونفوذهم إلى أبعد من حدود واحات الأحساء؛ ونتيجة لذلك، عادت اليمامة ونَجْد مرة أخرى إلى فوضى قانون الصحراء.

وعلى الرغم من عزلتها، فقد مرَّت نَجْد بالكثير من التغيرات الكبيرة التي حدثت إبان القرون العشرة الأولى من العصر الإسلامي. وتعني سماتها الجغرافية بأنها من الممكن أن تتكيّف مع نمطيْن من الحياة: حياة الاستقرار في سافلة نَجْد وحياة الرحّل في عالية نَجْد. وقد عانى الطرف الأول، باستمرار، الضغط الذي مارسه عليه الطرف الثاني؛ وذلك لأن نجداً كانت تُعد بمثابة ممر للرحّل الذين جعلوها على مدار قرون محطة لهم في عملية هجرتهم من جنوب الجزيرة العربية وغربها إلى الهلال الخصيب.

وعند بزوغ فجر الإسلام، كانت نجد مكتظّة بالسكان ومزدهرة، وربما كانت اليمامة هي أكبر وأقوى مجتمع مستوطَن في الجزيرة العربية بغضّ النظر عن اليمن. وبالإضافة إلى ذلك، كان بنو حنيفة قد ضعفوا تدريجياً، وهم الدرع الواقي للسكان المستقرّين في اليمامة، وذلك بعد هزيمتهم الساحقة على أيدي المسلمين، وكذلك بعد قمع كثير من المتمردين الذين كانوا يحاولون استعادة استقلالهم. وعلى الأغلب انصهر الرحّل بسبب الفتوحات الإسلاميّة، وكذلك المستوطنات الجديدة في الأراضي التي تمَّ فتحها.

وبحلول القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، تغير التوازن بين السكان المستقرين والرحّل في نَجْد تغيّراً كبيراً جداً ليصبّ في مصلحة الطرف الأخير. وقد أسهمت الهجرات الجديدة من الجنوب إلى الغرب في دعم السكان الرحّل؛ فقد انتشرت فروع بني عامر بن صعصعة المختلفة في كل أنحاء نَجْد والبحرين وأصبحت هي القوى المسيطرة في المنطقة. وفي المقابل، فقد خسر بنو حنيفة، أبطال قضية السكان المستقرين، معركتهم

(١٠١) الجاسر، المصدر نفسه، ص٦٠٨ و٦١٠. انظر أيضاً:

Rentz, Ibid.

الأخيرة لمصلحة بني عامر بن صعصعة، وكان ذلك خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وقد تزامن هذا مع تراجع سلطة الحكومة العباسية في نَجْد في القرن التالي. ولم تقدّر القوة المحدودة لإمارة بني الأخيضر التي حلّت محلّ الحكام العباسيين في اليمامة، أن توفر الحماية اللازمة للسكان المستوطنين في اليمامة. وفضلاً عن ذلك، فقد تراجع مستوى الرفاهية للسكان المستقرين من سيّئ إلى أسوأ، مع انهيار بني الأخيضر، وعدم وجود أي سلطة رادعة تتولّى حماية أهل نَجْد من بعضهم بعضاً.

وقد تفاقمت المشكلة السياسية بسبب الكارثة المناخية المتمثّلة في القحط الذي يبدو أنه أصاب نَجْداً إبان الجزء الأخير من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وبداية القرن التالي، والذي تسبب في حدوث هجرات الرحّل واسعة النطاق إلى الشام والعراق. ومن الضروري أن نوضح أنَّ القحط كان قد أصاب، كذلك، السكان المستقرين. وقد كان القحط حاداً جداً إلى درجة أن واحات اليمامة لم تقدر على اجتذاب أي من بني عامر بن صعصعة لاستيطانها. وحتى بنو كعب الذين استوطنوا الفلج قد رحلوا عن هذا الإقليم بحلول القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ظهر حلف جديد من الرحّل، وانتشر من شرق الحجاز وجنوب غرب نَجْد إلى باقي نَجْد، وقد سكن بنو لام في المنطقة التي تركها بنو عامر بن صعصعة خاوية.

لقد قطع حكم الرحّل في نَجْد حكم الجبريين في الأحساء، والذي بدأ في منتصف القرن التاسع الهجري، واستمر حتى العقد الثالث من القرن التالي. وقد وجد سكان نجد المستقرون حامياً لهم في أمراء الجبريين الذين حافظوا على النظام في البلاد، ولكن، ومن سوء طالعهم، فإن حكم الجبريين لم يدم طويلاً، وكان لزاماً على نجد أن تنتظر حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي قبل ظهور سلطة قوية رادعة مرة أخرى.

الفصل الثالث

بدو نجد
(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/١٤٤٦ ـ ١٧٣٨م)

إن الموضوع الذي يتمحور حوله هذا الفصل، هو التطور الذي مرَّ به البدو من سكان نَجْد إبان القرون التي سبقت ظهور الوهابيين، وسوف تغطي تلك المناقشة الجماعات القبلية التي كانت موجودة في نَجْد قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي (جماعات البدو الرحّل القديمة)، الجماعات القبلية التي هاجرت إلى نَجْد بعد القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي (الوافدون الجدد)، تداعيات النمو الناتج من أعداد السكان الرحّل النجديين، بالإضافة إلى استيطان بعض هؤلاء البدو الرحّل خلال الفترة التي تتناولها الدراسة التي نحن بصددها. وإضافة إلى ذلك، فسوف يتم استكشاف بعض الظروف المناخية والبيئية وعلاقتها المحتملة بهجرات البدو الرحّل إلى نَجْد ومنها، واستيطان بعض هذه الجماعات.

الظروف المناخية والبيئية
(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٧٣٨م)

خلال حقبة القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، شهدت نَجْد هجرات واضحة، قامت بها الجماعات القبلية البدوية الجديدة من الغرب والجنوب الغربي، كما شهدت تكوين تحالفات جديدة بين الجماعات البدوية، وكذلك هجرة بعض من أهلها الرحّل إلى الشام والعراق، ويبدو أن تلك الحركات

الديمغرافية كان لها علاقة بالظروف المناخية والبيئية القائمة في نَجْد خلال تلك الحقبة.

ومن الجدير، قبل الدخول في مناقشة تلك الحركات الديمغرافية، البحث في العوامل البيئية الرئيسة من هطول الأمطار، والقحط، والحوادث الكارثية التي كانت قد وقعت في نَجْد إبان الحقبة التي تتناولها الدراسة التي نحن بصددها الآن؛ وذلك لتحديد مقدار مساهمتها في تلك الحركات الديمغرافية.

وكما هو موضح سابقاً، وبالتحديد في الفصل الأول، كان هطول الأمطار والقحط مسألتيْن حاسمتيْن في تحديد معيشة النجديين. وكانت هاتان الظاهرتان تُذكران، بالدرجة نفسها، من قبل النجديين، كما أنهما قد دُوّنتا من قبل مؤرّخيهم[1]. وقد تمَّ نقل معظم المعلومات الخاصة بالأحداث المناخية بواسطة الحديث الشفوي، وخاصة معلومات الحقبة التي سبقت منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. ومن ثمَّ، فإن الجدول الذي تمَّ جمعه في هذه الدراسة لا يرقى إلى المعايير الخاصة بالإحصاءات. وهو يُستخدم هنا ليُعطي فكرة عامة حول كيفية تأثير الظروف المناخية في نَجْد في تشكيل حياة الناس فيها. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الأحداث المناخية التي تمَّ سردها خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، والقرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ليست كثيرة مقارنة بتلك التي تمَّ تسجيلها خلال القرنين التاليين، وقد تمَّ تسجيل تلك الأحداث المناخية فقط في كتاب **تحفة المشتاق**، الذي يُعدّ المصدر الوحيد لعدّة أحداث تاريخية نَجْدية في تلك الفترة.

(1) من أجل إجراء تحليل للعوامل الإيكولوجية، فإن الأحداث المتمثّلة في سقوط الأمطار وظواهر القحط، وكذلك الكوارث البيئية التي وقعت خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الوهابية، تم جمعها من التدوينات التاريخية النجدية، ووضعها في جدولين مرتبين بحسب الترتيب الزمني للأحداث: جدول للأمطار الغزيرة والقحط وآخر للحوادث الكارثية. انظر الجدولين الرقمين (٣ ـ ١) و(٣ ـ ٢) أدناه.

الجدول الرقم (٣ ـ ١)

سنوات الأمطار الغزيرة والقحط في نجد[أ]

(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٧٣٨م)

الترتيب الزمني للأحداث	أمثلة على الأمطار الغزيرة أو القحط
٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م[ب]*	أمطار غزيرة.
٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م*	أمطار غزيرة.
٨٦٤هـ/ ١٤٥٩ ـ ١٤٦٠م*	أمطار غزيرة.
٨٦٥هـ/ ١٤٦٠ ـ ١٤٦١م*	أمطار غزيرة.
٨٦٨هـ/ ١٤٦٣ ـ ١٤٦٤م**	قحط شديد، غلت الأسعار، هجرة الناس إلى الأحساء والبصرة، استمر القحط سنتين.
٨٧٠هـ/ ١٤٦٥ ـ ١٤٦٦م*	أمطار غزيرة (وسمي)[ج].
٨٧٨هـ/ ١٤٧٣ ـ ١٤٧٤م*	أمطار غزيرة.
٨٧٩هـ/ ١٤٧٤ ـ ١٤٧٥م*	أمطار غزيرة (وسمي)، ثم إنه لما كان في الصيف... [تتابعت عليها الأمطار نحو عشرين يوماً].
٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م*	أمطار غزيرة.
٨٩٧هـ/ ١٤٩١م**	قحط شديد وغلت الأسعار.
٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م*	أمطار غزيرة (وسمي).
٩١٠هـ/ ١٥٠٤ ـ ١٥٠٥م*	أمطار غزيرة (وسمي)، تتابعت خلال الصيف.
٩١٧هـ/ ١٥١١م*	أمطار غزيرة (وسمي)، تتابعت خلال موسم الصيف، رخصت الأسعار.
٩٣٠هـ/ ١٥٢٣ ـ ١٥٢٤م*	أمطار غزيرة (وسمي)، تتابعت خلال موسم الصيف، رخصت الأسعار.
٩٣٩هـ/ ١٥٣٢ ـ ١٥٣٣م**	قحط؛ الهجرة إلى الأحساء والبصرة، واستمرار القحط خلال العام التالي، أرسل البدو قوافلهم إلى البصرة والأحساء للحصول على المؤونة.

٩٤١هـ/ ١٥٣٤ ـ ١٥٣٥م*	أمطار غزيرة (وسمي)، تتابعت خلال الصيف.
٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م*	أمطار غزيرة.
٩٦٩هـ/ ١٥٦١ ـ ١٥٦٢م**	قحط شديد وغلت الأسعار.
٩٧٠هـ/ ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣م	أمطار غزيرة (وسمي) تتابعت خلال الصيف.
٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م*	أمطار غزيرة (وسمي) تتابعت خلال الصيف، رخصت الأسعار.
٩٩٧هـ/ ١٥٨٨ ـ ١٥٨٩م*	أمطار غزيرة (في موسم الصيف)
١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠ ـ ١٦٠١م*	أمطار غزيرة (وسمي)؛ تتابعت خلال الصيف، رخصت الأسعار.
١٠٢١هـ/ ١٦١٢م*	أمطار غزيرة، رخصت الأسعار.
١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م*	أمطار غزيرة (وسمي) تتابعت خلال الصيف
١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م**(د)	قحط شديد (جلدان)*
١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٦٣١م*	أمطار غزيرة (ديدبا)*
١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧ ـ ١٦٣٨م**	ـ
١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥م**	قحط (بلادان)*؛ غلت الأسعار؛ هجرة إلى البصرة والأحساء والزبير. قحط شديد؛ (هبران)*؛ غلت الأسعار؛ هجرة.
١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦ ـ ١٦٥٧م*	أمطار غزيرة (وسمي)؛ تتابعت خلال الصيف؛ رخصت الأسعار (رجعان هبران)(هـ).
١٠٧٢هـ/ ١٦٦١ ـ ١٦٦٢م*	أمطار غزيرة (ربيع الخر)*.
١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥ ـ ١٦٦٦م**	قحط شديد (صلهام)*؛ استمر ٣ سنوات؛ أضرّ ببدو الحجاز بصورة رئيسة.

١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨ ـ ١٦٦٩م*	أمطار غزيرة (دلهام)*؛ رخصت الأسعار (رجعان صلهام).
١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م**	قحط شديد (جرمان)*؛ غلت الأسعار؛ هجرة.
١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م**(و)	قحط+هجوم الجراد؛ غلت الأسعار، استمرت الهجرة (جرادان)*.
١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م*	-
١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م	أمطار غزيرة تتابعت خلال موسم الصيف؛ رخصت الأسعار.
١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٦٨٨م*	أمطار غزيرة (حمدة*؛ رخصت الأسعار جداً (هدابا))*.
١١٠٦هـ/ ١٦٩٤ ـ ١٦٩٥م*	أمطار غزيرة (زمامة)*؛ في العارض وسدير.
١١١٤هـ/ ١٧٠٢ ـ ١٧٠٣م**	قحط (سمدان) الذي ضر بصورة أساسية عربان الحجاز وعالية نَجْد، استمر لمدة عامين.
١١١٦هـ/ ١٧٠٤ ـ ١٧٠٥م*	أمطار غزيرة وسيول مخرِّبة في العارض والقصيم.
١١٢٣هـ/ ١٧١١م*	أمطار غزيرة (وسمي)، رخصت الأسعار جداً، تتابع المطر خلال موسم الصيف.
١١٢٥هـ/ ١٧١٣م*	أمطار غزيرة؛ رخصت الأسعار جداً.
١١٢٨هـ/ ١٧١٥م**	غارت الآبار؛ وغلت الأسعار.
١١٣١هـ/ ١٧١٨ ـ ١٧١٩م*	أمطار غزيرة، رخصت الأسعار.
١١٣٣هـ/ ١٧٢٠ ـ ١٧٢١م*	أمطار غزيرة، رخصت الأسعار، تتابعت الأمطار إلى آخر فصل الصيف.

١١٣٥هـ/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م**	قحط شديد (سِحّي)* غلت الأسعار، هجرة إلى البصرة والأحساء والزبير والكويت، القحط استمر طيلة سنتيْن.
١١٣٧هـ/ ١٧٢٤ ـ ١٧٢٥م*	أمطار غزيرة، لكن الظروف القاسية استمرت، وكذلك غلاء الأسعار بسبب شدة البرد وكثرة الجراد في تلك السنة.
١١٣٩هـ/ ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧م*	أمطار غزيرة؛ رخصت الأسعار؛ تتابع المطر إلى آخر الصيف (رجعان سِحي) أو (سنة الذرة)*.
١١٤٠هـ/ ١٧٢٧ ـ ١٧٢٨م*	أمطار غزيرة؛ رخصت الأسعار جداً.
١١٥٠هـ/ ١٧٣٧ ـ ١٧٣٨م*	أمطار غزيرة؛ رخصت الأسعار.

ملاحظات:

(أ) تمَّ جمع المعلومات في هذا الجدول من المصادر النجدية المحلية: **تحفة المشتاق**، والفاخري، وابن المنقور، وابن ربيعة، وابن يوسف، وابن عباد، وابن بشر.

(ب) بغرض الدراسة السريعة لهذا الجدول، تمَّ إضافة نجمة للسنوات التي سقطت فيها الأمطار بغزارة، بينما تدل النجمتان على سنوات القحط. وتدل النجمة التي وضعت بعد الكلمات التي بين قوسين على الاسم المعطى للقحط أو للأمطار الغزيرة.

(ج) كلمة «وسمي» تعني، بحسب أهل نجد، الأمطار التي سقطت في أواخر الشتاء وفي فصل الربيع.

(د) تتراوح التدوينات، التي أُخِذَت من المصادر المختلفة لهذا القحط، بين أعوام ١٠٣٠ و١٠٣٢هـ.

(هـ) كلمة «رجعان» تعني، بحسب أهل نجد، أمطاراً غزيرة أتت مباشرة بعد القحط حيث تعوض نقص الأمطار.

(و) هذا القحط كان بمثابة استمرار للقحط «جرمان». وقد شهدت السنة السابقة (١٠٨٦هـ) أمطاراً غزيرة، سمّيت بـ«ربيع الصحن»، لكن هجوم الجراد في العام ١٠٨٧هـ قد استهلك معظم المحاصيل والنباتات المزروعة في المنطقة. ولاحظ أن القحط الذي شهده هذا العام كان يسمّى «جرادان»، من الكلمة العربية جراد.

ويشار إلى أنَّ أهل نجد لديهم طريقة غريبة لحفظ تلك الحوادث واستحضارها. يمنحون كل حدث مناخي كبير اسماً. وإضافة إلى ذلك، فإنهم يخصون سنوات القحط والشح بعدة أسماء، مثل: «جلدان»، «بلادان»، «هبران»... إلخ. وأما السنوات التي تسقط فيها الأمطار بكثرة وغزارة، فيكون لديهم مجموعة أخرى من الأسماء: «ربيع الخر»، «دلهام»، «حمدة»... إلخ. وممَّا لا شك فيه، أنَّ تلك الأسماء ساعدت على حفظ تلك الحوادث المناخية في ذاكرة أجيال عديدة. وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أنَّ الناس استحضرت فقط الحوادث ذات الطبيعة غير العادية؛ ولذلك، فإن هذه الأحداث هي الوحيدة التي ذكرها المؤرخون، فالظروف التي شهدتها معظم السنوات قد نُسيت أو اعتُبرت طبيعية.

وإضافة إلى غزارة الأمطار والقحط، تحتفظ المصادر أيضاً بحوادث أخرى كان لها تأثير مهم في حياة النجديين، وكانت تلك الحوادث ذات طبيعة كارثية، ومن بينها انتشار وباء ما، وهجوم مُخَرِّب للجراد، أو خسارة في المحصول الزراعي بسبب الحشرات أو البرد (الجليد). وقد تُسبِّب مثل تلك الكوارث دماراً هائلاً لمجتمع بدائي ومعزول مثل المجتمع النجدي. وستكون الفاجعة أسوأ عندما تكون واحدة من هذه الكوارث أو أكثر مقترنة مع حدوث قحط[٢].

ولتحليل الأحداث المناخية في نَجْد، يكون من الممكن تقسيم زمن الحقبة التي تتناولها الدراسة إلى جزأين: يتضمّن **الأول** الحقبة من ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م إلى ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م، **والثاني** الحقبة من ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م إلى ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م.

يوضّح الجدول الخاص بالأمطار الغزيرة (ربيع) وبالقحط أنَّ الأحداث التي تمَّ تسجيلها في الحقبة الأولى (٢١ حدثاً) تُعد أقل بقليل من مثيلتها المسجّلة خلال الحقبة الثانية (٢٨ حدثاً)[٣]. ومن المحتمل أن قلّة عدد

(٢) انظر إلى أمثلة من تلك الكوارث المركّبة في: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦)، الورقتان ١١ و٣١، ومحمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، تحت عنوان «تاريخ نجد»)، ورقة رقم ٣٢.

(٣) انظر: الجدول الرقم (٣ ـ ١).

الحوادث في الحقبة الأولى يُعزى إلى عامل الذاكرة. ومع ذلك، فإنه عندما تقارَن نسب حالات سقوط الأمطار الغزيرة من الفترة الأولى بمثيلتها من الفترة الثانية، يتضح جلياً أن نجْداً كانت محظوظة خلال الفترة الأولى عنها في الفترة الثانية؛ ففي الفترة الأولى (٨٥٠ ـ ١٠٠٠هـ/١٤٤٦ ـ ١٥٩١م) سُجلت أربعة مواسم قحط من بين إجمالي ٢١ حدثاً تمَّ تسجيلها، و١٧ ربيعاً (حالات الأمطار الغزيرة). وخلال الفترة الثانية (١٠٠١ ـ ١١٥٠هـ/ ١٥٩٢ ـ ١٧٣٨م) تمَّ رصد ٩ موجات قحط و١٩ ربيعاً، وذلك من بين إجمالي ٢٨ حدثاً.

ومن الواضح أيضاً أنَّ النصف الثاني من الفترة الثانية (١٠٧٦ ـ ١١٥٠هـ/ ١٦٦٥ ـ ١٧٣٨م)، قد اتّسم بمزيد من حالات الأمطار الغزيرة إذا ما قورن بالنصف الأول من الفترة ذاتها. وإضافة إلى ذلك، فإنَّ مواسم القحط التي تمَّ رصدها خلال النصف الثاني من الفترة الثانية؛ وأعني بذلك تلك التي وقعت خلال أعوام ١٠٧٦ و١١١٤هـ، والتي أضرت بصورة رئيسة السكان الرحّل في عالية نجد والحجاز[٤]. وفي المقابل، لم يشعر السكان المستقرون في سافلة نجد إلا بقليل من تلك الحوادث. من الجدير بالذكر أن القحط الذي حدث في عام ١١٢٨هـ، لم يكن شديداً كفاية حتى يطلق عليه اسماً كمواسم القحط الأخرى من الفترة نفسها[٥]. وباستثناء مواسم القحط التي حدثت في الأعوام ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م و١١٣٥هـ/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م، بقيت سافلة نجد مزدهرة وكان عدد سكانها المستقرين ينمو.

ويذكر أن سجل الأحداث الكارثية مثل: الأوبئة، والبَرَد، أو هجمات الجراد، الذي ذكرته المصادر النجدية، دُوّن بالأسلوب نفسه الذي دوّن فيه سجل أحداث القحط. وقد ورد ما يفيد أن ستة من هذه الحوادث قد وقعت في نَجْد إبان الفترة الأولى، وقد تضاعف العدد تقريباً في الفترة الثانية. وللدقة أكثر، فإن ثلاثة حوادث كارثية فقط كانت قد سُجّلت خلال فترة القرن

(٤) إبراهيم بن صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، قام بتحريره حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦)، ص٨٣ و٦١؛ الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ١١ و٣٠، وعثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص٢١٠ و٢٢٦.

(٥) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٣٥.

العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي والقرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وقد سُجّل أقل من تلك الحوادث خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي؛ وسجّل ما يعادل ثلث الحوادث خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي[٦]. ولم تبدُ نجد أنها تتمتع برفاهية فقط في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ ولكن كذلك بمستوى صحي أفضل.

الجدول الرقم (٣ ـ ٢)
الترتيب التاريخي للحوادث الكارثية التي وقعت في نجد
(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/١٤٤٦ ـ ١٧٣٨م)[أ]

الترتيب التاريخي	الحوادث الكارثية
٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م[ب]	حدث وباء خطير بين البدو الرحّل في الأحساء، والقطيف، والوشم، وسدير، وهلك فيه خلائق كثيرة.
٨٦٤هـ/ ١٤٥٩ ـ ١٤٦٠م	ضرب وباء الخرج، والعارض، وضرما، هلك فيه خلائق كثيرة.
٨٦٧هـ/ ١٤٦٢ ـ ١٤٦٣م	هجوم الجراد بأعداد كبيرة. وانتشر وباء الجدري والحصبة بين أهل نجد الرحّل والمستقرّين؛ وهلك فيه خلائق كثيرة.
٨٦٩هـ/ ١٤٦٤ ـ ١٤٦٥م	وقع في بلدان نجد والبادية وباء عظيم؛ هلك فيه أعداد لا تحصى من البشر.
٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م	هاجم الجراد نجد بأعداد كبيرة؛ أكل الزروع والأشجار.

---

(٦) انظر الجدول الرقم (٣ ـ ٢). من المحتمل أن زيادة الحوادث التي سُجلت خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر كانت تعود إلى قربها من الناحية الزمنية للتواريخ التي تم تسجيلها فيها. وقد سجلت تلك الحوادث بواسطة مؤرخين معاصرين.

٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م	وقع وباء في نجد هلك فيه أناس كثيرون، كثر الجراد؛ تدمير الزروع والأشجار.
١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م	كثر الجراد؛ موت الناس من أكله (جراداان)*.
١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٦٨٨م	وقع الوباء في العارض وجلاجل(ج).
١١٠١هـ/ ١٦٨٩ ـ ١٦٩٠م	تعرضت الأشجار والمحاصيل لهجوم الجراد وللجليد (سليسل)*.
١١١٠هـ/ ١٦٩٨ ـ ١٦٩٩م	ضرب الأشجار والزروع المرض، وقع الوباء في الجنوبية، انتشار الجدري.
١١٢١هـ/ ١٧٠٩م	وقع وباء في سدير.
١١٢٢هـ/ ١٧١٠م	تسبب البَرَد في تلف المحاصيل في ملهم؛ دمرت الرياح القوية أشجار النخيل في بلدات عديدة، وتهدم قصر رغبة. أكل الجراد والحشرات الأخرى المحاصيل؛ وتسببت في تلف أشجار النخيل في أقصى شمال القصيم.
١١٢٤هـ/ ١٧١٢م	وقع مرض أهلك أناساً كثيرين في ثرمدا، والقصب، ورغبة، والبير، والعودة.
١١٢٦هـ/ ١٧١٤م	أهلك وباء أناساً كثيرين في العارض، من بينهم عدد كبير من العلماء.
١١٣٨هـ/ ١٧٢٥ ـ ١٧٢٦م	أهلك وباء خطير أناساً كثيرين في العيينة، ومن بينهم رئيسهم.
١١٣٩هـ/ ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧م	أهلك وباء خطير أناساً كثيرين في أشيقر، ومن بينهم بعض العلماء.
١١٤٨هـ/ ١٧٣٥ ـ ١٧٣٦م	أكل الجراد الزورع والأشجار في البلدات النجدية.

ملاحظات:

(أ) أُخذت المعلومات الموجودة في هذا الجدول من المصادر النجدية المحلية؛ وأعني بذلك: **تحفة المشتاق**، والفاخري، والمنقور، وابن ربيعة، وابن يوسف، وابن عباد، وابن بشر.

(ب) وقيل إن هذا الوباء وقع في عام ٨٦٢هـ/١٤٥٨م.

(ج) وأُرِّخ لوباء جلاجل عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧م. وتشير النجمة التي تأتي بعد الكلمات بين قوسين إلى الاسم الذي أعطي لذلك الحدث.

جماعات البدو الرحل النجدية القديمة

كانت الجماعات القبلية الثلاث من بني لام ـ آل مغيرة وآل فضل وآل كثير ـ كما رأينا في الفصل السابق، هي الجماعات البدوية التي كانت المهيمنة على نجد بدءاً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وكان هناك، أيضاً، جماعات بدوية أخرى ورد ذكرها، مراراً، من قبل مؤلف كتاب **تحفة المشتاق** بوصفها فاعلة في الصراع الذي نشب بين البدو النجديين في بداية منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي(٧). وتشمل تلك الجماعات كلاًّ من زعب، وسبيع، والسهول، وآل عائذ. من المفترض أنَّ تلك الجماعات القبلية قد هاجرت إلى نَجْد واليمامة من موطنها الأصلي الواقع في الامتدادات الشرقية للحجاز؛ لكنْ الفترة الزمنية التي قامت فيها بتلك الهجرة باتجاه الشرق ليست معلومة.

زعب

تُعدّ زعب بطناً من جماعة بني سليم القبلية القديمة، التي كانت ديارهم ـ خلال صدر الإسلام ـ تقع في شرق وجنوب شرق المدينة(٨). ويشار إلى أنَّ الرحلات التي قامت بها زعب خلال الفترة التي تمتد من منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حتى منتصف القرن الثاني عشر

---

(٧) كان منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي هو أقدم التواريخ التي استطاع فيها مؤرخو نجد أن يقوموا بتسجيل الحوادث التي وقعت في بلادهم ورصدها. وتجدر الإشارة إلى أن الظروف التي سبقت هذا التاريخ لم تكن معروفة بالنسبة إليهم.

(٨) حمد الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ط ٢ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨١)، ج ١، ص٣٤٥، وعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ٣ ج (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨)، ج ٢، ص٣٨٦.

الهجري/الثامن عشر الميلادي، تغطي منطقة واسعة تشتمل على جنوبي عالية نَجْد، واليمامة، والصمان، والسهول الواقعة في شمال شرق تلك الهضبة[٩]. وقد سجِّل استخدام زعب لآبار مياه مثل: اللِّهابة، واللصافة، وثاج الواقعة في شمال شرق الجزيرة العربية بأنه كان في بداية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[١٠].

في عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م، سجن شريف مكة، الذي قام بحملة في جوار بيشة، رئيس زعب، وكان ذلك، ظاهرياً، بسبب عدم قيام الأخير بإرسال الإتاوة السنوية إلى الشريف[١١]. وكما يعود سبب النزاع الذي نشب مع شريف مكة، أيضاً، إلى قصيدة فخرية لسيدة من زعب؛ حيث تتحدث فيها عن التحدي الذي قامت به قبيلتها، والحروب التي خاضتها ضد الأشراف. وقد أشارت المرأة في تلك القصيدة إلى أنها تنتمي إلى ديارها القبلية التي تقع بين الربع الخالي والحجاز. وذكرت حبر، والغرابة، والحزم، وواسط التي تقع في جنوبي ووسط عالية نجد كموطن القبيلة التي تنتمي إليها[١٢]. وتوضح المنطقة الواسعة التي كانت تتجول فيها زعب، مدى القوة التي كانت تتمتع بها تلك الجماعة القبلية حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. إنَّنا لم نسمع الكثير عن زعب إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وهو الوقت الذي أصبحت زعب بحلول نهايته قبيلة ليست ذات أهمية[١٣]. ويبدو أن عدداً من فروع قبيلة زعب قد انضم إلى تحالفات أخرى مثل مطير التي كانت حليفاً مؤقتاً

---

(٩) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)**، الورقات، ١٠، ١٢، ١٦، ٢٥، ٣٤، ٣٦ و٤٦ ـ ٤٧، والفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، الورقات ٢٣ و٤٣ ـ ٤٤.

(١٠) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)**، الورقات ١٠ ـ ١٢ و١٦.

(١١) عبد الملك بن حسين المكي العصامي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق محب الدين الخطيب، ٤ ج (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٩٣)، ج ٤، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(١٢) عبد الله بن رداس، **شاعرات من البادية** (الرياض: دار اليمامة، [د. ت.])، ص٦٩ ـ ٧٧. لمعرفة تفاصيل حول مواقع الأماكن التي ورد ذكرها في القصيدة، انظر: سعد بن عبد الله بن جنيدل، **عالية نجد** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨، ٣٧١، ١٠١٣ ـ ١٠١٤، ١٢٩٧ و١٢٩٩.

(١٣) John L. Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys* (London: H. Colburn and R. Bentley, 1830), p. 232.

لـزعب، كما أن نجمها كان صاعداً للهيمنة في نَجْد إبان تلك الفترة.

سبيع

تقع ديار سبيع القبلية الأصلية في الشرق من مدينة الطائف، في أودية رنية والخرمة، والأماكن المجاورة الأخرى. وكان ثمة اعتقاد كبير أن سبيعاً تنتمي إلى الحلف القبلي الأكبر لبني عامر بن صعصعة[١٤]، التي كانت كما ذُكر سابقاً، تعيش في تَرَبَة ورنية، وانتشرت باتجاه الشرق في عالية نجد خلال القرنين الثاني والثالث من العصر الإسلامي.

وبحلول القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كانت سبيع جماعة قبلية كبيرة، في الأصل، في اليمامة. ولعل الاتصال بين سبيع التي لا تزال تعيش في ديارها القبلية القديمة في شرقي الحجاز وبين اليمامة معروف تمام المعرفة؛ لكن زمن هجرتها إلى اليمامة ليس معروفاً. وربما حدثت هجرة سبيع إلى نجد مع باقي بني عامر بن صعصعة، أو ربما كانت قد تبعت أقاربها في وقت لاحق، ومن ثَمَّ فقد ورثت ديارها القبلية في نجد عندما رحل بنو عامر بن صعصعة عن البلاد متوجّهين إلى العراق والشام.

ولا بد من أن سبيعاً قد وصلت إلى اليمامة قبل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي؛ نظراً إلى أنها تحالفت لفترة مؤقتة مع باقي الجماعات القبلية الأقدم في نَجْد مثل: آل مغيرة، وآل كثير، وآل فضل، وزعب ضد الدخلاء الجدد على الإقليم في هذا القرن، والقرن التالي له[١٥]. وثمة دليل آخر على وجود سبيع المبكر في اليمامة، ويتمثل في أنَّ القبيلة ضمَّت بين فروعها تلك العشائر التي يعتقد بعض المؤرخين أنها تنتمي إلى الجماعات القبلية النجدية القديمة الرباب، مثل بني ثور، والعرينات[١٦].

---

(١٤) الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج ١ ص٣٦٣، ومحمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، حرره محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ (الرياض: المؤلف، ١٩٧٢)، ج ٤، ص٢٤٣. انظر إلى وجهة نظر أخرى تعتمد على تقاليد القبيلة، وتربط سبيعاً بحمدان في اليمن، انظر: فهد الربيعان، **العرينات** (الرياض: مطابع البادية للأوفست، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ج ١، ص١٠ ـ ١٣.

(١٥) انظر: البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، الورقات ١١، ٢٠، ٢٢، ٢٥ ـ ٢٦، ٣١ ـ ٣٢ و٣٤.

(١٦) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ج ١، ص٢٠٨، ٢٣٣، و٢٩١، وج ٢، ص٤٥٦ و٥٩٨، والجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج ١، ص٣٦٣.

السهول

وثمة جماعة أخرى هي السهول التي كانت تتصل اتصالاً وثيقاً بسبيع، ويُظَن أنها فرع منها[١٧]. وقد ذكرت المصادر النجدية أيضاً أنها كانت فاعلة في الإقليم نفسه الذي كانت سبيع تتجول فيه، ويبدو أنها قد انفصلت عنها، وأصبحت قبيلة مميزة، وكان ذلك في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وذلك لأنه فقط بعد عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧م، ظهرت السهول في السجلات كجماعة منفصلة[١٨]. ومع ذلك، فإنها كانت دائماً حليفاً لأنسبائها سبيع ضدّ جماعات البدو الرحل الأخرى في نَجْد[١٩].

آل عائذ

وقد ورد ذكر جماعة آل عائذ القبلية في المصادر النجدية بأنها كانت واحدة من تلك الجماعات القبلية التي كان يقاتلها الجبريون في الخرج في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[٢٠]. وتجدر الإشارة إلى أن ثمة قبيلة تحمل الاسم نفسه، عائذ بن سعيد، قد أشار ابن فضل الله العمري إلى أنهم سكان عدد من نواحي سدير الواقعة في شمال اليمامة قبل قرن مضى[٢١]. ومع ذلك، فإن الاتصال بين الجماعتين ليس واضحاً. فمعظم عشائر آل عائذ في الخرج تزعم أنها ذات صلة بقبيلة عبيدة من جَنب من قحطان[٢٢]. وقد ورد ذكر قحطان على وجه العموم، وجَنْب على وجه الخصوص في مصدر نجدي في الخرج في عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩ ـ ١٥٩٠م[٢٣]، وذلك بنحو قرن ونصف بعد آل عائذ. ويبدو أن صلتهم

(١٧) الجاسر، المصدر نفسه، ج ١، ص٤٢٣.

(١٨) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ١٦.

(١٩) المصدر نفسه، الورقات ١٧، ٢٦، ٣١، ٣٤، ٣٧ و٤٦.

(٢٠) المصدر نفسه، الورقتان ٧ ـ ٨.

(٢١) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، «العرب في القرن السابع (٣): من كتاب «مسالك الأبصار»،» تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة ١٦، العددان ٩ ـ ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٢)، ص٧٧٨. انظر أيضاً: حمد بن محمد بن لعبون، **تاريخ ابن لعبون** (مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ص٣٠ ـ ٣١.

(٢٢) الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج ٢، ص٥٣٥ و٥٤٠ ـ ٥٤١.

(٢٣) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ص٣٤.

بـ«قحطان» كان صلة تحالف وليس صلة نسب. وربما يكون قد تمّ هذا التحالف عندما ضعفت آل عائذ في مواجهة الدواسر وطلبت الحماية من قحطان، المنافس الجديد للدواسر في الإقليم. جدير بالذكر أن المرة الأخيرة التي ورد فيها ذكر آل عائذ كجماعة بدوية كانت في نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، عندما قام محمَّد بن غُرير رئيس بني خالد بمهاجمتها في العارض وسدير. لقد كانت آل عائذ مع جماعة قبلية أقوى وهي آل مغيرة[٢٤].

هجرة البدو الرحل إلى نجد
(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/١٤٤٦ ـ ١٧٣٨م)

عنزة والظفير

في بداية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، كانت الجماعات البدوية النجدية القديمة تتصدى للضغوط التي تمارسها الجماعات البدوية الأخرى التي كانت تتقدم باتجاه نجد من جهة الغرب والجنوب الغربي. ومن بين أوائل تلك الجماعات التي ظهرت في السجلّات كانت التحالفات الكبيرة والهائلة «عنزة والظفير». وليس من الواضح أيُّ هاتين الجماعتين القبليتين وصلت إلى نجد أولاً.

وقد ذُكرت كلتا الجماعتين كمصدر لأعمال الشغب والاضطرابات في جوار المدينة المنوّرة، وعلى امتداد طريق الحج خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وفي العام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، أُجبرت الحكومة العثمانية على بناء جدار قوي حول المدينة المنوّرة، فضلاً عن أنها جهزت مجموعة من الإنكشارية بهدف حماية البلدة من الغارات التي كانت تشنها عليها عنزة والظفير اللتان عاشتا في جوارها[٢٥]. وفي عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م، شعر أمير المدينة المنوّرة مانع الحسيني بالأمان الكافي ما جعله يوقف دفع

(٢٤) ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، ص٢٠، وابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص٢١٨.

(٢٥) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص٦٤١.

الإتاوة التي دأب رؤساء عنزة، والظفير، وبنو حسين على استقطاعها من سابقيه؛ ونتيجة لذلك، فإنه في العام ذاته، قامت الجماعات القبلية الثلاث بمهاجمة حجاج مدينيين وهم في طريقهم إلى مكة[٢٦]. وقد وصف الجزيري عنزة والظفير وحرب بأنهم التهديد الرئيس لطريق الحج، ويذكر بصراحة أن عنزة قد عاشت إلى الشمال من المدينة[٢٧]. وقد ظلت عنزة فاعلة في القيام على شؤون الحجاز حتى أواخر عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م، عندما انضمت إلى جهينة لمساعدة شريف متمرد كان متمركزاً في يُنبع، وادّعى الحق في شرافة مكة. وقد هَزَموا فصيلاً عسكرياً قد أُرسل من مصر لمقاتلتهم[٢٨].

ومن ناحية أخرى، أخبرت المصادر النجدية عن علاقة قتال شرس بين عنزة والظفير في عالية نَجْد والقصيم، وكان ذلك في بداية عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م. وخلال النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي/الخامس عشر الهجري، تقابلت هاتان المجموعتان في سبع معارك كبرى في عالية نجد[٢٩]. وكانت عنزة تشنّ غاراتها شرقاً على الوشم وسافلة نجد ضد القبائل البدوية القديمة من آل مغيرة، وآل فضل، وآل كثير، وزعب، وسبيع[٣٠]. كانت عنزة والظفير نوعاً من التحالفات القبلية القوية والكبيرة في ذلك الوقت، وخاصة عنزة، إلى الحد الذي كانتا تتجولان فيه بحرية، وتطردان القبائل الأخرى الباقية من المراعي الخصبة الموجودة في عالية نجد.

وقد بدت الظفير، بعكس عنزة، على علاقة جيدة مع الجماعات القبلية القديمة في نَجْد. وهي، ظاهرياً، وبسبب صغر حلفها، قد تحالفت مع حرب وبني حسين، اللتيْن كانتا أيضاً من أصل حجازي، ومع الجماعات النجدية القديمة من آل مغيرة، وآل فضل، وآل كثير، وسبيع أو السهول ضد عنزة التي كانت، حتى الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، العدو الوحيد للظفير. وتشير حقيقة أن الكثير من القبائل النجدية القديمة قد تحالفت مع الظفير ضدّ عنزة، وأنه لم تسلم أي قبيلة من غارات

---

(٢٦) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج ٤، ص٣٥٦ ـ ٣٦٦.
(٢٧) الجزيري، المصدر نفسه، ص٩٠ ـ ٩١، ٥٢٨ و٦١١.
(٢٨) العصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٤٩٢ ـ ٤٩٣.
(٢٩) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقات ٨ ـ ١٦.
(٣٠) المصدر نفسه، الورقات ٨ ـ ١٦.

الأخيرة، إلى أنها كانت وافداً جديداً وقوياً إلى نَجْد، وأن الآخرين ومن بينهم الظفير قد أُجبروا على الدفاع عن ديارهم القبلية.

وفي حوالى منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، حدث تحوّل كبير لعنزة وشمر من ناحية الشمال، وهي أكبر تحالفات بدوية في شمال الجزيرة العربية(٣١) فقد أوغلت بعض أقسامهما المهمة ـ ولد علي، والمنابهة من بني وهب من عنزة وآل غرير، والأسلم، وزوبع، وشمر طوقة ـ في الشام وغرب الفرات. وبصورة طبيعية فقد وقعت تلك الهجرات المتجهة شمالاً على نحو تدريجي، في مجموعة أو مجموعتين في المرة الواحدة، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن التالي. ويشار إلى أن الموالي وهم الجماعة البدوية المسيطرة على صحراء سوريا في تلك الآونة، قد توغلت أقصى الشمال بواسطة المهاجرين الجدد الوافدين من الجزيرة العربية(٣٢).

خفّفت هجرة جزء كبير من جماعة عنزة القبلية إلى الشام من الضغوط التي كانت تمارسها تلك القبيلة على البدو الرحل النجديين الآخرين. وعلى الرغم من أن رؤساء عنزة قد استمروا في الظهور بصورة دورية في نَجْد لممارسة سيطرتهم(٣٣). وقد ظهرت الظفير بوصفها الجماعة القبلية الأقوى في شمال نجد، بحلول نهاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر

---

(٣١) Carl Raswan, "Tribal Areas and Migration Lines of the North Arabian Bedouins," *The Geographical Review*, vol. 20, no. 3 (July 1930), p. 494; Stephen H. Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq* (Oxford: Oxford University Press, 1925), p. 79, and Douglas Carruthers, ed., *The Desert Route to India Being the Journals of Four Travellers by the Great Desert Caravan Route between Aleppo and Basra 1745-1751* (London: The Hakluyat Society, 1928; reproduced by Kraus Limited), [reprint: Wiesbaden, Germany, 1969), p. xxvi.

(٣٢) انظر: عباس العزاوي، **عشائر العراق**، ٤ ج (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٣٧)، ج ١، ص٢٣٠ ـ ٢٣١ و٢٥٣، و**لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تمّ تحريره ونشره بواسطة عبد الرحمن آل الشيخ (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، [د. ت.])، ص٥٨ ـ ٥٩. انظر أيضاً:

Longrigg, Ibid.

(٣٣) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، الورقتان ٧٧ ـ ٧٨؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ٣٣ و٤٢ ـ ٤٤، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

الميلادي. ويذكر أن هذا الوقت تقريباً هو الذي انقلبت فيه الظفير ضدّ بعض القبائل النجدية القديمة مثل آل فضل[٣٤]، التي اعتادت أن تكون حليفتها ضدّ عنزة.

مطير

في عام ١٠٢٢هـ/١٦١٣م، ظهرت جماعة قبلية تُعرف بـمُطَير فجأة على خارطة الأحداث في نَجْد، وتلك هي المرة الأولى التي ذُكرت فيها في المصادر النجدية، ولم يكن ذكر مطير قد ورد في المصادر التاريخية التي تعود إلى القرون الوسطى، وكذلك المصادر الخاصة بالأنساب. وفي وقت لاحق، ورد ما يفيد من المعلومات بأن بعضاً من أجزاء مُطير كانت ذات أصول حجازية[٣٥]. ويذكر الجزيري مطير بين البدو الرحّل الذين عاشوا على طريق الحج الواقع شمال المدينة المنورة، وكذلك الهجمات التي قاموا بشنها على قوافل الحج العراقية في ركبة التي تقع إلى الشرق من مدينة الطائف[٣٦] وكان ذلك في عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، وبواسطة قوة مؤلفة من ٢٠٠٠ جندي من المشاة و١٥٠ فارساً.

لقد ظهرت مطير في المشهد النجدي في تلك الهيئة القوية، وفي التاريخ المذكور سابقاً، وكانت تحارب الأقسام القبلية الثلاثة: آل مغيرة، وآل كثير، وآل فضل المجتمعين في العرمة[٣٧]. وقد بدأت مطير بعدها بوقت قليل في مهاجمة قوافل عنزة، وبحلول منتصف القرن، انضمت إلى قبيلة الظفير ضد عنزة العظيمة[٣٨]. وقد كانت مطير قبيلة متفوقة جداً على عنزة ذلك أن بعض المؤرخين خلصوا إلى أن الأولى قد طردت الثانية من أفضل المراعي في نَجْد[٣٩]. وبحلول نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي،

---

(٣٤) الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ١٢ ـ ١٣ و٢٦ ـ ٢٧.

(٣٥) يُظَن أن فرع بني عبد الله من مطير هو الجماعة التي تحمل اسم غطفان نفسه التي عاشت شمال شرق المدينة وكان ذلك في بداية العصر الإسلامي، انظر: حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط ٨ (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١)، ص٨٣.

(٣٦) الجزيري، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ص٩٠ ـ ٩١ و٣٣٠.

(٣٧) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، ورقة رقم ٣٦.

(٣٨) المصدر نفسه، الورقات ٤٤ ـ ٤٥ و٤٨.

(٣٩) ابن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار، ج ٢، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

أصبحت مطير واحدة من أكثر الجماعات البدوية المؤثرة في الجزيرة العربية.

وإلى جانب جماعات حرب وبني حسين القبلية التي ورد ذكرها آنفاً، تتحدث المصادر النجدية حول القبائل البدوية الحجازية الأخرى التي بدأت تشارك في المزاحمة على المراعي الجيدة في نَجْد. وقد ذكر أن قبائل هتيم، والعوازم، وعدوان قد شاركت في المعارك التي خيضت من قِبل المنافسين الأقوى في نجد خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي(٤٠). وتتحدث المصادر النجدية أيضاً عن أهل الحجاز وعرب الحجاز بوصفهم قد انحازوا إلى أحد الأطراف في المعارك التي شهدتها نجد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي(٤١)، هذا ولا تتضح الهوية المحددة لهذه الجماعات في المصادر. وتجدر الإشارة إلى أن عرب الحجاز قد ظهروا في نَجْد بمعيّة أشراف مكة، الذين كانوا قد بدؤوا حملاتهم ضدّ البلدات النجدية والبدو الرحل في نَجْد، وكان ذلك خلال العقد التاسع من القرن العاشر الهجري، كما أنهم قد رفعوا من عدد حملاتهم خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وخلال النصف الأول من القرن التالي(٤٢). ومن الظاهر أن تلك الحملات التي قام بها أشراف مكة على نَجْد، والتي لا بد من أنها قد ضمت عدداً من البدو الرحل الحجازيين، كانت عاملاً مهماً في إدخال بعض الجماعات القبلية البدوية التي تم تناولها آنفاً إلى المراعي الجيدة في نَجْد.

بنو خالد

وفي الوقت الذي تضاءل فيه الضغط الذي كانت تمارسه عنزة على باقي الجماعات القبلية في نَجْد، وذلك في النصف الثاني من القرن الحادي عشر

---

(٤٠) البسام، المصدر نفسه، الورقات ١٦، ٢٥ و٣٤؛ ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١١، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٤١) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٠؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ٢٨، ٣٤ و٤٢، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٥ ـ ٢٣٨.

(٤٢) سوف تتم مناقشة السلطة التي كان يتمتع بها أشراف مكة في نجد لاحقاً في هذه الدراسة.

الهجري/السابع عشر الميلادي، كانت ثمَّة قوة بدوية أخرى آخذة في الظهور في شرق نَجْد، وفي العام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م، قامت جماعة قبلية تُدعى بني خالد بطرد الوالي العثماني ومجموعته العسكرية الضعيفة من الأحساء(٤٣). ولم يظهر بنو خالد في المصادر النَجْدية قبل أن يقدموا على هذا الفعل الجريء ضد العثمانيين، ويشير ابن فضل الله العمري إلى أنهم سكنوا عدداً من الأماكن الواقعة في القصيم(٤٤). ويبين العصامي أن بني خالد قد هاجموا شريف مكة، حسن بن أبي نمي الذي قام من جانبه بحملة في الخرج في سافلة نَجْد في عام ٩٨٩هـ/١٥٨١م(٤٥). ومع ذلك، فإن العلاقة بين بني خالد في القصيم والخرج وأولئك الذين في الأحساء لم تكن مثبتة على نحو واضح.

يربط معظم النسّابين والمؤرخين بني خالد في الأحساء ببني عقيل بن عامر الذين ينتمي إليهم الجبريون الذين سيطروا على الأحساء ونَجْد خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وبداية القرن التالي(٤٦). ولعل غياب بني خالد من الأحداث التي شهدتها نجد خلال الفترة التي سبقت عودة ظهورهم في الأحساء، ربما يُعزى إلى سيطرة الجبريين الذين طُرحوا بوصفهم رؤساء حلف بني عقيل بن عامر في شرق الجزيرة العربية ونَجْد، وقد تفكّك هذا الحلف مع انكسار الجبريين، وقد كان بنو خالد جماعة صغيرة في ذلك التحالف. ولعلّ الحقيقة القائلة بأن جماعة بني خالد كانت عبارة عن حلف يتكون من عدّة جماعات لا صلة تربطها، يفسر صعودها المفاجئ إلى السلطة في شرق الجزيرة العربية، بالإضافة إلى الخلاف الحاد الذي مزق تماسكها بعد ذلك بفترة وجيزة.

وفي العام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م، أي بعد مضي عام على استيلائه على

---

(٤٣) الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ١٢ ـ ١٣.

(٤٤) العمري، «العرب في القرن السابع (٣): من كتاب «مسالك الأبصار»،» ص٧٧٧.

(٤٥) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج ٤، ص٣٧٠.

(٤٦) ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، ص٣١ ـ ٣٢، والجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ١، ص٢٠٥ ـ ٢١١، يعتقد الجاسر أن عقيل بن عامر التي تنتسب إليها بعض فروع بني خالد، لم تكن من عامر بن صعصعة، لكن من عامر بن عبد القيس، سكان البحرين في بداية العصر الإسلامي.

الأحساء، قاد برّاك بن غرير رئيس بني خالد حملة على نَجْد[٤٧]. وكان الهدف الأول لشيوخ بني خالد هو البدو الرحل في اليمامة ـ الظفير، وآل كثير. واستمرت مغازي بني خالد في نَجْد حتى اصطدموا بسلطة الوهابيين قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. ويشار إلى أنّ كلاً من البدو الرحل والسكان المستقرين في اليمامة كانوا عرضة لتلك الحملات. ويبدو أن الهدف الرئيس الذي يسعى وراءه شيوخ بني خالد كان إخضاع أهل اليمامة لسلطتهم[٤٨].

وكان ثمة هدف إضافي يسعى بنو خالد إلى تحقيقه وهو طرد الجماعات البدوية القوية في نَجْد، وخاصة بني الظفير من أخصب المراعي في اليمامة، ومن ثَمَّ يكون بإمكانهم أن يستولوا على تلك المراعي معتبرين إياها «حِمى» (منطقة رعي مَحمِيّة)، ما يعني أن البدو الرحّل الآخرين لن يكون بإمكانهم أن يشاركوهم في تلك المراعي. تستخدم بعض المصادر النجدية، أحياناً، عبارة «طردهم» عندما تتحدث عن المواجهات التي دارت بين شيوخ بني خالد والظفير[٤٩]. وقد تمَّت الإشارة أيضاً إلى حماية المراعي الخصبة في اليمامة من قبل شيوخ بني خالد، وذلك في قصيدة شعبية كتبت في مدح أحدهم والثناء عليه، عريعر بن دجين (١١٦٦ ـ ١١٨٨هـ/ ١٧٥٢ ـ ١٧٧٤م)، ويبين الشاعر أن رئيس بني خالد كان قادراً على رعي قطيعه في أي مكان يريد، وأنه لا يمكن لأحد أن يشاركه تلك المراعي من دون إذن منه[٥٠].

الدواسر وقحطان

خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، أصبح وسط نَجْد مصدر جذب لجماعة قبلية نجدية أخرى كبيرة، الدواسر؛ إذ كانت ديارهم

(٤٧) ستتم مناقشة سلطة شيوخ بني خالد في نجد لاحقاً في هذه الدراسة.

(٤٨) من الملحوظ أن شيوخ بني خالد لم يتوغّلوا في عالية نجد؛ إذ كانت أبعد النقاط التي وصلوا إليها هي العارض ونفود السر شرق عالية نَجْد. ونتيجة لذلك، فإن اتصال بني خالد مع الجماعات القبلية في ذلك الإقليم مثل: قحطان، شمر، عنزة ومطير كان محدوداً.

(٤٩) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٤١ ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٢١.

(٥٠) عبد الله بن خالد الحاتم، خيار ما يلتقط من شعر النبط (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨)، ج ١، ص١٩٥.

القبلية هي الوادي الذي يحمل اسم القبيلة نفسه، ويقع وادي الدواسر في أقصى الجزء الجنوبي من نَجْد. ولقد تمّت مناقشة دخولهم إلى عالية نَجْد واليمامة، وكذلك المواجهات التي خاضوها مع الجبريين في الخَرْج سابقاً. وبعد انكسار الجبريين في عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٠م كانت الأقسام القبلية القديمة قد تركت في اليمامة وحدها للدفاع عن ديارها القبلية ضدّ الوافدين الأكثر قوة. ويشار إلى أن عدداً من آل فضل، وآل مغيرة، وسبيع، والسهول قد انضموا غالباً إلى تلك القوى لمقاتلة الدواسر، وحليفتها قحطان[٥١]. وخلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي وكل القرن التالي، زادت المواجهات التي تجمع بين الدواسر والجماعات البدوية الأخرى في إقليم العارض في أماكن مثل الحرملية، والرويضة[٥٢]. ويسجل مؤلف كتاب **تحفة المشتاق** أيضاً عدداً من المعارك التي خاضتها الدواسر على هضبة العرمة إلى الشمال من الخرج[٥٣]، وهذا يوضّح التقدم التدريجي للدواسر في عالية نجد واليمامة.

وفي الربع الأخير من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بدأت جماعة قحطان القبلية تتقدّم من الجنوب إلى داخل عالية نَجْد. وقد ذُكرت قحطان من قبل المؤرخين النجديين للمرة الأولى في المنطقة في عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢ ـ ١٥٧٣م، بوصفها حليفاً للدواسر ضد جماعات البدو الرحّل في اليمامة[٥٤]. وبحلول عام ١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م، استجمعت قحطان قوتها في عالية نَجْد بما جعلها قادرة على البدء في خوض منافسة شرسة مع حليفتها السابقة، الدواسر وجماعات البدو الرحّل الأخرى. لقد أصبحت قحطان والدواسر قطبين تجمعت حولهما جماعات قبلية أخرى أصغر حجماً، والتي تقف في جانبين متعارضيْن على خطوط معركة في الخرج، وجنوب عالية نَجْد[٥٥].

(٥١) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقات ٢٥، ٢٦، ٣١ و٣٤.
(٥٢) المصدر نفسه، الورقات ٢٥، ٣٧، ٤٤ و٥١.
(٥٣) المصدر نفسه، الورقات ٢٥ ـ ٢٦، ٣٠ و٣٢.
(٥٤) المصدر نفسه، ورقة رقم ٣١.
(٥٥) المصدر نفسه، الورقات ٣٧، ٤٣ ـ ٤٤، ٤٦، ٥١، ٦١، ٧٦ و٧٩.

لقد كانت ديار قحطان تقع على المنحدرات الشرقية لجبال عسير بين بيشة ونجران، وفي الأودية التي تتفرع منها تلك المنحدرات شرقاً ـ مثل وادي تثليث ـ إلى الجنوب الغربي من وادي الدواسر. إن حضور قحطان والدواسر في عالية نَجْد والخرج لم يكن دائماً، ولا سيما قبل القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. ولقد كان اختراقهم نجداً يحدث بصورة موسمية. وإضافة إلى ذلك، فقد وقعت معظم معاركهم فيها حول آبار المياه الشهيرة؛ مثل: الحرملية، والرويضة، وتبراك، والأنجل، أو في محيط الخرج، وهو ما يوضح أن تلك المعارك قد حدثت خلال وقت الصيف. ويتبين أن بعض المواجهات القليلة في أثناء فصول أخرى(٥٦). ولذلك تحركت جماعات الدواسر وقحطان باتجاه الشمال داخل نَجْد خلال موسم الصيف بعدما هطل على الإقليم كميات غزيرة من مياه الأمطار في موسم الربيع. ويذكر نيبور أن قحطان كانت تعيش في ديارها القبلية الأصلية الواقعة على المنحدرات شمال نجران، عندما زار اليمن في عام ١٧٦٣م، ويشير أيضاً إلى علاقتها بأمير نجران وإمام صنعاء(٥٧)، بوركهارت الذي قام بزيارة الحجاز بعد ذلك بنحو نصف قرن، والذي أفاد أيضاً أن قبيلتي الدواسر وقحطان كانتا تعيشان في ديارهما القبلية، لافتاً إلى هجراتهما الموسمية إلى المراعي الجيدة في نَجْد خلال موسم الصيف(٥٨).

لقد اختفت المنافسة بين الدواسر وقحطان في جنوب عالية نجد من السجلات في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. ويبدو أن واحدة من هاتين الجماعتين القبليتين قد طردت الأخرى من المنطقة منذ ذلك الوقت. وفي تصدّيهم للوهابية في نهاية القرن، وفي الوقت الذي كان فيه رؤساء الدواسر ـ جماهر من الرجبان، وحويل من الوداعين، وربيّع بن زيد من المخاريم ـ يديرون الأمور من ديارهم القبلية الأصلية، وادي

---

(٥٦) المصدر نفسه، ورقة رقم ٢٦.

(٥٧) Carsten Niebuhr, *Travels through Arabia and Other Countries in the East*, [illegible] vols. (Edinburgh: R. Morison and Son, 1792), vol. 2, pp. 54-55 and 61-62.

(٥٨) John L. Burckhardt: *Travels in Arabia* [reprint from the London: Henry Colburn, 1829) (Beirut: Librairie du Liban, 1972), pp. 451-452, and *Notes on the Bedouins and the Wahabys*, pp. 243-244.

الدواسر[٥٩] أصبح هادي بن قرملة من قحطان بطل القضية الوهابية في جنوبي عالية نَجْد[٦٠]. وبينما تقهقرت الدواسر إلى واديها، كان مصير قحطان أن تبرز بوصفها أكثر جماعة قبلية نفوذاً وسيطرة في نَجْد في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وأن يكون هذا البلد مسكناً دائماً[٦١].

العجمان وآل مرة

كان آخر بدو الجنوب الرحل ظهوراً في نَجْد قبل ظهور الحركة الوهابية هما قبيلتا العجمان وآل مرة، اللتان تنتميان إلى جماعة قبلية أكبر حجماً وهي بنو يام من نجران[٦٢]. ويبدو أن الدخول الأول للعجمان وآل مرة قد حدث إبان النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وكانت عمليات الدخول هذه عبارة عن هجرات موسمية من ديارها القبليّة الأصلية في الجنوب[٦٣].

كانت المرة الأولى التي تحدّثت فيها المصادر النجدية عن نشاط هاتين القبيلتين في نَجْد، في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣ ـ ١٧٦٤م، عندما هاجم جيش وهابي العجمان، وألحق بهم هزيمة منكرة في عالية نَجْد[٦٤]. وعلى الفور، طلبت العجمان مساعدة أنسبائها من نجران، الذين انتقموا منهم في العام التالي. وكانوا يلقبون، أحياناً، بـ«عربان اليمن» أو «أهل اليمن» (بدو اليمن)، في المصادر النَجْدية[٦٥] ويشير هذا إلى علاقتهم بقومهم من نجران، بالإضافة إلى هجرتهم الأخيرة من هناك.

---

(٥٩) حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، حرره وحققه ناصر الدين الأسد (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦١)، ص١٦٦ ـ ١٦٩، ١٧٣، ١٩٩ و٢٠٣.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١٨٠، ١٨٨، ١٩٠ ـ ١٩١ و٢٠٣ ـ ٢٠٦. ذكر ابن غنام أن أماكن الري في مأسل والجَمّانية في عالية نَجْد كانت تستخدم بواسطة قحطان في ذلك الوقت. انظر أيضاً: **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تمّ تحريره ونشره بواسطة أحمد أبو حاكمة (بيروت: [د. ن.]، ١٩٧٦)، ص٦٤ ـ ٦٥.

(٦١) ابن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، ج ٢، ص١٢٩ ـ ١٣١.

(٦٢) عبد الرحمن المغيري، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**، ط ٢ (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٥)، ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٦٣) **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب** (تحرير أبو حاكمة)، ص٦٥.

(٦٤) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص١١٩، والفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ٥٥.

(٦٥) ابن غنام، المصدر نفسه، ص١٢٨ ـ ١٢٩ و١٥٨، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص٦٦ ـ ٦٧ و٧٥ ـ ٨٠.

وقبل هجوم الوهابيين عليهم، تجوّلت العجمان في نجد تحت حماية أو في تحالف مع جماعات قبلية أكثر قوة[٦٦]. وخلال الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، أصبحت العجمان هدفاً لغارات الوهابيين في عالية نَجْد واليمامة، في حين طُرحت آل مرة بوصفها حليفاً قوياً لرؤساء الخرج ضدّ قوّتهم المتصاعدة[٦٧]. وبحلول النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، بدأت هاتان الجماعتان القبليتان شن غارة على الأحساء، واستولتا خلالها على الكثير من أجزاء المنطقة القبلية التابعة لقبيلة بني خالد المفكّكة في شرق الجزيرة العربية[٦٨].

علينا أن نأخذ بالاعتبار خاصية واحدة مهمة في تكوين الجماعة القبلية في الجزيرة العربية، عند مناقشة موضوع هجرة جماعة معينة أو بروزها لتهيمن على مسرح الأحداث، وهي أنه لا توجد جماعة قبلية واحدة حافظت قط على تماسكها، وبسط سيطرتها في نَجْد لفترة طويلة من الزمن؛ فلقد ظهرت جماعات بدوية بصورة دورية في المشهد النَجْدي، وقد هاجرت، غالباً، من الغرب أو الجنوب الغربي من نَجْد، وسيطرت على منطقة كبيرة من المراعي الجيدة لنحو قرن، ثم تفكّكت أو هاجرت نتيجة للضغوط التي تمّت ممارستها عليها من جانب جماعة قبلية أخرى جاءت وحلّت مكانها.

جدير بالذكر، أنه في معظم الأحيان كانت هناك أكثر من جماعة قبلية تدّعي الهيمنة والحق الحصري في الاستيلاء على المراعي الجيدة، وأماكن الري الوفيرة الموجودة في نَجْد؛ ومن الأمثلة على ذلك عنزة والظفير خلال

---

(٦٦) إبراهيم بن صالح بن عيسى، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر** (حرر ونشر كتكملة لـ«عنوان المجد» لابن بشر) (الرياض: وزارة التعليم السعودية، [د. ت.])، ص٢٦.

(٦٧) ابن غنام، المصدر نفسه، ص١٢٨ ـ ١٢٩، ١٤٣ ـ ١٤٤، ١٥٦ و١٥٨؛ ابن بشر، المصدر نفسه، ج ١، ص٦٦ ـ ٦٧ و٨٠، والفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ٦١.

(٦٨) انظر:

George F. Sadlier, *Diary of a Journey Across Arabia*, edited by F. M. Edwards (London; New York: The Oleander Press; Naples: Falcon Press, 1977), pp. 64, 87 and 89-90. (1st ed. 1819).

انظر أيضاً: ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٢٦.

القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وعنزة ومطير خلال القرن التالي[٦٩]. في حين كان على جماعات قبلية أخرى أن تحارب لتشق طريقها إلى هذه الأماكن الخصبة وأماكن الري، أو كي تنال إذناً من الجماعات الأقوى لاستخدامها. وكانت الجماعات الأضعف تميل، غالباً، إلى إقامة تحالفات مع الأقوى منها بغرض حمايتها من الغارات، ومشاركتها في حق الانتفاع من المراعي، من خلال تقديم «شاة الحلف» إلى الجماعة الأقوى كرمز للتبعية[٧٠]. وبمضي الوقت يصبح الحلف علاقة نَسَب مع الجماعة القبلية الأكبر. وعلى هذا النحو، فقد ظهرت أحلاف أكبر؛ نتيجة تحالف قبائل أصغر حجماً، وأصبحت هي الجماعة القبلية المسيطرة. ولعل أفضل الأمثلة على التحالفات الأقوى التي تشتمل على جماعات لا علاقة تربط بينها هي الظفير، وبنو خالد، ومطير[٧١].

ومع ذلك، فليست كل الجماعات المهاجرة التي انتقلت إلى نَجْد، وكسبت دياراً قبلية جديدة في هذا البلد، بدأت بوصفها تحالفات كبيرة. فبعضها قد زحف بوصفه جماعات صغيرة ذات مستوى عال من التماسك والترابط، والقدرة القتالية، وقد كانت من الأوائل من جماعاتها القبلية الأصلية التي كانت لديها الإرادة والقدرة على البحث عن مراعٍ مناسبة لقطعانها، وإضافة إلى ذلك، فقد أكسَبَتْهم قدرتهم على خوضِ الحرب وقُوتهم، حلفاءَ من بين الجماعات المحلية الأقل قوةً في نَجْد، الذين كانوا يطلبون حمايتهم. ولذلك، فإن الجماعات الأصغر ـ ولكن الأنشط ـ قد شهدت نمواً في القوة والعدد، وكسبت السيطرة على السهول. ومع مرور

---

(٦٩) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ج ٢، ص٦٣٨ ـ ٦٣٩، وعبد الله الصالح العثيمين، «الشعر النبطي من مصادر تاريخ نجد،» **مجلة العرب**، السنة ١١، العددان ١١ ـ ١٢ (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٧٧)، ص٨٥١ ـ ٨٥٣.

(٧٠) **شاة الحلف**: هي عادة بدوية تقوم بموجبها القبيلة البدوية الضعيفة التي تطلب الحماية من قبيلة أقوى بذبح خروف تأكل منه كلتا القبيلتين كرمز للمشاركة. وتصبح الجماعتان القبليتان حليفتين ومتشاركتين في أوقات الحرب والسِّلْم. ويشار هنا إلى أن مسألة «شاة الحلف» قد ورد ذكرها في شعر سيدة تنتمي إلى قبيلة مطير، والتي حذرت قبيلتها من أنها إذا لم تدافع عن نَجْد بالسيف، فإنهم سوف يقومون «بتقديم الشاة» إلى أي قبيلة أخرى. انظر: ابن رداس، **شاعرات من البادية**، ص٢٣٦.

(٧١) حول نشأة الظفير، بني خالد، ومطير، انظر: الحقيل، **كنز الأنساب ومجمع الآداب**، ص٨٣ ـ ٨٥ و١٣٢ ـ ١٣٣، والجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج ١، ص٢١٠ ـ ٢١١، وج ٢، ص٥٢٤ ـ ٥٢٥.

الوقت أصبحت هذه الجماعات المهاجرة ذات سلطة ونفوذ ـ وغالباً تحالفات كبيرة ـ ولا بدّ لها من أن تشتمل على عدد من العشائر من بين جماعات البدو الرحل النَجْدية القديمة.

لقد رأينا في السطور السابقة كيف كان البدو الرحل قد تجمّعوا في نَجْد منذ القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ويبدو أن السكان البدو في نَجْد إبان القرنيْن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي والحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي قد زاد حجمهم بصورة كبيرة جداً. ولعلّ الظروف المناخية والبيئية الملائمة (غياب مواسم القحط الكبرى، والأوبئة، والحوادث الكارثية الأخرى) التي سادت خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي قد أسهمت في استقطاب جماعات من البدو الرحل؛ مثل الظفير، وعنزة، وبني حسين، والدواسر، وقحطان، وبني خالد إلى تلك المنطقة، ناهيك بأن تلك الظروف قد أتاحت للبدو الرحّل النجديين القدامى أن يحقّقوا ازدهاراً.

ولقد كان للصراع بين القبائل البدوية القبلية في نَجْد قبل الوهابيين ـ كما هو مسجّل في المصادر النجدية ـ مفصلان مهمان: **الأول** خلال النصف الأخير من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، **والآخر** من منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وحتى العقود الأخيرة من القزن التالي، عندما بدأ الوهابيون في بسط سيطرتهم على نجد[٧٢]. وقد كانت الفترة التي تقع بين هذيْن المفصليْن المهميْن، والتي تبلغ قرناً ونصف القرن، هادئة، نسبياً، بالنسبة إلى نَجْد. ومن المهم أن نسجّل أن تلك الفترة الهادئة كانت قد شهدت أيضاً موجات قحط قليلة، وحوادث بيئية كارثية قليلة أيضاً.

لقد كان النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر

---

(٧٢) حول الفترة الأولى، انظر: البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)**، الورقات ٧ ـ ١٦. وحول الفترة الثانية انظر الدراسات التي تتناول الترتيب التاريخي للأحداث والخاص بابن ربيعة، المنقور، ابن عباد والفاخري بالنسبة إلى تلك الفترة.

الميلادي، فترة مثيرة بالنسبة إلى البدو النجديين. فقد ورد ما يفيد بحصول سبع موجات قحط كبرى في البلاد. وفضلاً عن ذلك، فقد كانت المنافسة محتدمة بين عنزة والظفير، وبين الظفير وآل فضل. إضافة إلى ذلك، فقد بدأت جماعات جديدة، مثل: مطير، وقحطان، وبني خالد، وأهل الحجاز (غالباً عتيبة) في ممارسة سلطتها في نَجْد. وقد أصبحت المزاحمة على نَجْد أكثر تعقيداً بسبب الحملات التي شنها أشراف مكة، ورؤساء الأحساء ضد البدو النجديين والبلدان النجدية. وقد تكثّفت تلك الحملات خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، في حين بدأت الحملات التي شنّها رؤساء الأحساء في عام ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م كما هو موضح سابقاً. وكان كل من حكام مكة والأحساء على حدّ سواء قد ألّبوا القبائل النَجْدية على بعضها بعضاً، ما أدّى إلى زيادة الوضع سوءاً، وتأزّم الموقف المتدهور من الأساس، وكذلك إلى إدخال مزيد من الجماعات القبلية البدوية في المزاحمة.

كانت هناك محركات عديدة للاضطرابات في سهول نَجْد، لكن جوهر الصراع بين الجماعات البدوية كان هو الحق في أولوية الانتفاع من الموارد الطبيعية المتاحة في المنطقة. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنَّ الطرق التقليدية المحددة التي تحصل من خلالها أيَّة قبيلة على أولوية الانتفاع من الموارد الطبيعية في المنطقة، كانت هي القوة ولا شيء غيرها. كما أن التحالفات الجديدة التي كانت الأقوى والأكبر من بين الجماعات في تلك الفترة تتنافس فيما بينها من جهة، ومع الجماعات القديمة من جهة أخرى على اكتساب الحق في الانتفاع من المراعي الخصبة وآبار المياه. وكانت معظم المعارك التي سُجِّلت في المصادر النجدية من تلك الفترة قد دارت بين الجماعات القبلية الأقوى: عنزة ضد الظفير، والظفير ضد آل فضل في شمالي نجد، والدواسر ضد قحطان في جنوبي نجد. وكانت الجماعات البدوية القديمة هي الخاسر الأكبر في هذه الصراعات. ونتيجة لذلك، فقد كانت تُجبَر من جانب الوافدين الجدد الأكثر قوة على الانتقال من مناطق المراعي الخصبة في عالية نجد والتوجه إلى سافلة نجد.

هجرة البدو الرحّل النجديين القدامى
في نجد إلى جنوب العراق

لقد زاد الضغط الذي كانت تمارسه الجماعات القبلية المستجدة في نجد على الجماعات القبلية القديمة خلال الفترة المذكورة سابقاً. وقد بدأت الأخيرة ـ زعب، وآل مغيرة، وآل فضل وآل كثير ـ تفقد أرضيتها لمصلحة عنزة، والظفير، وقحطان، والدواسر، وبني خالد التي أصبحت الجماعات القبلية المسيطرة. وإنَّ أغلبية المواجهات التي دارت بين الجماعات البدوية القبلية القديمة وتلك المستجدة حدثت في سافلة نجد، وإلى الشرق من تلك المنطقة، ما يشير إلى المكان الذي انتقلت إليه الجماعات التي تعرضت للضغط؛ نتيجة التضييق عليها. وفي معظم الأوقات، كانت الجماعات القديمة هي الطرف الخاسر في تلك المواجهات.

آل مغيرة

كان التاريخ الأخير الذي ذكرت فيه جماعة آل مغيرة القبلية في المصادر هو في عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧م، عندما كانت قد تعرضت للهجوم مرتين في العام نفسه، وانهزمت في كلتا المرتين، وقُتل رئيسها على يد شيخ بني خالد[٧٣]. وقد اختفت آل مغيرة فجأة من السجلّات، على الرغم من حقيقة أن الأحداث التي شهدها القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي كانت قد سجّلت بطريقة أفضل من تلك التي حدثت في الفترة المتقدمة. ولا بد من أن آل مغيرة كانت قد هاجرت من نَجْد في هذا الوقت، وأن هؤلاء الذين بقوا لا بدّ من أنهّم قد دخلوا في حلف مع جماعة قبلية أقوى لتوفير الحماية لهم وانتحلوا اسمها.

آل كثير

خلال الفترة ذاتها، كانت الجماعة القبلية آل كثير في نجد في موقف

---

(٧٣) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ورقة رقم ١٩، وابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص٢١٨. يذكر ابن عيسى أن محمَّد الخياري رئيس آل مغيرة، قد قتل في معركة نشبت مع آل عساف من آل كثير، انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٧١.

دفاعي، وقد خسرت معظم معاركها التي دخلت فيها مع أعدائها. وكانت الأنشطة التي مارستها مقتصرة على إقليم العارض والخرج، ونادراً ما كانت تجازف في دخولها إلى عالية نجد. أما عدوها الدائم الذي يبدو أنه قد طردها في النهاية من نجد فكان بني خالد(٧٤). وبحلول نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، فقدت جماعة آل كثير القبلية قدرتها على التماسك والقيادة المشتركة. وقد تقابل فرعاها الرئيسان، آل نبهان وآل عساف، في معركة دارت بينهما في عام ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥ ـ ١٦٨٦م و١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧م(٧٥). وفي العام التالي، قتل كبيرهم جساس(٧٦). جدير بالذكر أن تفكك آل كثير جرّأ رؤساء بلدة العيينة، الذين كانوا متحالفين مع رئيس بني خالد، على أن يهاجموهم(٧٧).

ويبيّن مؤلف كتاب علماء نجد أن آل كثير قد هاجروا إلى العراق بحلول نهاية القرن الحادي عشر الهجري. وإضافة إلى ذلك، فقد استشهد المؤلف بكلام ابن عيسى ومفاده أنه عندما أصبح آل كثير ضعفاء، تفرقوا وذهبوا إلى جماعات قبلية أخرى، وأن معظمهم قد انضموا إلى الظفير(٧٨). ومع ذلك، تستمر المصادر في ذكر آل كثير في إقليم العارض حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي(٧٩). ولا بد من أن هجرة آل كثير قد تمَّت بصورة تدريجية. ومن المحتمل أن تكون بعض فروع هذه القبيلة قد بقيت في نجد أو تنقلت بين نجد والعراق.

---

(٧٤) لمعرفة تفاصيل حول معارك آل كثير مع شيوخ بني خالد، انظر: الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ١٨ ـ ١٩، ٢٤ و٣٦، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٧٥) ابن بشر، المصدر نفسه، خ ٢، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٧٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص٢١٨، والفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٢٠.

(٧٧) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٠؛ البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقتان ٥٣ و٦٩، وابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص٢٢٥ و٢٣٦.

(٧٨) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٣، ص٨٢٢.

(٧٩) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ورقة رقم ٤٣، والبسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقة ٧٦. بعد ذلك بقرن، في عام ١٢٤٣ و١٢٤٨هـ، ورد ذكر آل كثير في الأحساء. انظر: ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٤٣ و٥٧.

آل فضل

يبدو أن آل فضل (الفضول) كانت هي الجماعة الأقوى من بين الجماعات القبلية البدوية الثلاث من بني لام. فقد استمرت في المنافسة على المراعي الجيدة في عالية نجد ومشاركتها مع الجماعات البدوية الجديدة، حتى بداية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وكان العدو الأقوى لجماعة آل فضل القبلية الذي قام بطردها من نجد هو الظفير. وفي الأعوام ١٠٨١ و١٠٨٢ و١٠٨٤هـ/ ١٦٧٠ و١٦٧٢ و١٦٧٣م وقعت ثلاث معارك كبيرة بين الجماعتين القبليتين(٨٠). وفي عام ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م حصل قحط جرمان، وكان مصحوباً بمضايقة قبيلة الظفير لقبيلة آل فضل لإجبارها على الهجرة إلى جنوبي العراق. وبكلمات مؤلف كتاب **تحفة المشتاق**:

> وفيها [١٠٨٥] انحدر بوادي الفضول إلى جهة العراق ونزلوا في نواحي الحويزة فيما بينها وبين العمارة وبقي لهم بقايا قليلة في نجد يتعلّقون العربان ثم رجع إلى نجد كثير منهم والباقون استرفضوا(٨١).

وقد عاد آل فضل إلى نجد في بداية عام ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م، عندما قتل رئيسهم على يد شريف مكة محمَّد الحارث(٨٢). وخلال العقدين الأولين من القرن الثاني عشر الهجري، أصبحوا (وبخاصة فرع آل غزي) هدفاً للهجمات المستمرة من قبل الظفير وشيوخ بني خالد(٨٣). ويبدو أن تلك الهجمات التي شنها عليهم أعداؤهم الأقوياء كانت قد أجبرتهم على ترك نجد إلى الأبد. وقد ورد ذكر آل فضل بعد ذلك مرتين فقط في المصادر: في عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م، تعرض آل فضل لهجوم من قبل علي بن غرير رئيس بني خالد(٨٤). أما المرة الأخرى فكانت في عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م، عندما هاجم

---

(٨٠) أحمد بن محمد المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**، تحرير عبد العزيز الخويطر (الرياض: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ص٥٣.

(٨١) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٥٠.

(٨٢) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ١٥، وابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ٧ ـ ٨.

(٨٣) الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ٢٠، ٢٣ و٢٦، والمنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**، ص٦٦، ٧٠ و٧٤ ـ ٧٥.

(٨٤) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٣٤.

أحد رؤسائهم قافلة تجارية كانت قادمة من الزبير بالقرب من البصرة ومتجهة إلى سدير[٨٥]. ويدل كلا الحدثين تحوّل مكان قبيلة آل فضل باتجاه الشرق، وهي في طريقها إلى جنوبي العراق.

زعب

أصبح بدو زعب أيضاً أقل مشاهدة في المصادر إبان القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن التالي. وكانت مواجهاتهم مع جماعات قبلية بدوية أخرى أقل عدداً في هذه الفترة؛ وعندما دخلوا في منافسة، كانوا حلفاء للجماعات القبلية الأكثر قوة مثل مطير. وكانت قبيلة زعب أيضاً هدفاً للغارات التي كان يشنها عليها شيوخ بني خالد[٨٦]. ولم تكن ديار زعب القبلية واضحة في المصادر في تلك الفترة. فقد ورد ما يفيد أن تلك القبيلة كانت تخيّم في سافلة نجد في عام ١١٤٦هـ/ ١٧٧٣م[٨٧]. وبحلول نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي أصبحت زعب قبيلة مهمشة وتعيش بصورة رئيسة في شرق الجزيرة العربية[٨٨].

وقد أسّست جماعات مختلفة من بني لام، التي هاجرت تباعاً من نجد، لنفسها دياراً قبلية جديدة في جنوب العراق. وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي بدأت تلك الجماعات تشعر بأنها قوية على نحو كافٍ تستطيع معه على مواجهة سكان المنطقة؛ على سبيل المثال، أمراء الحويزة، وقبيلة ربيعة، وسكان لورستان، وحتى باشاوات بغداد، ليؤسسوا ديارهم القبلية الجديدة على حساب جيرانهم[٨٩]. ولا بد من أن طليعة

---

(٨٥) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، ورقة رقم ٧٧. ورد ذكر الطرف المغير من آل فضل في عالية نجد في عام ١١٤٨هـ، لكن الأطراف المغيرة عادة ما تتوغل بعيداً عن الأماكن التي تعسكر فيها قبائلها.

(٨٦) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ٩ ـ ١٠.

(٨٧) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، الورقتان ٤٣ ـ ٤٤.

(٨٨) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، ورقة رقم ٩٧، و Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys*, p. 232.

(٨٩) Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq*, pp. 80, 93 and 124, and V. Minorsky, "Lam," in: *Encyclopedia of Islam*.

مهاجري بني لام كانت قد وصلت إلى جنوب العراق قبل القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وتجدر الإشارة إلى أن هذا يتزامن مع تضاؤل سلطتهم في نجد[٩٠]، وإيجاد ضغط من جانب الجماعات القبلية المستجدة في المنطقة.

وفي منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، كانت بنو لام قد وُصفت بأنها قبيلة كبيرة:

> . . . بين القرنة وبغداد على ضفة نهر دجلة. . . يأخذون ضرائب على البضائع التي كانت تحمل بين البصرة وبغداد. وهؤلاء العرب كانوا يسطون أحياناً على القوافل. وبعد ذلك أرسل باشا بغداد قوات لردعهم، وكان عقابهم أحياناً هو قطع رؤوس رؤساهم. لكن خلفاء هؤلاء الشيوخ الذين قطعت رؤوسهم هم دائماً أعداء لدودون للأتراك، كما أنهم مندفعون للحفاظ على حريتهم كما فعل أسلافهم[٩١].

لقد أصبحت بنو لام واحدة من الجماعات القبلية الرئيسة، التي استهدفتها حملات تأديبية وعقابية من جانب باشاوات بغداد الأقوياء ـ حسن باشا، وأحمد باشا ـ وذلك خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي[٩٢].

ومن الواضح أن هجرات بطون بني لام المختلفة المستمرة من نجد قد أسهمت في إيجاد جماعة قبلية بدوية في جنوب العراق، والتي وسعت بدورها من مناطق سيطرتها، وزادت من الضرائب على القوافل التي كانت تمر بين البصرة وبغداد، كما أنها حافظت على استقلالها عن كل من باشوات بغداد وأمير الحويزة.

---

(٩٠) ابن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، ج ٢، ص١٢٨.

(٩١) Niebuhr, *Travels through Arabia and Other Countries in the East*, vol. 2, p. 169.

لمزيد من المعلومات حول عدد بني لام وتمدد مناطق سيطرتهم القبلية في العراق. انظر: James S. Buckingham, *Travels in Assyria, Media, and Persia* (London: Henry Colburn, New Burlington St., 1829) [reprinted: Gregg International Publishers, 1971], pp. 12-13 and 402.

(٩٢) رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمها إلى العربية موسى كاظم نورس (بيروت: دار الكاتب العربي؛ بغداد: مكتبة النهضة، [د. ت.])، ص٣٩، ٤٥ و٤٨، وعباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين** (بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٣٥)، ص١٦٢، ١٩٧، ٢١٤، ٢١٧ و٢٥١.

استيطان البدو الرحّل النجديين

حتى وقت قريب كانت الأغلبية الساحقة من السكان النجديين بدواً، ولم تتح الطبيعة الجغرافية والبيئية (الإيكولوجية) للبلد في نمو السكان المستقرين بأعداد كبيرة، أو التمدد والتوسع في العدد المحدود من القرى والبلدات في هذا البلد. وإضافة إلى ذلك، لم يكن لدى نجد مخزون من المعادن وهي لا تقع على طرق التجارة الرئيسة التي تصل بين القارات، وهي العوامل المميزة التي تعمل على تطوير المجتمعات الحَضَرية.

وخلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الوهابيين، أُسِّست عدة مستوطنات[٩٣] في نجد من قبل الجماعات التي زعمت أنها على صلة بالجماعات القبلية البدوية، مثل: عنزة، والدواسر، وآل عائذ، وبني لام. وليس من الممكن أن يتم تعقب تلك الجماعات القبلية في المصادر المتاحة لنا بوصفها مهاجرة من المجتمعات المستوطنة. ولذلك، فقد افترضنا هنا أنهم جماعات بدوية في الأصل، وسوف تتم مناقشة تلك الجماعات، ومستوطناتهم والأسباب التي تقف وراء تأسيسها، في السطور القادمة.

كان هناك نمطان للحياة البدوية النجدية: نمط يعيشه البدو المتنفذون، وآخر تعيشه مجموعات البدو الأضعف؛ وفيما يتعلق بالنمط الأول، فيتمثل في تلك الجماعات القبلية المسيطرة التي هيمنت على آبار المياه الأغزر، ورعت في المراعي الأخصب الموجودة في نجد متى أرادت ذلك. وقد تألفت قطعانهم فقط من الجمال التي كانوا يتنقلون بواسطتها لمسافات طويلة في سهول الجزيرة العربية. وقد مكّنهم امتلاكهم للأحصنة، وكثرة عددهم، وسهولة حركتهم الكبيرة، من التنقل بقطعانهم إلى أي مكان تهطل فيه أمطار غزيرة، ومن الدفاع عن ملكيتهم، وحتى زيادة ما يملكونه من خلال غنائم الغارات التي يحصلون عليها. لقد كان البدو المتنفذون هم الأغنى من بين البدو الموجودين في الجزيرة العربية[٩٤]. وكانوا يتجوّلون في عالية نجد،

---

(٩٣) يستخدم مصطلح «مستوطنة» في هذه الدراسة ليشير إلى تلك البلدان والقرى التي تأسست أو تم إحياؤها إبان الفترة التي نحن بصدد دراستها، في حين تستخدم كلمة «البلدات» لتشير إلى الأماكن المستوطنة الأقدم والأكبر من حيث المساحة.

(٩٤) يوضح بوكهارت أن البدو الذين كانوا يرعون قطعانهم في السهول المفتوحة الواقعة شرقي =

وبعضهم يجازف في الدخول إلى أطراف الصحراء السورية وجنوب العراق عندما يقع القحط الشديد في نجد. وكانوا يترددون كثيراً على البلدات النجدية في وقت الحصاد؛ كي يشتروا مؤوناتهم السنوية من التمر، والقمح، والسلع الأخرى الأساسية. هذا وتنتمي معظم الجماعات المستجدة، مثل: عنزة، والظفير، ومطير، وبني خالد، وقحطان، إلى هذا الطراز من البداوة.

أما النمط الآخر من البداوة النجدية فكانت تعيشه مجموعات بدوية ضعيفة [نزحت معظم قبائلها إلى العراق والشام فيما بقي القليل منها في نجد]، وكان هؤلاء هم الأقل نفوذاً والأقل ثراء أيضاً بين البدو في نجد. وفضلاً عن ذلك، لم تكن أعدادهم كثيرة، كما أنهم لم يمتلكوا أعداداً ضخمة من الجمال، وقد امتلك بعضهم الخراف لتعزيز أوضاعهم الاقتصادية. وكانت تحركاتهم محدودة، كما أنهم كانوا يعيشون بصورة رئيسة في الأودية وروضات سافلة نجد بالقرب من السكان المستقرين. وكانت هذه جماعات قد طُرِدَت قبائلها من المراعي الخصبة في الإقليم على أيدي الجماعات القبلية المهيمنة، إضافة إلى أنه قد تم إضعافها سياسياً واقتصادياً من قبل الجماعات الأقوى. وكانت هذه المجموعات تتردد على القرى والبلدات في سافلة نجد أكثر من البدو المتنفذين، وكانت علاقتهم بالسكان المستقرين أقوى. وفي بعض الأحيان كانوا يغيرون على مواشي الحضَر، وأحياناً أخرى يصبحون حلفاءهم ضد أعدائهم. وعند الأوقات العصيبة، كان الأفراد والأسر من مجموعات البدو الأضعف هذه، يدخلون البلدات والقرى الموجودة في سافلة نجد، ويُقدمون خدماتهم إلى الحَضَر كرعاة لماشيتهم في المراعي المجاورة، وعملوا في المزارع في وقت الحصاد، أو كأجراء للحكام المحليين والرجال الآخرين البارزين في هذه البلدات. وقد خسر هؤلاء الأفراد وتلك الأسر بصورة تدريجية روابطهم بالحياة البدوية، وأصبحوا هم أنفسهم من الحَضَر. وكانت من بين هؤلاء فروع من الدواسر، وسبيع، وآل مغيرة، وآل كثير، وآل عائذ.

= نجد كانوا هم الأكثر ثراءً بين البدو، بخلاف سكان الأقاليم الجبلية الواقعة غربي الجزيرة العربية. ويستشهد بوكهارت بقحطان وعنزة (كلتاهما جماعة بدوية مسيطرة في نجد) بوصفهما الأكثر ثراءً بين البدو في الجزيرة العربية. انظر:

Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys*, pp. 39-40 and 138-139.

وثمة عامل مهم آخر في استيطان البدو النجديين وهو التأثير الناتج من مواسم القحط الشديدة. ففي أوقات كهذه، عندما تصبح المياه والنباتات نادرة أو غير موجودة، تنقل الجماعات البدوية المتنفذة قطعانها إلى منطقة أوسع، بحثاً عن الماء والمراعي، لكن البدو الأضعف والأقل تحركاً هم من يفقدون قطعانهم، ولا يكون أمامهم من خيار سوى التخلي عن حياة الصحراء التي يعيشونها والانتقال إلى جوار القرى أو البلدات مع أسرهم وما بقي من حيواناتهم كي يكونوا قادرين على الاستمرار في الحياة.

وكانت أسوأ موجات القحط التي أرغمت البدو على الخروج من بلدات نجد قد وقعت في عام ١٠٧٦ ـ ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٥ ـ ١٦٦٦م (قحط صلهام)[٩٥]. وقد ورد في كلمات الفاخري: «وفي سنة ١١٣٦هـ عمّ القحط والغلاء من الشام إلى اليمن في البدو والحَضَر وماتت الأغنام وكل بعير يشد، وهثل أكثر البدو في البلدان، وقاظ ابن سويط (رئيس الظفير) بين الشام والعراق»[٩٦]. وكان على جماعة الظفير القبلية المتنفّذة التي لا تترك عادة نجد، وتتجه إلى الصحراء السورية ـ كما فعلت عنزة ـ أن تتجنب القحط بالهجرة إلى الشمال. وكان على الجماعات القبلية الأقل ثراء، وكذلك الأفراد الفقراء والأسر أن تلجأ إلى المدن في نجد.

وعندما تنزل الأمطار وبكميات كافية لتحيي الصحراء، وعندما تكون الظروف مواتية من جديد، فإن معظم البدو الذين كانوا قد لجؤوا إلى البلدان سوف يعودون ثانية إلى مساكنهم الأصلية ويستأنفون نمط حياتهم البدوي. وقد وجدت قلة أخرى من البدو صعوبة في مسألة العودة إلى الحياة البدوية، وخاصة هؤلاء الذين خسروا كل حيواناتهم في موجة القحط. فقد استمر هؤلاء في العيش في البلدان والعمل لدى السكان المستقرين. وبعد فترة وجيزة، يكسبون الأرض ويقومون بزراعتها، وبذلك يصبحون هم أنفسهم مستوطنين.

---

(٩٥) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٤٨؛ ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢١٠، والفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ١١.

(٩٦) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٣٧، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٥.

لم يأت المستوطنون بشكل حصري من الجماعات البدوية الأضعف. فقد تخلّى بعض الأسر وبعض الأفراد الذين ينتمون إلى الجماعات البدوية المتنفذة؛ لسبب أو لآخر، عن حياتهم البدوية من أجل حياة مستقرة. وإضافة إلى ذلك، فقد تنوعت دوافع الاستيطان من خسارة الأملاك وأفراد الأسرة في الغارات البدوية إلى خسارة في المصالح في الحياة البدوية ذاتها. فقد زعم بنو وائل الذين أسسوا عدة مستوطنات في سدير والشعيب أنهم على صلة بعنزة التي كانت تُعدّ من أقوى الجماعات القبلية الأقوى نفوذاً في الوقت الذي استوطنوا فيه تلك المناطق.

إن نسبة عشيرة نجدية معينة مستوطِنة أو أسرة إلى قبيلتها البدوية التابعة لها يعتمد فقط على الأحاديث المنقولة شفوياً التي تمَّ حفظها ونقلها من قبل الأكبر سناً في تلك العشيرة أو الأسرة. وعليه، فإن التواريخ التي تخلّى فيها أسلاف تلك العشائر عن حياتهم البدوية، والانتقال إلى حياة الاستيطان من المستحيل تقريباً تعقّبها وتتبّعها. ويُعزى هذا إلى حقيقة أن استيطان البدو كان يتم بصورة تدريجية وبوتيرة بطيئة. فعلى سبيل المثال، ستتخلى أسرة واحدة، أو جماعة مرتبطة من الأسر عن الحياة البدوية، غالباً، والاستيطان في جماعات صغيرة أو قبائل. وأكثر من ذلك، فإن البدو السابقين عندما يستوطنون، سيرتبطون مع نظرائهم من المستوطنين الموجودين في قريتهم ويختلطون معهم، والذين عاشوا معهم طوال العام، وليس مع أنسبائهم من البدو الذين كانوا في تنقل دائم، هذا وسوف يتحوّل ولاؤهم للقبيلة إلى ولاء آخر للبلدة أو القرية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن روابط المستوطنين مع قبائلهم البدوية التي ينتمون إليها قد قُطِعت. ومع ذلك، يبقى هناك اتصال واحد على حالته لم يتغير، وهو انتماء النسب. إن تلك العوامل مجتمعة مع الازدراء المتبادل الذي وجد بين السكان المستقرين والبدو، قد أسهمت في الغموض الذي يخيم على الظروف والتواريخ التي ربما تكون الأسرة أو الجماعة البدوية قد استوطنت فيها. وعلى هذا الأساس، فإن الأجيال التي جاءت فيما بعد من المستوطنين الجدد ربما تكون قد اعتقدت أن أسلافهم قد استوطنوا قبل وقت طويل من التاريخ الحقيقي. وقد ادَّعى الكثيرون ـ لدوافع سوف تتمّ مناقشتها في السطور القادمة ـ أنهم قد أسسوا مستوطناتهم بوقت أسبق من التاريخ الحقيقي.

استيطان بني وائل

يربط النسّابة الشهير ابن لعبون تاريخ المستوطنات، وأنساب عشيرته (آل مدلج)، وعشائر أخرى مرتبطة بها بانتمائها إلى بني وائل، وعنزة[٩٧]. ويقول ابن لعبون: إن حسين أبو علي ـ جد آل مدلج ـ كان هو أقدم المستوطنين من بني وائل في أشيقر، وقد تُبع حسين أبو علي بمستوطنين آخرين؛ مثل أسلاف آل أبو ربّاع، وآل حتايت، وآل عقيل، وآل هويمل، الذين ينتمون أيضاً إلى بني وائل من عنزة. ويخلص ابن لعبون في النهاية إلى أنه عند بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي تقريباً زادت أعداد المستوطنين من بني وائل إلى الدرجة التي خاف معها السكان الأصليون في المدينة ـ الوهبة من بني تميم ـ من أن يستولي جيرانهم على البلدة. ولذلك، فقد لجؤوا إلى حيلة يرمون من خلالها طرد أسر بني وائل بصورة سلمية وهادئة من أشيقر. وبحسب ابن لعبون، رحلت الأسر من بني وائل بقيادة مدلج بن حسين أبو علي أشيقر في نحو عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، واتجهت شرقاً لتؤسس مستوطنة جديدة في التويم، في إقليم سدير. وفي عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، انقسمت جماعة بني وائل القبلية، وأسست مستوطنة أخرى في حرمة. وفي عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م أسست جماعات أكثر جديدة ـ أسلاف آل عبد الله الشمري، وآل ثميري (الثمارى)، وآل بدر، وآل سحيم، وآل تويجري ـ مجتمعاً جديداً آخر وهو المجمعة الذي يقع على بعد مسافة قصيرة من حرمة، وباستثناء آل عبد الله الشمري، وآل ثميري، تنتمي كل تلك الجماعات القبلية إلى بني وائل من عنزة. وفي عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م غادرت عشيرة آل أبو ربّاع التويم واتجهت ناحية الجنوب؛ لتؤسس مستوطنة حريملا الجديدة في إقليم الشعيب، إلى الشمال الغربي من وادي حنيفة. وفي نحو منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[٩٨]، غادرت عدة أسر من آل أبو ربّاع حريملا؛

---

(٩٧) تدوين ابن لعبون ليس متاحاً لهذه الدراسة، أنساب آل مدلج وأقاربهم تم اقتباسها من هذا التدوين في: البسام، المصدر نفسه، الورقات ٦٩ ـ ٧٢.

(٩٨) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٣٠ و٥٣، ومحمد بن ناصر العبودي، بلاد القصيم (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩)، ج ٣، ص١٢٦٠.

لتؤسس مستوطنة جديدة في الشِّقة الموجودة في القصيم. وفي وقت غير معلوم، رحل جد آل عقيل عن التويم، واستوطن بلدة العيينة الواقعة في وادي حنيفة، والتي كوّنت فيها ذريته أسرة كبيرة.

ويُعدّ ابن لعبون مصدر التواريخ التي أُسّست فيها المستوطنات الثلاث الأولى لبني وائل: التويم، وحرمة، والمجمعة، ويعتمد المؤرخون الذين جاؤوا في وقت لاحق، والذين قدّموا معلومات حول تلك المستوطنات؛ مثل ابن عيسى، والبسام، على تدوينه[٩٩]. هذا ولا تتطابق المعلومات التاريخية التي أوردها ابن لعبون مع التفاصيل المتعلقة بالنَّسب التي أوردها في هذا الصدد، فهو روى بالتفصيل أنساب الأسر الرئيسة للمجتمعات الثلاثة؛ مسمياً كل الأحفاد بدءاً من أول مستوطن وحتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

ووفقاً لأنساب أسر التويم وحرمة الرئيسة كان ثمَّة ستة أجيال بين مدلج بن حسين (الذي أسس مستوطنة التويم)، وأحفاده (الذين عاشوا في أواسط القرن الثاني عشر الهجري)[١٠٠]، ويحسب النسّابون النجديون ٣٠ عاماً في المتوسط لكل جيل[١٠١]. وقد توفي الحفيد السابع لمدلج بن حسين، وهو محمَّد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج، في عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م[١٠٢]، ويضع هذا التاريخ الذي عاش فيه مدلج بن حسين في منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وليس في بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، كما ذكر ابن لعبون (وعلى افتراض أن السبعة أجيال هذه قد عاشت على مدار ٢١٠ أعوام فيكون مدلج بن حسين قد توفي في عام ١١٨٢ ـ ٢١٠=٩٧٢).

---

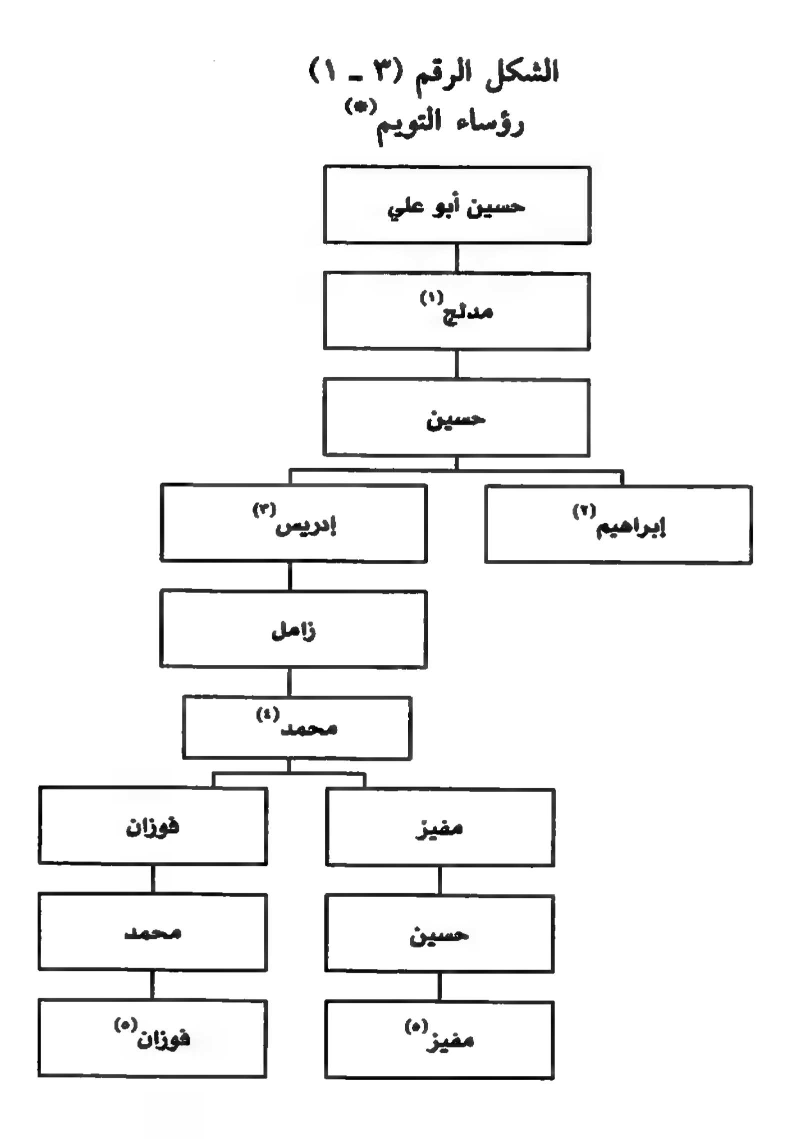
(٩٩) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٢٧، والبسام، المصدر نفسه، الورقتان ٢ و٦٩.

(١٠٠) انظر الشكل الرقم (٣ ـ ١).

(١٠١) انظر البحث الذي قام به محمد المانع حول أمراء عنيزة، طبع مع: المغيري، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**، ص٣٠١، وابن عيسى، المصدر نفسه، ص٢٣٢.

(١٠٢) هذا هو والد حمد بن محمد بن لعبون، مؤلف **تاريخ ابن لعبون**، العمل قيد المناقشة.

الشكل الرقم (٣ ـ ١)
رؤساء التويم(*)



ملاحظات:

(*) تمَّ جمع هذا الجدول الخاص بعلاقة الأنساب، ومعه جدول أنساب أسرة ابن لعبون وأسرة رئيس المجمعة، من سجل ابن لعبون، الذي تم الاستشهاد به في مخطوطة: البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق، ورقات ٦٩ ـ ٧٣.

(١) جد آل مدلج ومؤسس التويم.

(٢) أول مستوطن في حرمة وسلف رؤسائها.

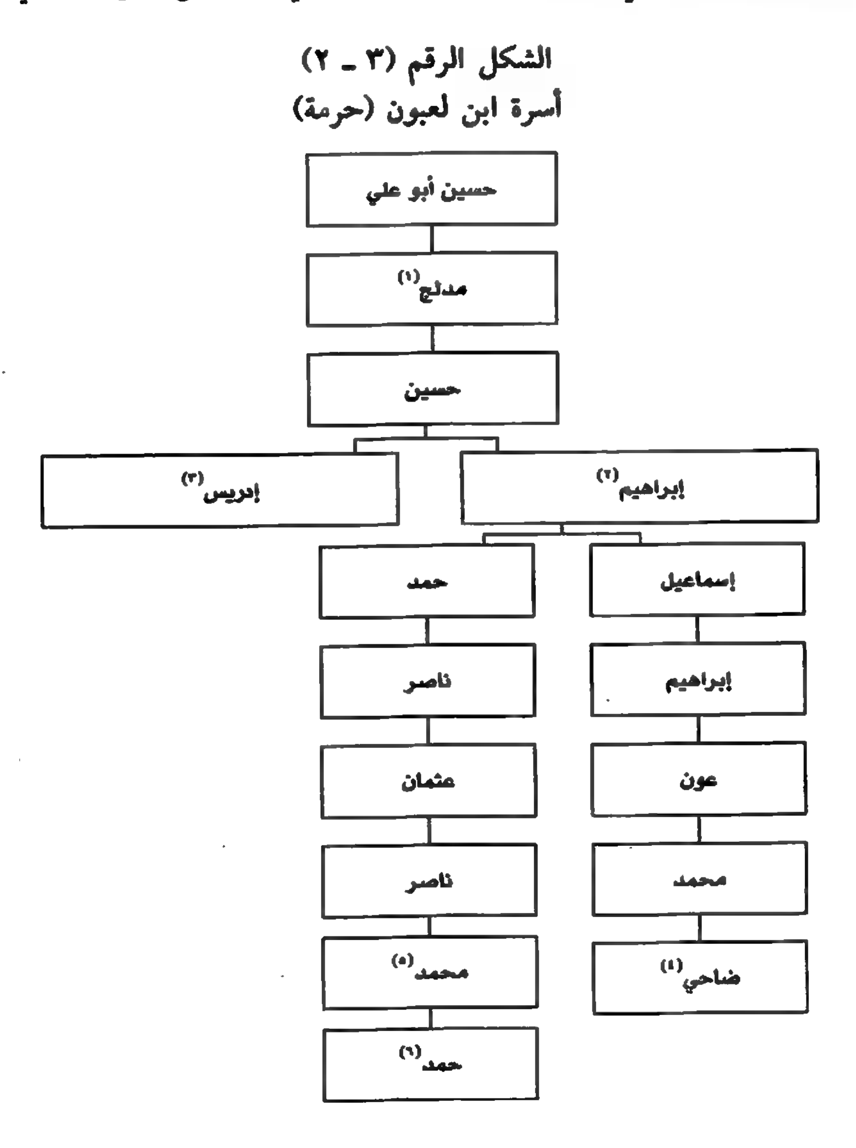
(٣) سلف رؤساء التويم.

(٤) قتل في معركة في عام ١٠٤٨هـ، والتي وقعت بين التويم وجلاجل.

(٥) ورد ما يفيد بأن فوزان ومفيز كانا في منافسة على رئاسة التويم في عام ١١٤٢هـ.

كان عبد الله بن محمَّد بن فوزان وابن عمه مفيز بن حسين بن مفيز من الجيل السابع من أحفاد مدلج بن حسين أيضاً. وقد ورد ما يفيد بأنهما قد خاضا معركة على رئاسة التويم في عام ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م(١٠٣). ولذلك، فإن التويم لا بد من أن تكون قد تأسّست في منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

الشكل الرقم (٣ ـ ٢)
أسرة ابن لعبون (حرمة)



(١٠٣) انظر: البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، ورقة رقم ٧٤، وابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص٢٣٩. انظر أيضاً: الشكل الرقم (٣ ـ ٢).

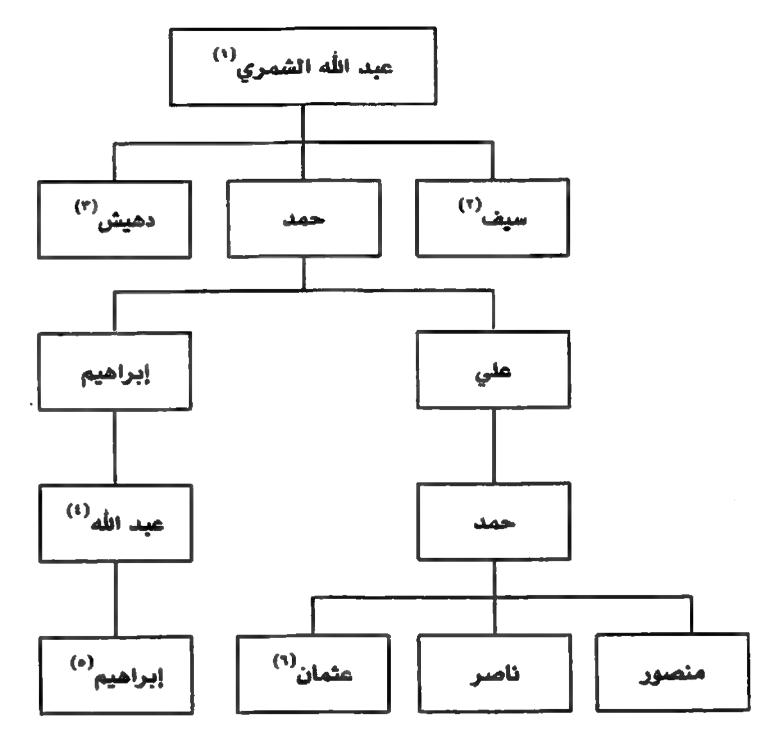
ملاحظات:
(١) جد المدلج ومؤسس التويم.
(٢) المستوطن الأول في حرمة وسلف رؤسائها.
(٣) سلف أسرة رئيس التويم.
(٤) والد النسّابة ومؤلف كتاب تاريخ ابن لعبون، ويذكر ابنه أنه قد توفي في عام ١١٨٢هـ.
(٥) تاجر من بومباي الهند؛ وتخليداً لذكراه كتب ابن لعبون سجله، وقد توفي في عام ١٢٦٠هـ.
(٦) مؤلف كتاب تاريخ ابن لعبون توفي في عام ١٢٥٥هـ.

قال ابن لعبون إنَّ حرمة قد تأسست على يد إبراهيم بن حسين بن مدلج، وهو حفيد مدلج بن حسين الذي أسّس التويم[١٠٤]. ولذلك، فإنه من غير الممكن أن تكون حرمة قد تأسست قبل القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

كان عثمان بن حمد بن علي بن سيف بن عبد الله الشمري، وإبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري هما من الجيل الرابع من أحفاد أول مستوطن في المجمعة عبد الله الشمري[١٠٥]. وقد ورد ذكر عثمان على أنه كان رئيس المجمعة بواسطة الشاعر الشعبي حميدان الشويعر، الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري[١٠٦]. وقد أصبح ابن عمه إبراهيم فقيهاً مميزاً في المدينة، وتجدر الإشارة إلى أنَّ والد إبراهيم كان قد هاجر إلى هناك من المجمعة، وكان واحداً من العلماء في تلك المدينة الذين تتلمذ على أيديهم الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، وقد توفي إبراهيم في عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م[١٠٧]. وبالحسابات نفسها، فإنه ليس من الممكن أن تكون المجمعة قد تأسست قبل القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

(١٠٤) البسام، المصدر نفسه، ورقة رقم ٧٠.
(١٠٥) انظر الشكل الرقم (٣ ـ ٣).
(١٠٦) البسام، المصدر نفسه، الورقتان ٧١ ـ ٧٢.
(١٠٧) محمد بن عبد الله بن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** (مخطوطة رقم ١٢٨٧ في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الصنيع؛ تم حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الرياض)، ورقة رقم ٧.

الشكل الرقم (٣ ـ ٣)
رؤساء المجمعة



ملاحظات:

(١) مؤسس مستوطنة المجمعة.

(٢) سلف آل سيف، رئيس أسرة المجمعة.

(٣) سلف آل دهيش الذين تنافسوا مع أقربائهم ـ آل سيف ـ على رئاسة المجمعة.

(٤) غادر المجمعة متوجهاً إلى المدينة؛ حيث أصبح فيها واحداً من علمائها، وقد توفي في عام ١١٤٠هـ.

(٥) واحد من العلماء المميزين في المدينة. وقد توفي في عام ١١٨٩هـ.

(٦) رئيس المجمعة خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.

ويسأل سائل لماذا قام أهل هذه المستوطنات الثلاث بتحديد التاريخ الذي أسِّست فيه بلدانهم قبل قرنين تقريباً من تواريخ التأسيس الحقيقية. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنَّ كل الأماكن كانت قد استُوطِنت من جماعات من الناس الذين لم يكن لديهم صلة سابقة بالإقليم؛ وبعبارة أخرى، فإن إقليم سدير لم يكن ديارهم. ولم يتم شراء المستوطنات من

أصحابها أيضاً. ولعل الشرعية الوحيدة التي من الممكن أن تربط المستوطنين الجدد بأرضهم هي ما يعرف في الشريعة الإسلاميَّة على أنه إحياء الموات (زراعة الأراضي المهجورة)، وهو الحكم الذي يحق بموجبه لأي شخص أن يتملك الأرض التي يقوم بتنميتها.

ومن المحتمل أن يكون المستوطنون الأوائل قد فكّروا قليلاً في هذه المشكلة الشرعية. ومع ذلك، فإن إقليم سدير قد استقبل مستوطنين جدداً خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وأيضاً خلال القرون التالية، وهو ما عزّز المنافسة على الأراضي القابلة للزراعة الموجودة في الإقليم، وإضافة إلى ذلك، فإن سكان البلدان النجدية قد اعتادوا تطبيق عادة الحِمى القديمة (المناطق التي تخضع للحماية) على الأراضي الزراعية والمراعي. وقد استُخدِمت تلك المناطق من قبل الحَضَر لرعي حيواناتهم وزراعتهم الموسمية بعد موسم مطير، كما أن تلك المناطق غالباً ما كانت سبباً للنزاعات بين البلدان المجاورة. وكلما قدّم بنو وائل التواريخ التي أسست فيها مستوطناتهم من الناحية الزمنية، عزّزوا حقوقهم في تلك المستوطنات والحمى المتاخمة لها.

لقد انتمى ابن لعبون إلى أسرة رئيس حرمة. ومن المتوقّع أنه سيمثّل وينقل مصالح مستوطنات آل مدلج من التويم وحرمة، وكذلك جيرانهم وأقاربهم، مستوطني المجمعة[(١٠٨)]. وإضافة إلى ذلك، فقد كتب ابن لعبون أيضاً تدوينه خلال الفترة التي سادت فيها الوهابية، وذلك في الوقت الذي كان أهل نجد يحاولون فيه أن يجعلوا أمورهم وشؤونهم خاضعة للأعراف والشريعة الإسلاميَّة إلى مدى أوسع مما كان عليه سابقاً.

ومن المحتمل أن يكون التاريخ المزمع من قبل ابن لعبون بأنه هو الوقت الذي شهد تأسيس حريملا ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م صحيحاً. إن حريملا لم تؤسَّس على أيدي آل مدلج عشيرة ابن لعبون، ولم تكن على صلة

(١٠٨) لا تنتمي أسرة رئيس المجمعة آل عبد الله الشمري إلى بني وائل، لكن السواد الأعظم من المستوطنين الأوائل ينتمون إليها. ونظراً إلى أن القرب الجغرافي لمستوطنة المجمعة بالنسبة إلى مستوطنات بني وائل الأخرى، وكذلك العلاقات الوثيقة بين سكانها، يمكن اعتبارها على أنها واحدة من مستوطنات بني وائل. لقد استولى بنو وائل على رئاسة المستوطنة إبان الفترة التي سادت فيها الوهابية.

بمستوطناتهم؛ ولذلك، فلم يكن متوقعاً أن ينشب نزاع حول الحمى. وأكثر من ذلك، فإنه قد ورد ما يفيد بأن الموقع الذي أقيمت فيه المستوطنة قد تمّ شراؤه مقابل ٦٠٠ «أحمر» (قطعة ذهبية). ولذلك، فإن الدوافع التي جعلت الأحاديث الشفوية حول آل مدلج تعيد تاريخ تأسيس مستوطناهم إلى ما يقارب القرنين ليست موجودة في حالة حريملا.

لم يخلص ابن لعبون إلى أن النتيجة بخصوص ما إذا كانت الأسر التي استوطنت (نزلوا) أشيقر أنها من البدو في الأصل أو مستقرة. وربما يتوقع هذا منه أيضاً، بما أنه أولى اهتماماً خاصاً بالأماكن التي استمرت تلك الأسر في الهجرة إليها، ذلك أنه لم يذكر بلدتهم الأصلية إذا ما كانوا مستقرين في الأصل. وقد أرجع ابن لعبون تلك الأسر إلى نوع من القرابة غير المتينة مع بني وائل. وبالإضافة إلى ذلك، فقد ربط ابن لعبون كل أسرة بفروع مختلفة من تحالف عنزة الكبير؛ وأقصد بذلك بشر، وهب، والجبارة، والجلاس، والحبلان[١٠٩].

ولا بد من أن عائلات بني وائل كانت تنتمي إلى جماعة بني بكر بن وائل القبلية القديمة، والتي كانت ذات نفوذ في اليمامة وشرق الجزيرة العربية في بداية العصر الإسلامي[١١٠]. ومن الممكن أن يفهم ارتباطهم بقبيلة عنزة في ضوء أنها تعد من حيث النسب هي أقرب قبيلة بدوية إلى بني بكر بن وائل، بالنظر إلى أن كلتا القبيلتين قد زعمت أن أسداً بن ربيعة هو الأب المشترك. ومن المحتمل أيضاً أن يكون من تبقى من بني بكر بن وائل في نَجْد قد تحالفوا مع أنسبائهم في عنزة الذين بدأ نجمهم يلمع، وسيطرتهم على مسرح الأحداث في نجد تتضح إبان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وينسب ابن لعبون بشكل محدد أسر بني وائل التي أسست حريملا إلى بني بكر بن وائل[١١١].

والأهم من ذلك هو الاتجاه الذي هاجرت إليه قبيلة بني وائل؛ فقد استوطنت بداية أشيقرَ في الوشم، منطقة بني تميم التقليدية، وبعد ذلك

(١٠٩) البسام، المصدر نفسه، الورقات ٦٩ ـ ٧١.

(١١٠) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(١١١) البسام، المصدر نفسه، ورقة رقم ٧٠.

انتقلت في الاتجاه الشرقي المؤدي إلى سدير. وفي وقت لاحق، انتقلت في الاتجاه الجنوب الشرقي إلى حريملا في المحمل، وإلى العيينة في العارض باتجاه وادي حنيفة البلد القديم لبني بكر بن وائل. وإذا ما كانت تلك الأسر مستقرة في أصلها، فإنها كانت ستستوطن في بلدها القديم وادي حنيفة والمناطق المحيطة به في المقام الأول، ولكنها على العكس من ذلك اتبعت النمط البدوي في الهجرة من الغرب إلى الشرق.

إن الحقيقة المجردة التي مفادها أن أسر بني وائل ارتبطت بفروع مختلفة ومعيّنة من قبيلة عنزة تدلّ على أنها كانت من البدو الذين يعيشون، في الحقيقة، مع القبائل الخاصة بهم. وإذا ما كانت صلة بني وائل مع عنزة هي فقط من أجل الحصول على حماية هذه القبيلة البدوية القوية للسكان المستقرين من بني وائل، فإن التبنّي العام لاسمها كان كافياً تماماً لتحقيق ذلك الغرض. وإضافة إلى ذلك ـ كما ذكر آنفاً ـ فإن العلاقات بين السكان المستقرين والبدو في نجد كانت ضعيفة جداً، حتى بين الجماعات التي تنتمي إلى القبيلة نفسها.

وفيما عدا الشقة، فقد شهدت المستوطنات الأربع التي أسستها أسر بني وائل نمواً في الحجم والأهمية أيضاً لترتقي بذلك إلى مصافّ البلدان المهمة في نجد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ومن غير المعقول أن هذه البلدان أصبحت آهلة بالسكان فقط بواسطة ذراري الأسر التي تمّ طردها من أشيقر. ولا بدّ من أن مجتمعات بني وائل قد جذبت مستوطنين آخرين كثيرين، وخاصة هؤلاء الذين تربطهم صلة بعنزة التي أرادت أن تستوطن (تنزل) مع نظرائها من أبناء القبائل. إن الأخبار التي رواها ابن لعبون تؤكد أن فرع آل مدلج الذي أسّس مستوطنة حرمة اعتاد استقبالَ مستوطنين كثيرين جدد من بني وائل. وبإدراك أن الموارد الطبيعية للمكان لا يمكنها أن تكفي عدداً كبيراً من الناس، قام رؤساء حرمة بإرسال وافدين جدد من بني وائل إلى المستوطنة الجديدة المحاذية لها، المجمعة. ويذكر ابن لعبون أن آل التويجري، وآل بدر، وآل سحيم كانوا أكثر عائلات بني وائل بروزاً، والذين تم توجيههم من جانب رؤساء حرمة إلى المجمعة[١١٢].

(١١٢) المصدر نفسه، ورقة رقم ٧١، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٣٢ ـ ٣٣.

على صعيد مختلف، يقول مؤلف كتاب **علماء نجد** إن جد آل سحيم كان بدوياً من الحبلان من قبيلة عنزة التي استوطنت المجمعة. وذكر أيضاً أن أسرة آل سحيم كانت قد قدمت خمسة علماء؛ وكَتَب تراجم ثلاثة منهم، وأربعة منهم كانوا من نسل مباشر لآل سحيم(١١٣)، وقد عاش العلماء الخمسة كلهم خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والقرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. ومن المثير للعجب أن مثل هذه الأسرة البدوية قد أصبحت فيما بعد منسوبة إلى العلم خرج منها عدة علماء.

ومن المهم ملاحظة أن كاتبي التراجم النجديين لم يذكروا أي عالم أو قاض من المستوطنات الثلاثة الأولى لبني وائل، في الفترة التي سبقت النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وكان محمد بن عبد الله بن سلطان الدوسري أول قاض من تلك الأماكن قد تمّ ذكره وهو الذي أقام في المجمعة وتوفي فيها في عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٧ ـ ١٦٨٨م(١١٤). ومن المحتمل أن يكون قد دُعي من بلدة أخرى ليكون قاضياً في المجمعة التي تبدو أنها ستكون أكبر مستوطنات بني وائل. ويشار إلى أن أكثر من عشرة علماء قد ظهروا في كتب التراجم النجدية من بين سكان المجمعة خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، في حين ظهر أربعة علماء فقط في حرمة خلال الفترة ذاتها. ولم يُذكر أحد من التويم. وتُعد تلك بمثابة شهادة أخرى على النقاش الدائر هنا بأن تواريخ تأسيس المستوطنات الثلاث كانت متأخرة جداً من الناحية الزمنية عن تلك التي ساقها ابن لعبون. إن تعيين قاض ونمو مجتمع متعلم كان سيحدث أسبق بكثير من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي لو كانت التواريخ صحيحة.

استيطان الدواسر

سجلت المصادر النجدية حضور الدواسر في عالية نجد والخرج،

(١١٣) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص٣٢٢ ـ ٣٣٣ و٩٥٩ ـ ٩٦٠.

(١١٤) المصدر نفسه، ص٨٧٦، ومنصور الرشيد، «قضاة نجد أثناء العهد السعودي،» مجلة الدارة، السنة ٢، العدد ٤ (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٢٥.

وذلك في بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وليس معروفاً على وجه التحديد متى وصلت الدواسر إلى هناك؛ نظراً إلى أن المصادر لا يعود تاريخها إلى فترة أقدم. وخلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي حدثت تطورات جديدة أسهمت في تقويض مكانة الدواسر في جنوب عالية نَجْد، واستدرجتها للنزول إلى سافلة نَجْد والمناطق شرق جبل طويق؛ وأول تلك التطورات كانت زيادة قوة قحطان التي بدأت، بعد ذلك، في منافسة الدواسر للسيطرة على جنوب عالية نجد إلى أن تمكنت في النهاية من طردها من تلك المنطقة. أما التطور الآخر فكان اختفاء سلطة الجبريين الذين كانوا في الماضي يقيّدون تسلّل الدواسر إلى سافلة نجد، وكذلك تقهقر جماعات بني لام القبلية في تلك المنطقة في ذلك الوقت؛ وهذا قد سمح للدواسر بأن تتسلّل وتنفذ إلى سافلة نَجْد خلال الفترة موضع النقاش.

من ناحية أخرى، فإن كثيراً من المجتمعات الموجودة في الأفلاج كانت آهلة بعشائر ادعت انتماءها إلى الدواسر، لكن لا شيء في المصادر المتاحة لهذه الدراسة تدلّ على التوقيت الزمني الذي بدأت فيه الدواسر تستوطن هذيْن الإقليمين، وإضافة إلى ذلك، فليس هناك في هذه المصادر ما يدّلنا ما إذا كان هؤلاء المستوطنون في الأصل من السكان المستقرين أو من البدو الرحل. وقد ورد ما يفيد أن وادي الدواسر ـ مسكنهم الأصلي ـ قد احتوى على عدد من المستوطنات، بحلول نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، لكن التواريخ التي أُسست فيها تلك المستوطنات ليست معروفة.

ويبدو أن قبيلة الدواسر قد ظلت، بالدرجة الأولى، بدوية حتى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، عندما فقدت مكانتها في جنوب عالية نجد لمصلحة قحطان. وتأتي أقدم المعلومات حول وادي الدواسر، التي سجّلت في المصادر النجدية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وبداية القرن التالي، عندما بدأ الوهابيون في التوسّع في تلك المنطقة. ولم يرد أي ذكر لعدد كبير من القرى والبلدات عندما تتحدث المصادر عن الصراع الدائر بين سكان الإقليم والوهابيين. ولعل الأماكن الوحيدة التي وُصفت في تلك المصادر بأنها قرى هي

الحنابجه، واللدام، والسليّل، وتمرة[115]. وفي مناسبة واحدة، وُصف أتباع ربيّع بن زيد، رئيس الدواسر والتابع الوهابي، بأنهم أعراب (بدو)[116].

يبدو أن الأفلاج التي سُكنت، في وقت لاحق، من قبل جماعات من الدواسر قد بقيت في خراب ودمار، وأنه قد تمت زراعتها على نحو خفيف فقط من الوقت الذي زارها فيه الرحالة الفارسي ناصر خسرو في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[117]. وعلى الرغم من الجهد الزراعي لم تشهد واحات الأفلاج ووادي الدواسر تطويراً، كما أنها لم تكن غنية على نحو كاف لتلقى اهتمام أشراف مكة أو حتى رؤساء الأحساء، كواحات نَجْد الأخرى خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الوهابيين. إن الحقيقة التي مفادها أن بعض الجماعات التي استوطنت الأفلاج؛ مثل: الشُّكَرَة، والغييثات، قد ورد ذكرها في الصراع الدائر بين البدو في نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وفي أواخر منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي[118]، تشير إلى الأصول البدوية للمستوطنين من الدواسر في ذلك الإقليم، بالإضافة إلى التاريخ الحديث لاستيطانهم. لقد أوضح مؤلف كتاب **لمع الشهاب** أن نمط حياة الدواسر كان أقرب إلى البدو منه إلى الحضر[119].

ويذكر بوركهارت ـ الذي يبدو أنه قد حصل على تلك المعلومات حول وادي الدواسر من الباعة المتجولين في مكة في بداية القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي «أن بني دواسر، وهي قبيلة قوية ولكن علاقاتها قليلة مع كلّ المستوطنين ـ هم أكبر صائدي نعام، وأن قحطان ودواسر خاصة كانوا من البدو»[120]. كان بوركهارت يتكلم عن الدواسر

---

(١١٥) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص١٦٦ ـ ١٦٩؛ ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص١٠١ ـ ١٠٤. انظر أيضاً: **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب** (تحرير أبو حاكمة)، ص١٤٦.

(١١٦) ابن غنام، المصدر نفسه، ص١٧٣.

(١١٧) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(١١٨) البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، الورقات ٣٤، ٤٥ و٧٩.

(١١٩) **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب** (تحرير أبو حاكمة)، ص٣٣.

(١٢٠) Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys*, p. 243. =

الذين كانوا لا يزالون يعيشون في بلدهم الأصلي، وادي الدواسر، الذي كان أقرب، جغرافياً، إلى مكة منها إلى الفلج أو سدير حيث كانت مجتمعات عديدة مـأهولة من قبل جماعات من الدواسر أيضاً في ذلك الوقت. وذلك تأكيد إضافي للحجة التي قدّمناها هنا، والتي تفيد أن جماعات الدواسر التي نزلت في الأفلاج وسدير لم تكن في الأصل من الحضر الذين انتقلوا من وادي الدواسر إلى هذيْن الإقليميْن، ولكنها كانت جماعات بدوية متنفذة أو من الجماعات البدوية الأضعف التي وجدت أرضاً زراعية ولكنها غير مستغلة فاستوطنتها.

استيطان الدواسر في الأفلاج: يذكر مؤلف معجم اليمامة مستوطنات عديدة موجودة في الأفلاج بوصفها مأهولة على نحو كلي أو جزئي بجماعات قبلية وعشائر تنتمي إلى الدواسر؛ وأعني وراء هذا، البديع، والأحمر، وأسيلة، ومروان، وآل ناهض، وسويدان، والسيح، وليلى، والشُّطبة، وواسط، والهدار، والخرفة[١٢١]. ويعكس هذا، الجانبَ الديمغرافي للأفلاج خلال العصور الحديثة نسبياً، وكما هو مذكور آنفاً، فإن أصل مستوطنة الدواسر في تلك المنطقة يشوبُهُ الكثير من الغموض. ومع ذلك، فإن ثمة حادثة لها بعض الأهمية، والتي يحتمل أن تكون قد وقعت خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ربما تقدّم لنا مفتاحاً يساعدنا في حل تلك المعضلة.

هاجر عدد من العشائر التي كانت تعرف بشكل جماعي ببني عتبة أو العتوب من الأفلاج وقضت بعض الوقت في التجوّل والتنقل على امتداد ساحل الخليج العربي، إلى أن استوطنت في النهاية الكويت عند الركن الشمالي الغربي من البحر. وكان أكثر عشائر بني عتبة شهرة هي: آل صباح، وآل خليفة، وآل جلاهمة، الذين أسسوا وسكنوا الكويت والزبارة في قطر مع

= جدير بالذكر أن ريش النعام هو فقط الذي ورد ذكره بواسطة بوكهارت على أنه كان هو المنتج الذي يقايضه الباعة المتجولون في مكة بالملابس القطنية في وادي الدواسر. انظر أيضاً:

Burckhardt, *Travels in Arabia*, p. 452.

(١٢١) عبد الله بن محمد بن خميس، **معجم اليمامة** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ج ١، ص٦٢ ـ ٦٣، ٧٧ ـ ٧٨، ١٣٩ ـ ١٤٠، ٣٧٩، ٤٦٨، وج ٢، ص٤٢، ٤٥، ٥٢، ٣٥٦، ٤١٠، ٤٣٢ ـ ٤٣٣ و٤٥٤.

أتباعهم، وبعد ذلك استولوا على البحرين. ولقد جعل بنو عتبة من تلك الأماكن الثلاثة مراكز تجارية مزدهرة، وكان ذلك خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

ويخلص معظم تراث العتوب إلى أن تأسيس الكويت قد حدث خلال الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري[١٢٢]. ويذكر مستر واردن، وهو مسؤول في حكومة بومباي، أيضاً أن تأسيس العتوب في الكويت كان تقريباً في عام ١٧١٦م/١١٢٨ ـ ١١٢٩هـ[١٢٣]. هذا وقد كان السبب الذي ساقه تراث العتوب الذي يفسّر هجرتهم من بلادهم الهدار في الأفلاج، يكمن في الصراع الذي نشب داخل قبيلة جُميلة التي تنتمي إليها قبيلة بني عتبة، والتي كانت أهل هذا المجتمع. وقد استدعى ذلك تدخّل الدواسر الذين قاموا بطرد بني عتبة من الأفلاج[١٢٤]. ويشار هنا إلى أن الرحلة التي قام بها بنو عتبة من الأفلاج إلى الساحل الشرقي للجزيرة العربية ـ وتجولاتهم على امتداد هذا الساحل ـ لا بد من أنها قد استغرقت ما لا يقل عن نصف قرن، كما أورد أبو حاكمة[١٢٥]. ومن المحتمل أن تكون قبيلة الدواسر قد بدأت تستوطن في الأفلاج قبل منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وقد زاد عدد أفرادها في ذلك الوقت، وبدؤوا في ممارسة الضغوط على أهل الإقليم الأصليين.

لم يواجه المستوطنون الجدد مقاومة كبيرة في الأفلاج؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الإقليم كان بالكاد مأهولاً. وقد كانت الجماعات القديمة الوحيدة المعروفة، والتي كانت تعيش في المنطقة بجانب جُميلة، هي الشثور، وهي قسم من الجماعات أبعدها الدواسر إلى الفرع شمال الأفلاج[١٢٦]. وربما يفسر هذا العدد الكبير لمستوطنات الدواسر في الإقليم؛ فلقد تم تأسيس الكثير من تلك المستوطنات في موقع، أو في

---

(١٢٢) عبد العزيز الرشيد، **تاريخ الكويت** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨)، ص٣٣ ـ ٣٦، وسيف مرزوق الشملان، **من تاريخ الكويت** (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩)، ص١٠٦ ـ ١٠٩.

(١٢٣) Ahmad M. Abu Hakima, *History of Eastern Arabia 1750-1800: The Rise and Development of Bahrain and Kuwait* (Beirut: Khayats, 1965), pp. 51-52.

(١٢٤) الرشيد، المصدر نفسه، ص٣٣ ـ ٣٦، والشملان، المصدر نفسه، ص١٠٦ ـ ١٠٩.

(١٢٥) أبو حاكمة، المصدر نفسه، ص٥١.

(١٢٦) ابن خميس، **معجم اليمامة**، ج ١، ص٣٧٩.

محيط موقع إحدى المستوطنات القديمة لبني قشير، وبني جعدة، والحريش الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث من العصر الإسلامي[١٢٧].

استيطان الدواسر في المحمل، سدير، والقصيم: في شمال اليمامة، قامت الدواسر بتأسيس ثلاث مستوطنات في منطقة المحمل ـ ثادق، والبير والصفرات ـ وثلاث مستوطنات في سدير ـ جلاجل، والغاط، والعودة ـ والشماس في القصيم. ولقد احتكرت العشائر والأسر التي تنتمي إلى الدواسر[١٢٨] لنفسها رئاسة كل تلك المستوطنات. وقد حصلت الأسر الحاكمة للمجتمعات النجدية، في العادة، على مكانتها نظراً إلى أن أسلافها قد أسسوا مجتمعاتهم الخاصة بهم أو أن عشائرهم قد شكلت أغلبية السكان المؤسسين.

وقد حفظت المصادر تاريخ تأسيس اثنتين من تلك المستوطنات: البْير والتي يقال إنها قد سُكِنت من قبل «آل حنيحن» في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م، في حين استُوطِنت ثادق من جانب آل عوسجة في عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م[١٢٩]. ومن المحتمل أن تكون الغاط قد تأسست في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري؛ حيث ورد أنها كانت موجودة في العام ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م[١٣٠]. وفي هذا الصدد، يقال إن أول مستوطني الغاط هو محدث التميمي من بلدة الزلفي المجاورة [كان أميرها]، والذي انضم إليه فيما بعد سليمان السديري من الدواسر. ويبدو أن تلك المستوطنة قد جذبت المزيد من مستوطني الدواسر، فزاحمت أسرة السديري أسرة التميمي، وهو ما أثار الحسد في الأخيرة. لقد عمل آل سديري على وضع حدّ للنزاع من

---

(١٢٧) المصدر نفسه، ج ١، ص٦٢ ـ ٦٣، وج ٢، ص٤١، ٤٤ ـ ٤٥، ٥١ ـ ٥٢، ٤٣٢ ـ ٤٣٣ و٤٥٣ ـ ٤٥٤.

(١٢٨) حول الأسر التي تتولى مقاليد الرئاسة في تلك المستوطنات، انظر: ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٥٠، ٦٢ و٦٥ على الترتيب، بالنسبة إلى البير، ثادق وجلاجل وبخصوص الغاط، انظر: البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٧٧. وفيما يتعلق بالعودة، انظر: البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ص٨٠ ـ ٨١. وحول الصفرات والشماس، انظر: البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٩٣٩، وابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٨.

(١٢٩) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٥٠ و٦٢.

(١٣٠) المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**، ص٦١.

خلال شراء ملك التميمي في ذلك المكان[١٣١]. لقد كان سليمان السديري معاصراً لشاعر شعبي وممدوحاً من قبله وهو حميدان الشويعر الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي[١٣٢]. ولذلك، فإن السديري وأتباعه لا بدّ من أن يكونوا قد استوطنوا الغاط بحلول نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي تقريباً. وتجدر الإشارة إلى أن آل سديري ومعهم آل عوسجة وآل حنيحن ينتمون إلى البدارين، وهي قبيلة فرعية من الدواسر.

وقد ظهر آل عامر، رؤساء جلاجل، والذين ينتمون إلى البدارين للمرة الأولى في المصادر النجدية في عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م، عندما قتل رئيسهم في صراع مع أهل العطار، وهي قرية أخرى في سدير[١٣٣]. ولقد أصبح آل عامر على الفور وبقوة مشتركين في المنافسة المحتدمة بين البلدان في سدير، وبحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي كانت جلاجل هي البلدة الأكثر أهمية بين بلدان الإقليم[١٣٤]. ومن المحتمل أن آل عامر من جلاجل هم الذين أسسوا مجتمعهم في القرن نفسه الذي أسس فيه أنسباؤهم من البدارين في ثادق والبير والغاط مجتمعهم الخاص بهم.

وينتمي مستوطنو الدواسر من الصفرات، والعودة، والشماس إلى القبائل الفرعية نفسها التي تنحدر من الوداعين. قيل ممكن أن يكون جدهم المشترك هو سابق بن حسن الودعاني الدوسري[١٣٥]، والذي من المحتمل أن يكون قد عاش في منتصف القرن الحادي عشر الهجري[١٣٦]. وكان قد نقل أن

---

(١٣١) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٧٧.

(١٣٢) الحاتم، **خيار ما يلتقط من شعر النبط**، ج ١، ص١٠٨ و١٣٧. انظر أيضاً: يوسف بن حمد البسام، **الزبير قبل خمسين عاماً مع نبلة تاريخية عن نجد والكويت** (الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧١)، ص٣١٢ ـ ٣١٤.

(١٣٣) بالنسبة إلى الصراع الذي نشب بين جلاجل والبلدان المجاورة لها، انظر: الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ١٤، ٣٠ ـ ٣١، ٣٥ ـ ٣٧، ٤٢ ـ ٤٣ و٤٦ ـ ٤٧.

(١٣٤) المصدر نفسه، ورقة رقم ١٢، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٦١.

(١٣٥) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص١٨١، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٩٣٨ ـ ٩٣٩. انظر أيضاً: الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج ١، ص٤٥٨ ـ ٤٥٩، والمغيري، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**، ص١١٨.

(١٣٦) يذكر مؤلف **علماء نجد** أن سابقاً بن حسن هو الجدّ السادس للشيخ محمد بن مقرن بن =

رئيس الصفرات ابن فطاي (والذي من المحتمل أن يكون عبد الله بن فطاي بن سابق) قد أغار على قطعان الخراف في مستوطنة الحصون في سدير في عام ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م[١٣٧]. وقد قيل إن مستوطني الشماس قد هاجروا إلى هناك من العودة[١٣٨]. هذا ولم يُعرض في المصادر أي تاريخ لتأسيس أي مستوطنة من مستوطنات الوداعين. ومن الممكن أن يكون الوداعين قد بدؤوا الاستيطان في شمالي اليمامة في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وهي الفترة نفسها التي بدأ فيها أنسباؤهم البدارين في السكن في ذلك الإقليم[١٣٩].

استيطان البدو النجديين القدامى

استيطان آل عائذ

لقد ذكر آنفاً أن جماعة آل عائذ البدوية قد تجّولت في منطقة الخرج من منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وقد أشير أيضاً إلى أنهم كانوا قد وصفوا سابقاً بأنهم جماعة بدوية، في نهاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي في وادي حنيفة وسدير مع آل مغيرة. ويبدو أن آل عائذ قد فقدوا مكانتهم كجماعة قبلية بدوية مستقلة وقوية قبل فترة طويلة من هذا الوقت. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من عشائرهم قد اختاروا أن يستوطنوا في الخرج ومناطق أخرى، وكان هناك القليل من العشائر التي تمسكت بنمط حياتها البدوي القديم، وأقامت تحالفات مع آل مغيرة بهدف الحصول على حمايتهم.

= سند بن علي بن عبد الله بن فطاي بن سابق بن حسن الودعاني، الذي توفي في عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م. انظر: البسام، المصدر نفسه، ص٩٣٨ ـ ٩٣٩. وإذا طبق معدل مدة الثلاثين عاماً (الفترة التي يحتسبها النسّابون النجديون لكل جيل) هنا، ولا يتم فقدان أي سلف من شجرة النسب الخاصة بالشيخ محمد، سلفه، فإن سابقاً بن حسن لا بد من أن يكون قد عاش في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

(١٣٧) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٨.

(١٣٨) العبودي، بلاد القصيم، ص١٢٦٨.

(١٣٩) يعتقد حمد الجاسر، من دون تقديم أية أدلة، أن أسرة الدواسر الأولى قد انتقلت إلى نجد في القرن العاشر الهجري. انظر: الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ١، ص٢٧٢.

ويذكر أن الأسر صاحبة الزعامة في أهم المستوطنات في الخرج - الدلم، واليمامة، السَّلَمِيّة - تنتمي إلى تلك القبيلة، وقد أسست مستوطنتها في الخرج بصورة واضحة قبل القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، نظراً إلى أنه في بداية هذا القرن، قامت بمهاجمة بني تميم أهل وادي بريك في الفرع جنوب الخرج، كما ذكر في تراث بني تميم(١٤٠).

كانت أكثر الأسر صاحبة الزعامة نفوذاً من بني آل عائذ هي آل عثمان وسلالتها، وآل زامل من الدلم، الذين على الرغم من قرب إقليمهم من قاعدة الوهابيين، إلا أنهم كانوا أقوياء كفاية لصد توسّعهم جنوباً حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري(١٤١). من ناحية أخرى، أصبح آل عفيصان - وهم رؤساء السلمية(١٤٢) - قادة بارزين في القضية الوهابية. وثمة الكثير من أسر آل عائذ، استوطنت أقاليمَ أخرى من نجد، وأقصد بذلك العارض، وسدير، والوشم، والفرع(١٤٣).

مستوطنو سبيع وبني خالد وبني لام

كانت هناك عشائر وأسر مستوطنة عديدة أخرى ادّعت ارتباطها بالجماعات القبلية البدوية في نجد، والتي شكلت الجماعات الرئيسة في مستوطناتها الخاصة. والأمثلة على تلك العشائر هي العرينات، من العطار ورغبة في سدير، التي تزعم صلتها وارتباطها بجماعة سبيع البدوية القبلية. ويعتقد بعض المؤرخين النجديين أن الكثير من العشائر المستوطنة من سبيع في نجد، مثل العرينات، وبني ثور من عنيزة، تنتمي إلى الرباب(١٤٤)، أقرباء بني تميم المباشرين، وأن ارتباطهم بسبيع هو بمرتبة تحالف وليس روابط

---

(١٤٠) ابن خميس، **معجم اليمامة**، ج ١، ص١٦٠ - ١٦١، والجاسر، المصدر نفسه، ج ١، ص١٦٦، حيث ورد ذكر تاريخ آل ماضي لتركي بن ماضي.

(١٤١) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ٦٢ - ٦٣ و٦٥، والبسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٩٢.

(١٤٢) ابن خميس، **معجم اليمامة**، ج ٢، ص٢٩.

(١٤٣) المصدر نفسه، ج ١، ص٤٣٢؛ المغيري، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**، ص١٨٠؛ البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٥٦٧، والجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ج ٢، ص٥٤١ - ٥٤٢.

(١٤٤) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٣٣ و٢٩١ - ٢٩٢.

تتعلق بالأنساب. ويشير هذا ضمناً إلى أن مستوطنة تلك العشائر كانت متزامنة مع مستوطنة بني تميم، والتي تأسست قبل الأولى بقرون عديدة، ومع ذلك، فإن الحقيقة التي مفادها أنها، بخلاف بني تميم، قد سعت لإقامة تحالف مع جماعة بدوية، تدل أيضاً على أن تلك العشائر قد ظلّت بدوية لفترة أطول بكثير من بني تميم؛ ولذلك، فإنها قد احتاجت إلى الحماية من جانب جماعة بدوية أكثر قوة. على صعيد آخر، زعمت التُميّم من الحصون[١٤٥]، والجبور من القصب، ارتباطها بجماعة بني خالد القبلية البدوية. وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد مستوطنة سكنتها العشائر والأسر التي ورد ذكرها سلفاً، قد تم تسجيلها بواسطة جغرافيي القرون الوسطى. وفي الوقت ذاته، لا يوجد أي تواريخ لتأسيس تلك المستوطنات المعروفة.

لقد خلّفت الجماعات القبلية البدوية ـ بنو لام، وآل مغيرة، وآل كثير، وآل فضل، وزعب ـ والتي هاجرت من نجد في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن التالي، وراءها عدداً كبيراً من الأسر التي استوطنت القرى والبلدات المختلفة المنتشرة في أرجاء نَجْد. وإما قد تكون تلك الأسر استوطنت عندما كانت جماعاتهم القبلية موجودة في سافلة نجد، وإما أنها اختارت أن تبقى في نجد وتستوطنها عندما بدأت تلك القبائل في الهجرة من البلاد. وإلى ذلك، لم يؤسس مستوطنو تلك الجماعات مجتمعات خاصة بهم، أو حتى لم يشكّلوا جماعات كبيرة في البلدان التي استوطنوها فيها حتى يتمكنوا من السيطرة عليها[١٤٦]. وبدلاً من ذلك، فقد تفرقوا في مختلف البلدان والقرى في نجد[١٤٧]، مساهمين بذلك في نمو أعداد السكان المستقرين.

(١٤٥) أسست آل تميّم مستوطنة الحصون وطوّرتها وفق اتفاق مشاركة المحصول مع شيخ مدينة القارة المجاورة، وكان ذلك في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م. انظر: ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٥١، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص١٩٦، لكن لا يوجد هناك ما يشير إلى أنهم كانوا بدواً أم من السكان المستوطنين في السابق.

(١٤٦) إن الجماعة الوحيدة من بني لام التي سيطرت على مستوطنتهم وأصبحت تترأسها في نجد كانت هي آل حسن وأقاربها في مستوطنة ملهم. انظر: البسام، المصدر نفسه، ص٤٣٩.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص٧١٠ و٨٢٣. لمزيد من التفصيل حول الأسر المستوطنة من آل مغيرة، آل كثير وآل فضل، انظر: المغيري، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**، ص١٥٨ ـ ١٦٢ و١٦٦ ـ ١٦٨. =

ويتضح جلياً من تلك المناقشة التي تعرضنا لها آنفاً، أن جزءاً كبيراً من السكان البدو في نَجْد قد تبنّوا نمط حياة مستقر إبان القرنين ونصف القرن التي سبقت ظهور الدعوة الوهابية، وأن عملية الاستقرار تلك قد حدثت بصورة رئيسة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. ومن الواضح أيضاً أن هذا العدد الضخم من البدو النجديين الذين هم في حالة سكون حضاري قد تخلى عن نمط الحياة البدوية الخاصة به ليؤسس مستوطنات وصل بعضها إلى مصاف أكثر البلدان أهمية في نَجْد خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

ويبدو أن ثمة عاملَيْن رئيسيْن قد أجبرا بعض البدو النجديين على استيطان الأرض وكسب أقواتهم من الزراعة بدلاً من الرعي؛ **أولاً**: وكما رأينا في الأجزاء السابقة، تجمّع البدو في نجد من شتى الاتجاهات والنواحي إبان القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقد زاد عدد السكان البدو النجديين ووصل إلى مستوى لم تقدر الموارد الطبيعية في المنطقة على سد احتياجاته. وإضافة إلى ذلك، فقد رأينا أيضاً أن زيادة السكان البدو قد أنتجت نزاعاً بين الجماعات البدوية في نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وبسبب زيادة هذا النزاع، اضطرت الجماعات القبلية الأصغر حجماً والأضعف قوة، والتي لا تقدر على منافسة الجماعات الأقوى أو على الهجرة شمالاً، إلى الاستيطان وحراسة الأراضي.

ثانياً: العامل الثاني الذي أجبر بعضاً من البدو على الاستيطان كان يتعلّق بالبيئة الطبيعية، فلو قمنا بمقارنة حالات هطول الأمطار الغزيرة وحالات القحط في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي مع مثيلاتها من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، سوف نَجِد أنه في حين ظلت مسألة الأمطار الغزيرة واحدة خلال الفترتين، كانت موجات القحط التي حدثت خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر

= انظر أيضاً: الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ٢، ص٦٩٧ و٧٣٨، والحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ص١٣٠ ـ ١٣١، ١٥٥ و١٥٧. وبخصوص الأسر المستوطنة من زعب، انظر أيضاً: الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ١، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦، والحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ص١٥٩.

الميلادي أعلى من مثيلتها في القرن السابق بمعدل ثلاث مرات[١٤٨]. وقد ذكر بالفعل أن الظروف المناخية الملائمة الموجودة في نجد خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي قد اجتذبت واستقطبت الكثير من الجماعات البدوية إلى المنطقة. ومع ذلك، فقد أصبحت الظروف غير مستقرة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وتجدر الإشارة إلى أن هناك ست موجات قحط قد ضربت نجد إبان هذا القرن. وفي السياق ذاته، فقد أجبر عدد أكبر من البدو على المنافسة على تقليل المياه والمراعي كل مرة كان يحدث فيها القحط. ومرة أخرى، أجبر الكثير من الأفراد والجماعات على اللجوء إلى المناطق المستوطنة التي من الممكن مقاومة القحط فيها لفترات أطول.

خلال الفترة التي امتدت من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي إلى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي استقبلت هضبة نجد أفواجاً من البدو من الأقاليم الجبلية إلى الغرب والجنوب الغربي. وسيطرت الجماعات القبلية الجديدة، وكذلك التحالفات على نجد خلال تلك الفترة، مثل الظفير، وعنزة، والدواسر، وكان ذلك خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، والجزء الأكبر من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وخلال النصف الثاني من القرن ظهر مزيد من الجماعات البدوية ـ مطير، وبنو خالد وقحطان ـ وبدأت في المنافسة على البروز والسيطرة في نجد. وقد أجبرت الجماعات البدوية آل مغيرة، وآل فضل، وآل كثير، وزعب، والتي كانت قبائل رئيسة في نجد على الرحيل تحت وطأة الضغوط التي يمارسها عليهم الوافدون الجدد. وبحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، كانت الخريطة الديمغرافية لنجد مختلفة بالكلية عن مثيلتها التي سادت قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

لقد أسهمت الظروف البيئية المتفق عليها في نجد، وكذلك التراجع التدريجي لقوة الجبريين خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي في استقطاب بعض الجماعات القبلية البدوية إلى نجد، وذلك في الوقت

---

(١٤٨) انظر: الجدول الرقم (٣ ـ ١).

الذي شجعت فيه الحملات التي أطلقها أشراف مكة جماعات أخرى على الانتقال إلى داخل البلاد. وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي زاد السكان البدو النجديون وسجلوا نسب نمو عالية إلى الحد الذي باتت معه الموارد الطبيعية في البلاد غير قادرة على الإيفاء باحتياجاتهم؛ ونتيجة لذلك، فقد كانت المنافسة الشرسة بين الجماعات البدوية مسألة حتمية.

إن معضلة الزيادة السكانية بين البدو في نجد قد تم ضبطها بطريقتين: هجرة أكثر واستقرار. لقد كانت **الأولى** ممثلة في جانب الجماعات البدوية التي اختارت الهجرة إلى الصحراء السورية؛ مثل فروع عنزة وشمر التي غادرت نجد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، بالإضافة إلى الجماعات البدوية النجدية من بني لام التي هاجرت في وقت لاحق إلى جنوب العراق. أما **الثانية** فقد مثلتها الأسر والعشائر البدوية التي أرغمت على استيطان الأرض؛ نتيجة لندرة سبل العيش في الصحراء، والتي تسبّبت فيها مواسم القحط المتتابعة وزيادة السكان البدو. وإضافة إلى ذلك، فقد أسس بعض من هؤلاء المستوطنين، مثل مستوطني بني وائل والدواسر، مجتمعاتهم الخاصة بهم، في حين استوطن آخرون؛ مثل مستوطني بني لام في قرى وبلدان قديمة.

وفي الوقت ذاته، فإن معضلة الزيادة السكانية على السهول في نجد قد تم حلها إما بواسطة الهجرة أو الاستيطان. وكان هؤلاء البدو الذين استوطنوا عدداً صغيراً قياساً بجميع السكان البدو في نجد؛ ومع ذلك، فقد شكّلوا إضافة مهمة إلى السكان المستقرين.

الفصل الرابع

سكان نجد المستقرون

(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٧٣٧م)

يرمي هذا الفصل إلى أن يتتبع تطور السكان المستقرين النجديين عبر القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية. وسوف يتم هذا من خلال تتبع تراجع الأقاليم النجدية المختلفة ونموها، وكذلك البلدان والمستوطنات وكذلك تراجع الجماعات المستقرة النجدية الكبرى ونموها وهجرتها إبان تلك الفترة.

وسوف تُسبق تلك المناقشة بإجراء مسح عام لظروف سكان نجد المستقرين خلال القرون القليلة التي سبقت الفترة التي تتناولها الدراسة. وسوف نطبق بعض النتائج التي تم التوصل إليها في الفصل الثاني من هذا الكتاب على هذه المناقشة، كما ستتم إثارة نقاط إضافية لغرض المقارنة بين الفترتين.

إخلاء نجد من السكان

فقدت اليمامة، الدعامة الرئيسة للسكان المستقرين النجديين، سلطتها المركزية بعد اختفاء بني الأخيضر في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وقد خضعت بلدان ومستوطنات مختلفة، أو مجموعة من المستوطنات لسيطرة الأسر التي كانت مستقلة بعضها عن بعض. وعندما كانت تظهر سلطة مركزية في الجزيرة العربية وتوسّع من نطاق حكمها في نجد ـ على سبيل المثال، حكم الجبريين في الأحساء ـ تصبح الدولة ـ المدينة المختلفة، مثل زعامات نَجْد، أجزاءً من تلك السلطة المركزية. وعندما تتراجع السلطة المركزية الخارجية، تستأنف الزعامات النجدية

استقلالها القديم. وقد استمرت هذه النزعة إلى التقسيم والتجزئة بوصفها سمة رئيسة للمجتمع المستقر في نَجْد حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

كانت طبيعة المجتمع المستقر النجدي المتجزئة عاملاً رئيساً في الضيق الاقتصادي وتراجع السكان وعدد المستوطنات بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وفي ظلّ غياب سلطة مركزية كان على البلدات والمستوطنات أن تتحمّل عبء الدفاع عن نفسها ضدّ البدو والجماعات المستقرة الأخرى. وإضافة إلى ذلك، فان النزاعات والصراعات التي كانت تحدث بين البلدات المتجاورة قد زادت وطال أمدها؛ لأنه لم يكن هناك سلطة رادعة حاكمة لتمنع مثل تلك النزاعات أو توقفها.

فقد كان قطّاع الطرق والأطراف البدوية التي تشن الغارات مُطلَقِي السراح يذهبون أينما يشاؤون. وعلى ذلك، فلم تكن الطرق آمنة، كما أن التواصل والتفاعل بين الأقاليم والبلدات المختلفة في نجد من ناحية، وبين نجد والدول المجاورة من ناحية أخرى، كانا محدودين بسبب المخاطر العالية التي كان يواجهها المسافرون. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أُعيقت حركة الأنشطة التجارية بسبب الكلفة المرتفعة لحراسة القوافل، ودفع الإتاوة الباهظة، ودفع الخوة (أموال الحماية). ولا يمكن أن توفر السلطة المحدودة لرؤساء المستوطنة الحماية الكافية لاستثمارات المستوطنين التجارية والزراعية، حتى من نظرائهم من المستوطنين. وفي تلك البيئة التي تخضع للفوضى، وتغيب فيها الحماية، تفرقت المستوطنات الأصغر حجماً والجماعات الأضعف، ومن ثمَّ فقد أصبحت نَجْد خاوية من السكان.

كان أول أقاليم اليمامة الذي فقد سكانه وازدهاره الزراعي، وعمَّت فيه الفوضى هو الأفلاج. وكان هذا واضحاً من تدوين الرحالة الفارسي ناصر خسرو، الذي زار المنطقة في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (انظر الفصل الثاني). فقد تعرضت أنظمة الري المتطورة والحصون القوية التي ذكرها الأصفهاني والهمداني للدمار. وقد نجا قليل من ذراري أهل الأفلاج الأصليين، وعاشوا حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي (انظر الفصل الثالث).

ويذكر ابن فضل الله العمري أنه في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كانت أقاليم الخرج والفرع هي موطن المزايدة (آل مَزْيَد)[1]. وبحلول القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي كانت الخرج تحت سيطرة جماعة جديدة، آل عائذ، في حين كانت الفرع مأهولة من جانب جماعات تنتمي إلى بني تميم، بني وائل وسبيع. وقد فقدت تلك الأقاليم أهلها القدامى وأعيد إسكانها من جديد من قبل مستوطنين جدد.

وينسب العمري عدداً من المستوطنات والأماكن في وادي حنيفة ومحيطاتها إلى بني يزيد[2]، الذين ينتمون، بحسب بعض النسّابين والمؤرخين النجديين، إلى بني حنيفة[3]. وقد أكّد احتلال وادي حنيفة من قبل أهله القدامى ـ بنو حنيفة في هذه الفترة ـ وذلك في عبارة للرحالة العربي الأشهر ابن بطوطة (وردت سابقاً في الفصل الثاني)، والذي أخبرنا بأن بني حنيفة يشكّلون أغلبية سكان حجر، التي تُعد البلدة الرئيسة في وادي حنيفة، وذلك عندما زارها في عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ ـ ١٣٣٢م، إن حضور بني حنيفة (بنو يزيد) في بلدهم القديم واحتلالهم الحجر كلها أمور قد أشار إليها الشاعر الشعبي من بني يزيد جعيثن اليزيدي، الذي عاش في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[4].

وعلى الرغم من ذلك، فهناك بعض الأدلة على أن قبيلة بني حنيفة كانت تتراجع، من قبل، في عددها كما أنَّها كانت تفقد سيطرتها على البلاد قبل

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، «العرب في القرن السابع (٣): من كتاب «مسالك الأبصار»،» تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة ١٦، العددان ٩ ـ ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٢)، ص٧٧٩. إن الأصل القبلي لآل مزيد ليس واضحاً في المصادر، هذا ولم يرد ذكر الفرع بالاسم من جانب العمري الذي يذكر عدداً من الأماكن التي تمَّ إدراجها في الاسم اللاحق للإقليم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، قام بتحريره حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦)، ص٣٥ ـ ٣٦، وعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ٣ ج (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨)، ص٢٦١ و٢٦٣.

(٤) حمد بن محمد بن لعبون، **تاريخ ابن لعبون** (مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ص٣٢، وحمد الجاسر، «الدولة الجبرية في الأحساء،» مجلة العرب، السنة ٧ (١٣٨٧هـ/ ١٧٦٩م)، ص٦٠٦ ـ ٦٠٨.

منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وتذكر المصادر ثلاث مجموعات قد استوطنت وادي حنيفة في ذلك الوقت، والتي كانت جميعها ذات صلة ببني حنيفة: آل درع أو الدروع الذين كانوا يسيطرون على الحجر والجِزعة الواقعة في الجزء المستوطن المنخفض من الوادي؛ آل يزيد الذين عاشوا في الوصيل، والنعميّة التي تقع قرب حجر في الوادي نفسه، وأخيراً، الموالفة الذين قد ورد ذكرهم أيضاً في المصادر بواسطة من لم يتم تحديد مكان المستوطنة الخاصة به[٥].

إن الدليل الأول الذي يشير إلى خلو وادي حنيفة من السكان هو أن ابن درع رئيس الدروع من حجر والجزعة قد شعر أنه كانت ثمة أراضٍ زراعية كثيرة داخل نطاق الأراضي الخاضعة لسيطرته، والتي كانت تسع أقاربه؛ الدروع الذين كانوا يعيشون في مكان قد سمي على اسمهم الدرعية في محيط القطيف[٦]. وفي منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي دعا ابن درع مانع المريدي رئيس الدروع من القطيف إلى وادي حنيفة وأعطاه هو وأتباعه المليبيد وغصيبة لزراعتهما[٧]. وكان هذان المكانان يقعان في أقصى الجزء الشمالي من النطاق الخاضع لسيطرة ابن درع، بيْن أراضيه وأراضي آل يزيد. وقد قام مستوطنو المُردة بتسمية مسكنهم الجديد في وادي حنيفة الدرعية بعد مسكنهم القديم في القطيف. لقد شهدت الدرعية نمواً سريعاً إلى أن أصبحت واحدة من أكبر المستوطنات في وادي حنيفة. وقد أصبح المُردة، أسلاف آل سعود، من أقوى العشائر في المنطقة وأكثرها نفوذاً.

وثمة دليل آخر على تراجع بني حنيفة، وهو أن عشيرة آل يزيد كانت ضعيفة بشكل واضح، كما أنها كانت قليلة من حيث العدد إلى الحد الذي

---

(٥) مخطوطة ابن منصور، ورقة رقم ٣٠، وعثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج ٢، ص١٨٩ ـ ١٩٠. وحول اتحاد الدروع، الموالفة، وآل يزيد مع بني حنيفة، انظر: ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٥ ـ ٣٦، والبسام، المصدر نفسه، ص٢٦٣.

(٦) للتحقق من مكان الدرعية الخاصة بالقطيف، انظر: محمد الفهد العيسى، «مدينة الدرعية: القاعدة الأولى للدولة السعودية،» مجلة العرب، السنة ٤، العدد ٤ (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٣٢٥.

(٧) مخطوطة ابن منصور، ورقة رقم ٣٠؛ ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص١٨٩ ـ ١٩٠، ومحمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، تحت عنوان «تاريخ نجد»)، ورقة رقم ٢.

لا تقدر من خلاله على زراعة كل أراضيها في وادي حنيفة، وتوفير الحماية لها؛ ونتيجة لذلك، فقد باعت الجزء الشمالي من أراضيها ـ موقع مستوطنة العيينة ـ إلى حسن بن طوق، سَلَف آل معمر من عناقر، وهي عشيرة من بني تميم كانت تعيش في الوشم(٨). لقد ازدهرت العيينة بمضي الوقت إلى أن أصبحت أكبر بلدة نجدية خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وأيضاً خلال النصف الأول من القرن التالي(٩).

كانت عشيرة آل يزيد مقيّدة بين الجماعتيْن الجديدتيْن من المستوطنين في وادي حنيفة؛ آل معمر في الشمال، والمُردة في الجنوب؛ اللتين قد بدأتا في التوسّع على حساب جيرانهما الأضعف. ولكن الضربة القاتلة التي دمرت آل يزيد، فقد وجّهها موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، وهو حفيد الرئيس الأول للدرعية. فقد دمر موسى، بتحالفه مع الموالفة ضدّ آل يزيد، مستوطناتهم وتسبّب في تفرقهم وتبعثرهم(١٠).

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر لم تتحدّث عن الدروع، أهل حجر والجِزعة، والتي ادَّعت المصادر، أن المُردة قدمت، بناء على دعوتها، إلى وادي حنيفة. ويبدو أن حالهم لم يكن أفضل مما هو عليه حال جيرانهم الشماليين، آل يزيد. وقد اختفت حجر، التي كانت تعدّ المركز السياسي والحضري الرئيس منذ بزوغ الإسلام، من السجلّات ولم تذكر مرة أخرى. لقد فقدت البلدة معظم أهلها، ومكانتها السياسية في وادي حنيفة واليمامة، وتفكّكت إلى قرى وأحياء صغيرة وكان أهمها معكال ومقرن(١١). وعندما قام شريف مكة حسن بن أبي نمي، بمهاجمة المكان في عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م، كانت معكال هي التي سمّاها المؤرخ المكي العصامي وليست حجر(١٢). ويبدو أنها هي التي بقيت من المركز الحضري القديم.

(٨) الفاخري، المصدر نفسه، ص١ ـ ٢، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٦.

(٩) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص١ ـ ٢، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٦.

(١٠) مخطوطة ابن منصور، ورقة رقم ٣٠، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٠.

(١١) عبد الرحمن صادق الشريف، مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٠)، ص٨٧.

(١٢) عبد الملك بن حسين المكي العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق محب الدين الخطيب، ٤ ج (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٩٣)، ج ٤، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

ومن الواضح تماماً أن بني حنيفة وأنسباءهم بني بكر بن وائل الذين شكّلوا الأغلبية العظمى من السكان المستقرين في اليمامة بعد بزوغ فجر الإسلام قد تراجعت قوتهم على نحو تدريجي؛ فقد فقدوا أولاً سيطرتهم السياسية على بلدة الخرج، ووادي حنيفة ووادي قرّان. وإضافة إلى ذلك، فإن مستوطناتهم الكبيرة التي ذُكرت من قبل جغرافيي القرون الوسطى بأنها مشهورة بزراعتها الواسعة ـ قرّان، وملهم، وحجر، وعقرباء، وأباض، والهدار، والخِضْرمة ـ إما أن تكون قد اندثرت، وتحلّلت، أو انصهرت ضمن جماعات أخرى(١٣). وهناك ثلاث مستوطنات فقط في وادي حنيفة، ذُكر أنها قد خضعت لحكم الأسر التي لها صلة بأهل الإقليم القدامى، ومن المحتمل أنها أهِلَت بأغلبيتهم خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وكانت تلك المستوطنات هي منفوحة، ومقرن، والدرعية. وبحلول القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، بقي عدد قليل من الأسر التي تنتمي إلى السكان القدامى من بني حنيفة. ولعل أكثرها شهرة كانت المُردة من الدرعية، والجلاليل وآل شعلان من منفوحة، وآل زرعة، وآل مديرس، والسحيم، وآل دغيثر في الرياض(١٤).

وقد مرَّ سكان شمال اليمامة المستقرون أيضاً بتراجع ملحوظ بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. فقد تفكّكت مستوطنات بني تميم التي ذكرها الهمداني بوصفها مزدهرة في وادي الفقي (سدير، انظر الفصل الثاني)، وأن أهلها من بني تميم قد هجروها في فترة لاحقة غير معروفة بالنسبة إلينا. إن بني تميم أهل وادي سدير خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وكذلك القرن التالي؛ مثل آل مزروع من الروضة، وآل حماد من القارة وقراها، قيل، بحسب تراثهم، أنهم لا بد من أنهم قدموا إلى وادي سدير من قفار، مستوطنة شهيرة لبني تميم شهيرة في إقليم جبل شمر(١٥). ويضم جبل شمر الذي لم يكن منطقة قبلية لبني تميم عدة

---

(١٣) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(١٤) حمد الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ط ٢ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨١)، ص١٩٧، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٦٣. يعتقد السواد الأعظم من المؤرخين النجديين أن جماعة المُردة القبلية في الدرعية تنتمي إلى بني حنيفة. انظر أدناه.

(١٥) ابن لعبون، **تاريخ ابن لعبون**، ص٢٢، والجاسر، المصدر نفسه، ص٧٥ ـ ٧٨.

مستوطنات سكنتها مجتمعات من تلك القبيلة(١٦). تُعد قبيلة بني تميم أقدم المستوطنين في الإقليم، على الرغم من أن توقيت هجرتها ليس معروفاً كما هي الحال بالنسبة إلى توقيت وصولهم. وفي الواقع، فقد كان آل مزروع، وآل حماد يعودون إلى بلادهم القديمة وادي الفقي (سدير). ويقول الهمداني إن آل حماد كانوا هم أهل تلك المنطقة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي(١٧).

ويصف ابن فضل العمري ـ على مسؤولية مصدر من نجد ـ ثلاثة مواقع في سدير ـ حرمة، وجلاجل، والتويم ـ بأنها كانت مستوطنات مزدهرة ومحصنة تحصيناً جيداً؛ إذ كان يسكنها آل عائذ بن سعيد في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي(١٨). هذا وكان قد ذُكر في الفصل الثالث من الكتاب، عند مناقشة مستوطنة بني وائل في التويم وحرمة، بأن قبيلة بني وائل كانت قد أسست مستوطناتها في مواقع مستوطنات صحراوية. وقد اختفت جماعة آل عائذ بن سعيد القبلية من تلك الأماكن غير مخلّفة وراءها أي أثر يدل على وجودها باستثناء بقايا من مستوطناتها.

وثمة تفسير محتمل لخلو شمال اليمامة من السكان بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، والذي يتمّثل في حدوث موجات متتالية من القحط التي أجبرت السكان المستقرين على هجر مستوطناتهم. وعلى النقيض تماماً من الأودية الواقعة في المناطق الجنوبية والوسطى من جبل طويق. كانت الأودية الواقعة في المناطق الشمالية (المحمل وسدير) صغيرة نسبياً، وكانت تحتوي على تربة وترسبات أقل بكثير، وهو ما يُعد أمراً خطيراً وحرجاً بالنسبة إلى تخزين المياه الجوفية التي تبقي المستوطنات النجدية على قيد الحياة. ولذلك كانت أقاليم سدير والمحمل أقل مقاومة لموجات القحط الشديدة من وادي حنيفة، والخرج، والأفلاج في الجنوب. وكان هذا واضحاً من التأثيرات والتداعيات الناتجة عن قحط سِحي، الذي

---

(١٦) Carlo Guarmani, *Northern Najd: A Journey from Jerusalem to Anaiza in Qasim*, translated from the Italian by Lady Capel-Cure (London: The Argonaut Press, 1938), pp. xxxiv and 89-90.

(١٧) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحرير محمد بن علي الأكوع الحوالي (الرياض: دار اليمامة ١٩٧٤)، ص٣٠٦.

(١٨) العمري، «العرب في القرن السابع (٣): من كتاب «مسالك الأبصار»،» ص٧٧٨.

حدث في عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣ ـ ١٧٢٤م، وهو ما ألحق الضرر بالمستوطنات في سدير أكثر من أي منطقة أخرى، وهو الأمر الذي تسبب في هلاك عدد ضخم من أهلها نتيجة المجاعة، أو دفع بعضُهم إلى الفرار من البلدة[١٩]. ويبدو أن السكان المستقرين من بني تميم في سدير عندما تعرضت بلادهم للقحط قد وجدوا ملاذاً لهم في جبل شمر؛ حيث أصبحوا هناك العنصر المسيطر الذي له الغلبة على السكان المستقرين. ومن المفترض أنه عندما انتعشت سدير في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وبعد ذلك عاد أسلاف عدد من عشائر بني تميم مثل آل مزروع، وآل حماد إلى مواطنهم القديمة.

وبالمثل، فقد فقدت الوشم هي الأخرى التي تُعدّ المنطقة الأولى التي استقرت فيها جماعات من بني تميم، بعضاً من سكّانها المستقرين ـ القصيبة (القصب الحديثة)، وذات غسل (غِسْلة الحديثة) وشقراء، ورد ذكرها من قبل الأصفهاني على أنها مستوطنات من بني تميم[٢٠]. وتجدر الإشارة إلى أن أغلبية السكان في تلك المستوطنات الثلاث في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، كان لها أصول قبلية أخرى مثل: بني خالد، وبني زيد، والذين لم تمّثل الوشم لهم موطناً تراثياً.

تظهر الدراسة المسحية الموجزة التي قدمناها عن الجماعات المستقرة المختلفة، وأقاليم نجد خلال الفترة من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أن البلدة قد فقدت أعداداً مهمة من مستوطناتها؛ ومن ثَم من سكانها المستقرين. وبوجه عام، فقد تراجعت أعداد السكان المستوطنين في نجد إبان تلك الفترة على نحو كبير. ويبدو أن المناطق التي كانت أكثر خلوّاً من السكان كانت هي التي تُعد أكثر المناطق الكثيفة سكانياً خلال الفترات الأولى من العصر الإسلامي؛ وأعني بذلك الخرْج، الأفلاج، ووادي حنيفة.

---

(١٩) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، الورقتان ٣٧ ـ ٣٨، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٩٤ ـ ٩٨.

(٢٠) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحرير حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٦)، ص٢٧٤.

خصائص المجتمع المستقر النجدي
الاجتماعية والسياسية واستثمار الأرض فيه

من الملائم قبل الإقدام على مناقشة مسائل الهجرة، وإعادة الاستيطان، وإعادة الإسكان، التي شهدتها نجد خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية؛ بهدف استكشاف خصائص المجتمع النجدي المستقر السياسية والاجتماعية ونمط استثمار الأرض. تعدّ المعرفة الواسعة في تلك الموضوعات مسألة أساسية لفهم أفضل للعوامل التي تؤدي دوراً في الهجرة وإعادة الاستيطان وإعادة الإسكان في البلدة موضع النقاش.

كان المجتمع المستقر في نجد مجتمعاً قبلياً بمعنى أن بقاء الفرد وهويته ورفاهيته كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببقاء أسرته وعشيرته وهويتهما ورفاهيتهما؛ أي إن علاقة الفرد الزوجية، مكانته الاجتماعية في المجتمع، وعلاقات اجتماعية أخرى كان يتم تحديدها على نحو نهائي بحسب انتمائه القبلي. لم يكن المستوطن النجدي أقل تشدداً في اعتباراته القبلية من ابن بلده، البدوي.

هيكل المجتمع النجدي

كان ثمَّة ثلاث مكانات اجتماعية معروفة في المجتمع النجدي: القبيليون (مفرد: قبيلي)، والخضيريون (مفرد: خضيري)، والعبيد؛ واشتمل القبيليون على كل تلك الأسر التي كانت قادرة على إرجاع نسب أسلافها إلى قبيلة عربية معروفة، سواء إذا كانت تلك القبيلة مستوطنة بالكامل، أو مستوطنة في جزء منها وبدوية في الجزء الآخر. ولعل الجزء الرئيس من المجتمع المستقر في نجد كان يتكون من القبيليين الذين شكلوا خلال الفترة ذاتها أغلب سكان نجد المرموقين؛ إذ تنتمي إلى تلك الشريحة رئاسات كل بلدات نجد ومستوطناتها.

كان الخضيريون أولئك الأفراد من السكان النجديين المستقرين الذين لا يرجع نسب أسلافهم إلى قبيلة عربية معروفة. فقد عاش الخضيريون في كل بلدات نجد ومستوطناتها تقريباً، وخاصة المدن الكبيرة التي مارسوا فيها مهناً وحرفاً يدوية كان يزدريها القبيليون. وإضافة إلى ذلك، فقد مارسوا أيضاً

التجارة والزراعة التي كانت تلقى احتراماً بين القبيليين. ولم تكن الظروف والفترة التي شهدت فيها تلك الطبقات الاجتماعية تطوراً معروفة؛ فقد شكَّل الخضيريون شريحة كبيرة جداً من المجتمع النجدي الذي يفترض أنهم، ببساطة، من ذراري العبيد المحررين؛ وإن نسبة كبيرة منهم لا بد من أنها تنتمي إلى قبيلة أو أخرى في وقت ما، ولكنها فقدت لاحقاً انتماءها القبلي لسبب ما. ويعزو مؤرخ نجدي[٢١] فقدان الأصل القبلي لبعض الناس في نجد إلى الفترة الطويلة من الاستيطان والارتباط بالأرض، وكذلك فقدان «العصبية» (الشعور بالجماعة)، الذي كان دائماً يحافظ على الانتماء القبلي بين البدو. ومع مرور الوقت، نسي بعض السكان المستوطنين ارتباطهم القبلي؛ نظراً إلى أنه لم يكن (في المدن) مسألة أساسية للبقاء، كما كانت بين البدو.

وكان أحد العوامل التي من المحتمل أنها قد أسهمت في توسيع الانقسام بين القبيليين والخضيريين داخل المجتمع النجدي يتمثّل في طول أمد الاستقرار وقوة علاقة كل طرف به. فلقد كان معظم السكان المستوطنين خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها، كما كنا قد رأينا في الفصل الثالث، وكما سنرى في هذا الفصل، إما بدواً سابقين أو جماعات قدمت من أقاليم لم تكن على درجة عالية من التحضّر، وقد كانت العصبية (الشعور بالجماعة) لا تزال تؤثر بصورة كبيرة في حياتهم، وكانت تعطي كل جماعة إحساساً بالتماسك والسمو؛ ومن ثَمّ المحافظة على الانتماء القبلي (القبيليون). وعلى النقيض من ذلك، فإن عدداً من المستوطنين القدامى في المناطق الحضرية القديمة مثل الأفلاج، والخرج، ووادي حنيفة كانوا قد فقدوا هذا الانتماء القبلي، والعصبية على مدار قرون، وكانوا نتيجة لذلك يصنّفون بأنهم الخضيريون. وقد عزّزت الضغينة القائمة بين المستوطنين القدامى والوافدين الجدد هذا الانقسام الاجتماعي. وربّما كان هذا الانقسام نفسه مؤشراً على التحوّل الديمغرافي الذي شهده المجتمع النجدي خلال الفترة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية.

وكان العبيد موجودين في نجد، على الرغم من أنّ وجودهم لم يكن

---

(٢١) الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص٦ ـ ٧.

على نطاق واسع كما كانت عليه الحال في المناطق الساحلية من الجزيرة العربية. ولقد كان معظم الرؤساء والأثرياء، من البدو أو السكان المستقرين على حد سواء، يُبقون عندهم واحداً أو أكثر من العبيد[٢٢]، الذين كانوا يشتغلون بصورة رئيسة كخدّام في المنازل. وكانت أسواق العبيد الرئيسة في الجزيرة العربية موجودة في مكة ومسقط؛ حيث كان يتم شراء هؤلاء العبيد من قبل كلٍ من الحجاج النجديين (في مكة)[٢٣]، والتجار النجديين من موانئ الخليج العربي. وإضافة إلى ذلك، فقد كان العبيد النجديون يُعتقون، دائماً، بعد أن يمضوا فترة معينة من الخدمة[٢٤]، كما أنهم كانوا يتزوجون ويؤسسون أسراً في مجتمعاتهم. ولقد حافظ بعضهم على علاقاتهم مع أسيادهم السابقين. ومع مرور الوقت، انضم العبيد المُعتَقون إلى فئة الخضيريين[٢٥].

النظام السياسي في البلدات النجدية

يتميز النظام السياسي في بلدات نجد ومستوطناتها بطبيعته القبلية والمتجزّئة، وقد أسهم هذا بصورة كبيرة في حالة من عدم الاستقرار والفوضى التي كانت هي السمات الغالبة في المجتمع النجدي قبل ظهور الحركة الوهابية. وقد كوَّنت كل بلدة كبيرة أو مستوطنة كياناً سياسياً مستقلاً. وقد كانت العلاقات بين حتى أكثر تلك الكيانات قرابة وصلة في معظم الأحيان قائمة على المنافسة والنزاع.

كان أهل البلدان والمستوطنات النجدية يتألفون من جماعتين: الرؤساء (مفرد: رئيس)، أو الشيوخ (مفرد: شيخ؛ الأسرة أو العشيرة الحاكمة)، والجيران (مفرد: جار). وكانت إدارة المستوطنة تقع، دائماً، في أيدي الرؤساء الذين يكتسبون هذا الحق عادة؛ نظراً إلى أنّ أسلافهم كانوا قد

---

(٢٢) John L. Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys* (London: H. Colburn and R. Bentley, 1830), p. 202.

(٢٣) أحمد بن محمد المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، تحرير عبد العزيز الخويطر (الرياض: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ص٥٨.

(٢٤) Burckhardt, Ibid., p. 202.

(٢٥) للمراجع الخاصة بالأنشطة المتعلقة بعبيد نجد، انظر: الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ٣٦ ـ ٣٧ و٤٤ ـ ٤٥، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٤٠.

أسسوا المستوطنة أو أنهم ـ أي أسلافهم ـ كانوا أقوياء على قدر يستطيعون معه اغتصاب الرئاسة من أحفاد مؤسس تلك المستوطنة. وتجدر الإشارة إلى أن خلافة رئاسة المستوطنة كانت في العادة من حق الابن البكر للرئيس السابق، على الرغم من أن أي أخ ـ الابن الأصغر ـ أو حتى ابن العم الذي تربطه قرابة بعيدة بالرئيس المتوفى، ولكنه يستطيع أن يثبت كفاءته وجدارته، من الممكن أن يحصل على لقب الرئاسة، سواء من خلال الإقناع أو حتى عن طريق القوة. ولقد كانت عملية الخلافة تلك التي لم تكن تخضع للقوانين واللوائح المنظمة واحدة من الأسباب الرئيسة للصراع المستمر على السلطة بين أفرع العشيرة المترئِّسة في معظم بلدات نجد ومستوطناتها. وتزيد حدَّة الصراع والخلافات بين الرؤساء وتصبح كثيرة الحدوث بحسب حجم عشيرتهم. وكلما تضاعف عدد العشيرة التي تتولى زمام الأمور، وبقيت فروعها في المستوطنة نفسها، ازداد المتنافسون على رئاستها، تناسبياً، وتزعزع استقرار المستوطنة.

هذا، ويُعدّ الرؤساء أنفسهم أنهم أصحاب الحق في المستوطنة والحمى الذي أسسوه حولها. وكانت تلك الملكية قائمة على الافتراض القائل بأن أسلافهم قد قاموا بشراء الأرض أو تنميتها وفقاً للممارسات الشائعة والشرعية وهي «إحياء الموات». ومن ثَمّ، فإن الشيخ أو رئيس المستوطنة من الممكن أن يمنح أو يؤجر أو حتى يبيع عقاراً موجوداً ضمن منطقة نفوذه لأي شخص يريده.

وبسبب غياب السلطة المركزية ونقص الأمن في نجد. فقد كان ازدهار مستوطنة ما والدفاع عنها وبقاؤها أموراً تعتمد إلى حدّ كبير على عدد أهلها وتعاونهم، الذين كانوا هم الحماة الوحيدين ضد اعتداءات الجماعات المستوطنة أو البدوية الأخرى على حياتهم وممتلكاتهم. وفضلاً عن ذلك، فقد كان الرؤساء يحاولون دائماً أن يزيدوا من مستوى ازدهار مستوطناتهم وقوتها من خلال الترحيب، أو دعوة مستوطنين آخرين؛ ليقيموا في الأراضي الصالحة للزراعة الموجودة في إقليمهم ولزراعتها[٢٦]. وكان هذا يخدم

(٢٦) أحمد بن محمد المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة** (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ج ١، ص٣٩٥.

هدفيْن بالنسبة إلى الرؤساء: فهو يزيد من عدد الأشخاص الذين يمكنهم أن يلبّوا النداء إذا ما طُلب منهم الدفاع عن المستوطنة، كما أنه يعزز من الإيرادات التي يحصل عليها الشيخ من السكان في مستوطنته. وفي سبيل الشعور بالترابط القوي بين سكان المستوطنة، كان أكثر المستوطنين الجدد المرغوب فيهم هم من الأسر والجماعات التي تنتمي إلى الأصل القبلي نفسه الذي ينتمي إليه الرؤساء. وفي الوقت ذاته، فقد كان وجود مستوطنين آخرين مرغوباً فيه أيضاً طالما كانت هناك مساحة موجودة في منطقة النفوذ، ولن تشكل مستوطنتهم خطراً وتهديداً لمكانة الرؤساء ووضعهم[٢٧]. وكان هذا واضحاً من القصة التي ساقها ابن لعبون حول تأسيس مستوطنة المجمعة. ويذكر ابن لعبون أن عبد الله الشمري الذي كان فداوياً (محتجزاً) لدى حسين بن مدلج رئيس التويم، قد ذهب إلى حفيد حسين، إبراهيم، الذي كان قد أسس مستوطنة حرمة، وأصبح رئيسها، وطلب منه أن يوطّنه في حرمة. وقد نصح أبناء إبراهيم ـ كما تحكي القصة ـ والدهم أن يمنح الشمري أرضاً تبعد بمسافة ميلين عن مستوطنتهم، حتى يمكن لرؤساء حرمة أن يستفيدوا من المستوطنين الجدد في الوقت الذي يتجنبون فيه الآثار غير المرغوب فيها لنموهم. وكما يقر ابن لعبون، حتى أبناء إبراهيم لم يكن لديهم بصيرة ثاقبة كافية، فقد أرسلوا كل مستوطن جديد ليستوطن مع الشمري في المجمعة، التي شهدت نتيجة لذلك نمواً سريعاً قياساً بنمو حرمة، وإلى أن بدأت تتنافس مع مستوطنتها الأم[٢٨].

ولقد كان المستوطنون الذين جاؤوا بعد ذلك، والذين يجب أن يكونوا منتمين إلى قبيلة الرؤساء، يعرفون بـ«جيران» المستوطنين الأصليين. وكمثل جيران الرئيس البدوي طلب جيران الرؤساء المستوطنين الحماية والثروة في مستوطنتهم الجديدة. وفي السياق ذاته، فقد أُجبر الرؤساء على حماية

(٢٧) نتذكر الطريقة التي قام بها الوهبة، رؤساء أشيقر بطرد جيرانهم بني وائل من مستوطنتهم عندما أحسوا بأن بني وائل يتمون في العدد، وأنهم قد بدؤوا في تهديد مكانتهم في مستوطنتهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نتذكر أيضاً الطريقة أو الكيفية التي قام بها جيران محدث التميمي، سليمان السديري وأتباعه الدواسر في الغاط بشراء مستوطنة من شيخها. انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٢٨) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦)، ورقة رقم ٧١.

الأشخاص التابعين لهم وأملاكهم، في حين كان من المتوقع أن يشارك الجيران في الدفاع عن المستوطنة وتسليم جزء من محاصيلها إلى الرئيس.

وقد تم وصف التزامات الرؤساء تجاه جيرانهم، وكذلك الطريقة التي حققوها بها، بوضوح بواسطة الشاعر النجدي والناقد الاجتماعي حميدان الشويعر. فقد قسم هذا الشاعر الحكام في ذلك الوقت إلى ثلاثة أصناف. وكان الصنف **الأول**:

والى جاك الأمير ضريسٍ يسحن	وينقّر ما تضاعف من جواره
ترى هذا ينقّر ما يولّف	ولا للجار عنه إلا النياره

وكان الصنف **الثاني**:

وبالحكام مفتخر كبير	الى شفت زوله تقل قاره
سمين للصحن لو هو خروف	يدبر مار تدبيره دماره
جبان ما يصادم له ضرير	ولا يوم صخا كفّه بـ(باره)
خفيف عند ربعه والجماعة	يعرفونه أخف من النجاره
يفاخر بالملابس والمواكل	مبخرته على رأسه كواره
ينام الليل هو والصبح كله	وقلبه بارد ما به حراره
ترى هذاك ما ياخذ زمان	مقلع شِيحة ما به قراره

أما الصنف **الثالث** من الحكام فكان:

وبالحكام من هو يسوس ملكه	من العدوان عن سرقٍ وغاره
يسوس الملك بقلبه وعينه	ومقصوده عماره عن دماره
سواه الليث جزّاع عنوف	يسوس الملك ما يُفتق خداره
يزور الضدّ بجموع صباح	بواديها ومن يسكن دياره
للصدقان ألذّ من الفرات	وللعدوان أمرّ من الخضاره
الى من البدو داسوا كمامه	يخليهم جثايا بالمعاره[٢٩]

---

(٢٩) عبد الله بن خالد الحاتم، **خيار ما يلتقط من شعر النبط** (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨)، ج ١، ص١٣١ ـ ١٣٢. [الاقتباس أخذ من ديوان حميدان الشويعر، ص٨١ ـ ٨٢ الذي أخذ جامِعُه (المؤلف) القصيدة من كتاب خيار ما يلتقط من شعر النبط].

ومثل سلطة الرئيس العربي البدوي، كانت سلطة رئيس المستوطنة في نجد محدودة، ولم تكن مطلقة، وكانت تعتمد إلى حد كبير على سماته الشخصية وقدرته على الإقناع. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت قراراته العامة دائماً مقيّدة بمصالح عشيرته، وباقي السكان في المستوطنة. لقد كانت السلطة التنفيذية للرئيس ضعيفة؛ فلم يكن لديه جهاز شرطة قوي لينفذ قراراته، وخاصة التي تكون ضدّ مصالح أسرة بارزة في المستوطنة.

لقد كان الرئيس يُساعَد من قبل عبيده والفداويين (مفرد: فداوي؛ المحتجَزون) الذين كانت أعدادهم تعتمد على ثروته. والفداوي رجل وُلد حراً، وأحياناً يكون بدوياً، ويكون مدرباً تدريباً جيداً على فن القتال والفروسية، ودائماً يبحث على مثل هذا التوظيف والمغامرة. وعلى صعيد متصل، كان يتم تطويع الفداويين من قبل الرؤساء البدو والمستقرين كشرطة وموظفين إداريين، أو تتم الاستعانة بهم في شن الغارات. وكان أكثر الرؤساء المستقرين نشاطاً ومغامرة هم الأكثر جذباً للفداويين الذين كلّما زاد عددهم عند الرئيس، عزّز سلطته في مستوطنته وجواره. وتجدر الإشارة إلى أن وظيفة الفداوي، كمنفّذ لقرارات الرئيس غير المرغوب فيها من قبل الناس، قد جعلته مصدر ازدراء واحتقار في نظر العامة[٣٠].

لولا قليل من البلدان الكبيرة حيث وُجد المتعلّمون والعلماء، فإن قانون الأرض كان العرف (القانون العربي المعتاد). وقد يعطَّل قانون العرف من قبل رئيس المستوطنة أو أية شخصية أخرى بارزة معروفة ببصيرتها، وإلى جانب دوره كأب للبلدة يكون بمقدوره أن يضع قوانين جديدة، ممكن أن يكون الرئيس القوي والحكيم، أيضاً، هو القاضي في بلدته. وإن ثمة كثيراً من الرؤساء لا يسمحون بأن يسكن قاضي الشرع (قاضي الشريعة الإسلاميَّة) في مستوطنتهم؛ حتى لا يقضي وفقاً لأحكام الشريعة الإسلاميَّة؛ إذ إنهم يخشون أن هذا سيعتدي على سلطتهم. وقد يفسّر هذا تنَقل بعض قضاة نجد، على سبيل المثال، أحمد بن بسام، وسليمان بن علي، وعبد الله بن عضيب من مستوطنة إلى أخرى قبل استيطانهم في بلدات كبيرة مثل: العيينة، وعنيزة[٣١]. وثمة مؤشر واضح على الحقيقة القائلة بأن رؤساء نَجْد لا يمكن

---

(٣٠) فهد المارك، من شيم العرب (بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٤)، ج ٣، ص١٦٧.

(٣١) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص١٨٧، ٣٠٩ ـ ٣١٠ و٥١٧ ـ ٥١٨.

أن يسمحوا بتجاوز أحكام الشريعة الإسلاميَّة لسلطتهم، وهو الخبر الذي يدور حول رئيس الخرج زيد بن زامل الذي قام في أحد الأعوام بعد استسلامه للوهابيين، وتعهده بتطبيق الشريعة الإسلاميَّة في بلدته بقتل واحد من ولاته الذي طالبه بتحكيم الشريعة الإسلاميَّة في خلاف كان قد نشب بينهما(٣٢).

وفي مقابل الحماية التي يتوقعها أهل مستوطنة في نجد من رئيسهم، يقوم بجمع جزء من محاصيلهم في وقت الحصاد لما يسمى بـ«مصالح البلد أو كلفة البلد» (نفقات المدينة)(٣٣). وإضافة إلى ذلك، فقد أشير أيضاً إلى الرسوم (ضريبة المبيعات) بواسطة المصادر النجدية على أنه يتم جمعها من الأشياء العينية(٣٤). إضافة إلى ذلك، أصدر علماء نجد أحكاماً للناس كي يدفعوا زكاتهم إلى شيوخ مستوطناتهم(٣٥). هذا ولم يعرف مقدار الضرائب التي يطلبها الشيوخ من أتباعهم. وعلى صعيد متصل، يخبر حميدان الشويعر في قصيدته أن الشيخ ابن ماضي من مستوطنة الروضة قد جمع نصف المحصول من أهل مستوطنته(٣٦)، وربع المحصول من مستوطنة الداخلة(٣٧)، والذي أجرته عشيرته لجماعة أخرى بموجب اتفاق على المساقاة بينهما. ويبدو أن مقدار الضرائب التي تُفرض تتغير من مستوطنة إلى أخرى ومن مستوطن إلى آخر، بحسب علاقة المستوطن بالأسرة الحاكمة، وبحسب صك ملكية الأرض والشروط التي زُرعت بموجبها. ومع ذلك، فإنه نظراً إلى اقتناع الرؤساء بأنهم قد تملّكوا المستوطنة، فإنهم يتصوّرون أن لهم أن

---

(٣٢) حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، حرره وحققه ناصر الدين الأسد (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦١)، ص١٤١ ـ ١٤٢، وعثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج ١، ص٨١ ـ ٨٢.

(٣٣) المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج ١، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨، والبسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٢٦.

(٣٤) المنقور، المصدر نفسه، ج ١، ص١٩٨، وعبد الله بن محمد بن خميس، **معجم اليمامة** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ج ١، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٣٥) المنقور، المصدر نفسه، ج ١، ص١٥٩.

(٣٦) محمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، حرره محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ (الرياض: المؤلف، ١٩٧٢)، ج ٤، ص٢٨٧.

(٣٧) الحاتم، **خيار ما يلتقط من شعر النبط**، ج ١، ويوسف بن حمد البسام، **الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت** (الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧١)، ص٣١٤.

يجمعوا أكبر قدر يريدونه من الضرائب من أتباعهم[٣٨].

ويبدو أن الأُسر التي تنتمي إلى الرؤساء، وخاصة أولئك الذين كانوا قريبين، من ناحية النسب، من الرئيس، وعاشوا في المستوطنة، قد اقتسمت الدَخْل الذي جمعه، ما يُعدّ ميراثاً ينبغي أن يتقاسمه كل أحفاد مؤسس المستوطنة، وكذلك لأنهم كانوا هم أول من يتم استدعاؤهم في وقت الخطر الخارجي. إن مشكلة التوزيع الصحيح لهذا الدخل بين أُسر الرؤساء ربما يفسِّر النزاعات الحادة التي كانت تحدث داخل الكثير من عشائر الرؤساء في نجد؛ فعلى سبيل المثال، كان فرعا عشيرة رؤساء المجمعة، آل سيف وآل دهيش، في صراع لفترة طويلة من الزمن على رئاسة مستوطنتهم[٣٩]، وكان هذا النزاع فيما مضى يقف عند الشروط التي تتشاركها الجماعتان وهي «مصالح البلد». وعلى الرغم من ذلك، فلا يبدو أن الرؤساء الذين جاؤوا بعد ذلك قد احترموا تلك الاتفاقية، وأن النزاع قد استمر حتى أصبحت عشيرة آل دهيش ضعيفة ثم اختفت.

وبمرور الوقت، زادت أعداد أسرة الرؤساء وكذلك جيرانهم في حين تقلّصت مساحة الأرض الزراعية، وموارد المياه والموارد الطبيعية الأخرى المتاحة في مستوطنتهم؛ وقد بدأت فروع الرؤساء الذين لم يحكموا، وكذلك الجيران الذين أصبحوا ذوي سلطة ونفوذ في المستوطنة في الامتعاض من تكاليف رؤسائهم، وأحياناً تركوا المكان إلى آخر أكثر ملاءمة ليعيشوا فيه. وقد رحلوا إلى مستوطنة أخرى بالفعل، قد تكون تأسست سابقاً، أو بحثوا عن مكان حيث يمكنهم أن يؤسسوا مستوطنتهم الخاصة بهم، ويصبحوا رؤساء أنفسهم.

تركت كثير من تلك الجماعات المهاجرة أيضاً مستوطناتها الأصلية؛ نتيجة للمواجهات وإراقة الدماء التي نشبت بسبب نقص الموارد المحلية. وقد يقحم في الصراع على مكانة أو عقار، عادة، عدد كبير من كل أسرة أو جماعة. وكان الطرف الأضعف أو الخاسر يرحل من المستوطنة، ويبحث

---

(٣٨) المنقور، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، ج ١، ص٢٤٧.

(٣٩) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ورقة رقم ١٩، والبسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، ورقة رقم ٦٩.

عن الحماية والثروة في مكان آخر. وكان هذا يسمى في نجد جلوة (وفي العربية الفصحى: جلاء؛ الهروب أو الرحيل). وهكذا تم التخفيف من كثافة السكان في المستوطنات المكتظة، بينما نمت المستوطنات الصغيرة أو الجديدة.

استثمار الأرض في نَجْد

كانت الزراعة بمثابة العمود الفقري لاقتصاد سكان نجد المستقرين. وعلى الرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهت المستوطن النجدي والمتمثلة في التربة الفقيرة، وإمدادات المياه غير الكافية، فقد كان هذا المستوطن مزارعاً ناجحاً ودؤوباً على العمل. فقد بذل المستوطن جهداً كبيراً، وكان، دائماً، يكافح حتى يتملَّك قطعة من الأرض يضمن بها بقاءه هو وأسرته. ومع ذلك، وكان الأهم من مسألة الحصول على أرض زراعية بحد ذاتها هو السلام والحماية اللذين يتيحان للمزارع أن يزرع ويحصد ثمار تعبه. ولم يكن هذا سهلاً على الإطلاق في بيئة تعمها الفوضى مثل نَجْد. فقد كان على المزارع أن يبقى تحت حماية فرد أو جماعة قوية مثل رئيس المستوطنة، ومن ثَم، ضمن منطقة نفوذه.

وكما هو موضّح سلفاً، فقد تحكّم الرؤساء بالأرض الصالحة الزراعية، وبموارد المياه، والمراعي الموجودة ضمن إقليمهم، وكان بإمكانهم أن يمنحوا أو يؤجروا أو يبيعوا الممتلكات العامة الموجودة فيها. وقد طلبت الجماعات وكذلك الأسر، التي كانت قد أُبعدت من بلدة أو مستوطنة مكتظة بالسكان أو فرّت منها، الحماية من الرؤساء الذين كانوا سوف يمنحونهم، أيضاً، على الأرجح، أرضاً زراعية حيث سيعيشون. ومن الممكن أن تكون تلك الأرض الزراعية ضمن المستوطنة أو ضمن منطقة النفوذ الأوسع للحامي. وبعد ذلك، أسس عدد من تلك الجماعات المهاجرة مستوطناتها الخاصة بها، إما ضمن أرض مضيفيهم، أو في منطقة أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من مستوطنات نَجْد الجديدة قد أُسِّست على هذا النحو.

كان هناك عدة طرق منح الرؤساء وأصحاب الأراضي بواسطها أراضيَ زراعية إلى مستثمرين آخرين ليزرعوها؛ ومن المحتمل أن يكون قد تمّ منح

مساحات كبيرة جداً من الأراضي الزراعية، وخاصّة من قبل مؤسسي المستوطنات الجديدة الذين يرغبون في جذب مزيد من المستوطنين. ومع ذلك، فقد كان هناك بيوع للأراضي، أيضاً، وأنواع مختلفة من التأجير[٤٠].

وكانت المشاجرة أو المساقاة هي إحدى أنواع تأجير الأراضي التي يقوم فيها صاحب الملك بمنح الأرض مزروعة وقد حفر فيها بئر، إلى مزارع بموجب اتفاق على أن يستثمر المزارع الأرض لمصلحة المالك مقابل جزء من المحصول، والذي يكون محدداً بفترة محصول واحدة. وعادة ما يحتفظ المزارع بنصف المحصول في مقابل ري الأرض المزروعة وإدارتها[٤١]. وقد ذُكرت المساقاة على نطاق واسع في أحكام علماء ما قبل الوهابية[٤٢]. إضافة إلى ذلك، فقد طبِّق نظام مشابه على الأرض المنتجة للحبوب، وأعني بذلك العشير؛ إذ يحصل صاحب الأرض بموجبه على عشر الإنتاج[٤٣].

نظام آخر لزراعة الأرض وهو نظام الصبرة، الذي يتم بموجبه الاتفاق على تأجير الأرض لأجل طويل جداً قد يمتد أحياناً إلى عدة مئات من السنين. ويمكن للمستأجر أن يستخدم الأرض بأي طريقة يراها مناسبة، كما يمكنه أن يقوم هو الآخر بتأجيرها إلى مستثمرين آخرين. وفي نهاية العام، يكون هذا المستأجر مطالباً بدفع أجرة نقدية أو عينية. وتسري على ورثة كلا الطرفين الشروط نفسها حتى نهاية مدة الاتفاق[٤٤]. وكان هناك اتفاق آخر طويل الأجل هو نظام المزارعة أو المرابعة؛ إذ يُعطى المستثمر الأرض البكر على أساس أن تكون ملكية الأرض مشاعاً بين المستثمر والمالك وعلى أن يقتسما المحصول في نهاية العام الزراعي. وقد يحصل المالك على ربع المحصول سنوياً[٤٥].

ويبدو أن النوعين الأخيرين من استثمار الأرض كانا المنتشريْن في

---

(٤٠) البسام، المصدر نفسه، ورقة رقم ٢٦.

(٤١) انظر: عبد الرحمن صادق الشريف، **منطقة عنيزة (دراسة إقليمية)** (القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، ١٩٦٩)، ص١٢٤.

(٤٢) المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج ١، ص٣٠٢ ـ ٣١٦.

(٤٣) الشريف، المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٢٤.

نجد؛ فقد كان نظام الصبرة هو الأكثر استخداماً في عنيزة في القصيم[٤٦]، بينما ذكرت المزارعة على نحو متكرر في مجموعات نَجْد الخاصة بالأحكام القانونية. ويبدو أن المزارعة كانت هي الوسيلة التي تأسست بواسطتها الكثير من المستوطنات الجديدة في اليمامة والقصيم؛ إذ لم يكن لأسرة أو مجموعة من الأسر أن تؤسس مستوطنتها في منطقة معزولة، وتدافع عنها بنجاح، وإنما عليهم أن يشتروا أو يستأجروا أرضاً، من رئيس بدوي أو مستقر، موجودة ضمن منطقة صاحب النفوذ، بهدف الحصول على حمايته. ويبدو أن نظام المشاركة في المحصول كان هو المفضل لدى الرؤساء المستقرين؛ فعلى سبيل المثال، ورد ما يفيد بأن مستوطنتين جديدتين في سدير ـ الداخلة والحصون ـ قد أُسستا وكانتا تقومان على أساس هذا النظام[٤٧].

وقد كان لنظام المزارعة تداعياته السياسية والاجتماعية المهمة؛ إذ ظهرت مشكلات على مدار السنين بسبب عدم وجود حدود زمنية، والملكية المشاع للأرض بين المالك والمستثمر. إذ ستكون أعداد المستثمرين قد تضاعفت، بالوصول إلى الجيل الثالث، وسيكون عليهم أن يستقبلوا جيراناً في ملكياتهم. وفي بعض الحالات نمت أعداد هؤلاء المستثمرين بسرعة أكبر من أعداد شركائهم وبدؤوا في منافستهم. وعليه، فقد امتعضوا من دفع جزء من محاصيلهم إلى الجماعة الأضعف. وفي حالات أخرى حاول المالكون الذين رأوا ازدهار المستوطنة التي منحوها بموجب اتفاق مشاركة المحصول أن يستعيدوا ملكيتهم الكاملة لها. وفي غياب السلطة الرادعة، كانت الحروب والفوضى هي العرف السائد.

ومثال على تعقيدات كهذه يتمثّل في حالة الحصون التي تمّت زراعتها في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦ ـ ١٦٠٧م، من جانب آل تميِّم من بني خالد الذين استأجروها بموجب اتفاق مشاركة المحصول من رئيس مستوطنة القارة المجاورة[٤٨]. وفي عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١ ـ ١٦٣٢م اغتيل رؤساء آل تميِّم في

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٤٧) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٥١، والبسام، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ص٣١٤.

(٤٨) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص١٩٦.

مسجد القارة[٤٩]، وطُردت عشيرتهم من مستوطنتهم على أيدي شركائهم. وفي عام ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، ساعد رئيس جلاجل آل تميِّم على استرداد رئاسة الحصون وطرد رؤساء القارة[٥٠]. وفي عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م، استولى رؤساء القارة الذين يبدو أنهم قد هجروا مستوطنتهم القديمة، مرة أخرى على الحصون بمساعدة رؤساء التويم، وأصبحوا هم رؤساءها[٥١]. ويُعد هذا دليلاً على الطريقة التي تمَّ من خلالها استثمار أرض نَجْد، وكيف أدّى هذا إلى حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

إعادة استيطان نجد وإعادة إسكانها

كان القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي نقطة تحوّل في تاريخ السكان المستقرين في نجد بوجه عام، واليمامة بوجه خاص. فقد أخذت الظروف التي مرَّ بها أهل البلد المستقرون ـ هذه البلد التي كانت قد بدأت بالتراجع منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ـ تتحسن ببطء ولكن على نحو لافت، وكان ذلك في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وبدأت الأسر والجماعات تتجمّع في اليمامة وأجزاء أخرى من نجد. وبالإضافة إلى ذلك، كانت قد أُسِّست مستوطنات جديدة؛ حيث لم يرد ما يفيد بوجود حياة مستقرة في السابق. وقد بنيت مستوطنات أخرى على الأطلال وفي محيط المستوطنات القديمة، وزاد حجم عدد من المستوطنات القديمة عبر القرون التي سبقت ظهور الحركة الوهابيّة، وبدأت البلدان القديمة المكتظة بالسكان التي كانت غير قادرة على كفاية سكانها في طرد بعض أهلها الذين أسسوا، بدورهم، مستوطناتهم في أقاليم أخرى، أو لجؤوا إلى مناطق أقل من حيث عدد السكان.

وسوف تتم دراسة عدد من الجماعات المهاجرة المختارة، وأقاليمها، وبلدانها، وكذلك أصولها القبلية، بالإضافة إلى تتبّع أماكن مستوطناتها

---

(٤٩) المصدر نفسه، ص٢٠٥؛ ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٥.

(٥٠) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ١٤؛ ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٧، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٦٤ ـ ٦٥.

(٥١) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٢٧، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٤.

الجديدة. وفي الوقت ذاته، ستتم مناقشة مسألة توسّع بعض البلدان القديمة، وهجرة النجديين من بلدهم إلى الساحل الشرقي للجزيرة العربية وجنوب العراق؛ بغية إظهار التغيرات الديمغرافية التي حدثت خلال القرون الثلاثة التي نحن بصدد دراستها. ويعتمد اختيار الجماعات والمستوطنات بصفة رئيسة على المعلومات المتاحة حولها في المصادر.

لقد تتبعنا بالفعل، في الفصل السابق، هجرة واستيطان الجماعتين الكبيرتين اللتين أسهمتا في إعادة الإسكان في اليمامة، وإعادة استيطانها: جماعة بني وائل التي أسست وسكنت مستوطنات التويم، وحرمة، والمجمعة، وحريملا، والشِقّة، والجماعات المختلفة من الدواسر التي أسست وسكنت مستوطنات ثادق، والبير، وجلاجل، والصفرات، والشماس، والكثير من المستوطنات الأخرى في الأفلاج. وقد خلصت الدراسة إلى أنَّ تلك الجماعات كانت تعود في أصلها إلى قبائل بدوية متنفذة أو ضعيفة. ومع ذلك، فإن معظم الجماعات المهاجرة التي أسهمت في إعادة إسكان نجد خلال الفترة التي تتناولها الدراسة، والتي سوف تتم مناقشتها أدناه، كانت ذات أصول مستقرة.

هجرة المُردة وإعادة استيطانها

كانت المُردة واحدة من أقدم تلك الجماعات، والتي تمَّت دراسة هجرتها إلى وادي حنيفة في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكذلك تأسيسها للدرعية، سابقاً. وتدلّ المكانة التي أشارت إليها المصادر النجدية[٥٢]، والتي تفيد بأن المُردة كانت من الأصل القبلي نفسه الذي ينتمي إليه الدروع رؤساء مستوطنَتَي حجر والجِزعة في وادي حنيفة، والذين ورد أنهم قد دعوا المُردة إلى المنطقة، على أنَّ المردة كانت في الأصل من وادي حنيفة[٥٣]، وقد رحلت عن هذا الوادي متوجّهة إلى

(٥٢) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٨٩ ـ ١٩٠؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٣٦، ومخطوطة ابن منصور، ورقة رقم ٢.

(٥٣) يخبر معظم المؤرخين في نجد أن جماعة المردة وأحفادها (آل سعود) ينتمون إلى بني حنيفة؛ انظر: ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٥؛ ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٦، ٤٥ و١٧٧؛ =

القطيف خلال الفترة العصيبة التي شهدتها المنطقة؛ لكن تحسُّن تلك الظروف في وادي حنيفة قد شجع المُرَدة على العودة ثانية إلى موطنها الأصلي.

ولم يرد ذكر الدرعية بواسطة جغرافيي القرون الوسطى، ويعتقد العالم المعاصر محمَّد فهد العيسى أن المستوطنة قد أُسست في موقع مستوطنة بني حنيفة القديمة من غبراء التي وصفها الأصفهاني(٥٤) أو في محيطها، والتي اختفت بالكامل. وقد أصبح للمكان أسماء جديدة؛ مثل المليبيد، وغصيبة، حتى قبل قدوم المُردة إلى وادي حنيفة.

وفي رئاسة ربيعة، ابن مانع المُريدي، مؤسس الدرعية، وخليفته، وابنه موسى بن ربيعة، شهدت المستوطنة الجديدة توسعاً وزاد عدد سكانها. وقد ورد ما يفيد بأن الرئيسيْن قد عمدا إلى أنشطة توسّعيّة ضدّ جيرانهما الشماليين (آل يزيد)، وطرداهم وضمّا كل أراضيهم إلى أراضيهما(٥٥). وهذه القوة السياسية والعسكرية، وكذلك ضم الأقاليم الجديدة قد جذب المزيد من المستوطنين (الجيران) إلى الدرعية(٥٦). وفي القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أصبحت الدرعية بلدة ضخمة ومكتظة بالسكان، ويتردد عليها زوار وتجار عديدون. وفي حقيقة الأمر، فقد أصبحت بطحاء وادي حنيفة في محيط المستوطنة موطئاً للناس وحيواناتهم لدرجة استحال معها قيام الاحتفالات الدينية المصاحبة للأعياد والمهرجانات هناك(٥٧).

= البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٦٢ و٣٦٣، والجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ص١٩٧، ٣٨٦ و٨٦٤ ـ ٨٦٥. انظر أيضاً رأي الشخصية البارزة من آل سعود عبد الله بن عبد الرحمن الذي يعزو أصل عائلته إلى بني حنيفة، في: منير العجلاني، **تاريخ البلاد العربية السعودية**، ٤ ج (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٣)، ج ١، ص٧٧ ـ ٧٩.

(٥٤) العيسى، «مدينة الدرعية: القاعدة الأولى للدولة السعودية،» ص٢٣١ ـ ٢٣٤. انظر أيضاً: ابن خميس، **معجم اليمامة**، ج ٢، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

(٥٥) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٠؛ ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٦ ـ ٣٧، ومخطوطة ابن منصور، ورقة رقم ٣٠.

(٥٦) ابن بشر، المصدر نفسه، وابن عيسى، المصدر نفسه.

(٥٧) إن الحقيقة القائلة بأن الشيخ أحمد بن عطوة الذي يعد أبرز علماء نجد في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، والذي سكن في العيينة، وهي أعلى الدرعية في وادي حنيفة، قد طلب من أحد أساتذته في دمشق لممارسة الشعائر الدينية في بطحاء الدرعية، تدلّ على أهمية تلك المدينة في ذلك الوقت. انظر: المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج ١، ص٩٢.

وإبان حكم إبراهيم بن موسى، وهو الرئيس الرابع للمستوطنة الذي حكم في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، نمت عشيرة الرؤساء في الدرعية بدرجة كبيرة، حتى إن بعض أفرادها تركوا المستوطنة وذهبوا إلى أماكن أخرى. وكان اثنان من أبناء الشيخ إبراهيم بارزيْن وهما: عبد الرحمن وسيف. انتقل عبد الرحمن إلى منطقة ضرما[٥٨] غرب الدرعية عبر جبل طويق، وأصبحت ذريته، وهم المعروفون في مستوطناتهم الجديدة بالشيوخ، أقوياء في ضرما بدرجة كافية مكّنتهم من أن يصبح كثير منهم شيوخاً في تلك المنطقة طيلة القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والقرن الذي تلاه[٥٩]. وانتقل سيف إلى مستوطنة أبا الكباش الواقعة شمال الدرعية، وكانت ذريته معروفة بآل ابن يحيى في مستوطنتهم الجديدة، وقد حصلوا على رئاستها[٦٠]. ومن المحتمل أن تكون مجموعتا المُردة قد ضُمت إليهما مجموعات أخرى من الدرعية والمناطق الأخرى المجاورة.

لقد ساعدت هجرة ابنَيْ إبراهيم الاثنين من الدرعية، فقط، على تأجيل الصراع الحتمي بين الأسر العديدة من عشيرة المُردة[٦١] على رئاسة الدرعية. وبحلول منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، انقسمت ذرية مرخان بن إبراهيم بن موسى المريدي إلى مجموعتين رئيستين هما آل مقرن وآل ربيعة (أو آل وطبان)[٦٢]، ودخلا في صراع طويل حول رئاسة مستوطنتهم. وتوجد بعض الدلالات في المصادر على أنَّ المستوطنة كانت قد انقسمت إلى إمارتيْن هما: الدرعية، وغصيبة جراء هذا

(٥٨) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٠، وابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٥٩) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ص١٨ و٤٤؛ ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢١٧، وج ١، ص٤٠ ـ ٤١ و٤٣ ـ ٤٤، وابن غنام، تاريخ نجد، ص١٠٢ ـ ١٠٣.

(٦٠) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٠، وابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٨. يعتقد مؤلف معجم اليمامة أن مستوطنة أبا الكباش قد أُسِّست على أنقاض المهشّمة، وهي مستوطنة بني حنيفة وقد ذُكرت من قبل جغرافيي العصور الوسطى.

(٦١) لمزيد من التفصيل حول نسب المُردة، انظر: ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٦ ـ ٤٥، وراشد بن علي بن جريس الحنبلي، مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص٣١.

(٦٢) كان مقرن وربيعة ابنيْن لمرخان بن إبراهيم. وقد ورد ما يفيد بأنهما قد أدّيا فريضة الحج إلى مكة في عام ١٠٣٩هـ/١٦٣٠م. انظر: ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٩.

الصراع[٦٣]. وقبل عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م، جاء معظم شيوخ الدرعية من نسل آل ربيعة (آل وطبان). وقد قُتِل اثنان من القادة البارزين من آل وطبان، في هذا العام، في مدينة العيينة المجاورة، واقتنص محمَّد بن سعود (١١٣٩ ـ ١١٧٩هـ/١٧٢٦ ـ ١٧٦٥م) من المقرن زعامة الدرعية، وطرد ما تبقى من آل وطبان من المستوطنة[٦٤].

ويبدو أن أفراد جماعة آل وطبان المطرودين قد انضموا إلى أقاربهم الذين هاجروا من قبلُ إلى مستوطنة جديدة (الزبير)[٦٥]، تقع على بُعد نحو ثمانية أميال جنوب غرب البصرة في جنوب العراق. كان أول مهاجري آل وطبان هو وطبان بن ربيعة بن مرخان الذي ورد أنَّه قتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان في عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥م، وهرب إلى الزبير[٦٦]. ويُقال إنه ترك ١٤ ولداً حكم بعض منهم، مع ذريتهم، في الدرعية[٦٧]. واستمر الصراع على رئاسة المستوطنة حتى ضمن فرع آل وطبان[٦٨] بسبب الزيادة في عدد المطالبين منهم بالقيادة؛ لذلك، ترك الكثيرون منهم الدرعية قاصدين الزبير. ومع بداية القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، أصبحت جماعة آل وطبان قوية إلى الدرجة التي استطاعت معها تولي رئاسة الزبير.

زاد معدل نمو المُردة الذين كانوا قد وصلوا إلى اليمامة في نحو منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، بدرجة كبيرة. وقد جاء المُردة من أجل السيطرة على ثلاث مستوطنات هي الدرعية وضرما وأبي الكباش، وشكلوا جزءاً كبيراً ومهماً من سكان الزبير. وبحلول القرن الثاني

(٦٣) المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص٤٩ و٧١؛ ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ص٦؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، ص١٠، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٠٨.

(٦٤) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٧، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٤٠.

(٦٥) سوف تتم مناقشة هجرة النجديين إلى الزبير، لاحقاً، في هذا الفصل.

(٦٦) المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص٤٩؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، ورقة رقم ١٠، وابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٩ ـ ٤٠.

(٦٧) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٣٨ ـ ٤٠.

(٦٨) المصدر نفسه.

عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، أصبحت الدرعية وضرما مكتظّتيْن بالسكان، ومزدهرتيْن لدرجة أن المصادر تذكرهما كأمثلة على الأماكن التي تمتعت بعائد كبير من المنتجات الزراعية، وأسعار منخفضة(٦٩). كانت المستوطنة الأم، الدرعية، هي الأضخم والأقوى في وادي حنيفة، بعد العيينة مباشرة(٧٠). إن هجرة المُردة إلى اليمامة وانتشارها فيها أسهما بدرجة كبيرة في نمو السكان المستقرين في الإقليم وإعادة الاستيطان فيه.

هجرات بني تميم وإعادة استيطانهم

كان عدد كبير من الجماعات التي أسهمت في إعادة الاستيطان وإعادة الإسكان في اليمامة والقصيم خلال القرون الثلاثة ـ التي كانت تلك الدراسة بصددها ـ ينتمي إلى جماعات بني تميم القبلية القديمة. وكما رأينا سابقاً، فقد انخفض عدد مستوطني بني تميم قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وبقيت تجمعات فقط في منطقة الوشم في بلدان، مثل: ثرمدا وأشيقر والفرعة، وكذلك في جبل شمر، وتحديداً في بلدة قفار. وإبان القرون الثلاثة التالية هاجرت عشائر وأسر بني تميم من هذيْن الإقليميْن إلى وادي حنيفة وسُدير والقصيم.

هجرة العناقر

كانت عشيرة عناقر ثرمدا في الوشم واحدة من أبرز عشائر بني تميم، والتي يبدو أنها كانت قد كبرت وبدأت في الهجرة من بلدتها إلى مناطق أخرى في نَجْد، ثم انتشرت الأسر المنتمية إليها في باقي أنحاء نَجْد. وقد أسس عدد من هذه الأسر مستوطنات خاصة بها، في حين نزلت أخرى كجيران في مستوطنات كانت قد تأسّست سابقاً.

عناقر العيينة: يُقال إن أول العناقر الذين تركوا ثرمدا كان جدّ آل معمر، حسن بن طوق الذي هاجر من ثرمدا إلى ملهم، وهي مستوطنة قديمة لبني

---

(٦٩) الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، الورقات ٢٠، ٣٢، ٣٣، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢١٩ و٢٣٠.

(٧٠) عبد الله الصالح العثيمين، **الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره** (الرياض: دار العلوم، [د. ت.])، ص٥٩ ـ ٦٠.

حنيفة في المحمل، إلا أنه لم يستقرّ هناك لمدة طويلة. وبحسب المصادر فإنه في نحو منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، اشترى ابن طوق موقع مستوطنة العيينة في أعالي وادي حنيفة من آل يزيد، وهم من الذين بقوا من أهل ذلك الوادي القدامى[٧١]. جذب آل معمر الكثير من المستوطنين، وقد نمت مستوطنتهم بوتيرة مشابهة لشقيقتها الدرعية. كان إقليم الشعيب (وادي قرّان) الواقع شمال العيينة غير مأهول تقريباً بالسكان في ذلك الوقت؛ لذلك قام شيوخ آل معمر بتوسيع نطاق سلطتهم في هذه المنطقة عن طريق أخذ الإتاوة من أهلها، وحماية الأماكن غير المستوطَنة في الإقليم.

وفي منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، أصبحت العيينة، طيلة حكم رئيسها الخامس، حمد بن عبد الله بن معمر (ت. ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م) مجتمعاً قوياً، وبدأت في ضمّ المزيد من الأقاليم إلى منطقة نفوذها[٧٢]. استولى حمد بن عبد الله بن معمر على ملهم، وربما منطقة وادي الشعيب بكاملها، التي كانت ملهم فيها أكبر مستوطنة[٧٣]. وكما كنا قد رأينا، فإن ابن معمر قد باع موقعَ مستوطنة حريملا، الذي يقع أعلى ملهم في الوادي نفسه، لبني وائل في عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥ ـ ١٦٣٦م. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد وصلت أنشطة ابن معمر إلى وادي سدير في الشمال. وفي عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م، طرد ابن معمر شيخاً بارزاً من هذا الوادي من مستوطنة صغيرة، أم حمار واحتلّها[٧٤].

---

(٧١) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٨٩؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٣٥، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠. يذكر الهمداني موقع العيينة في المنطقة التي تقع فيها العيينة الآن، لكنه لا يصفها بأنها مستوطنة. وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مستوطنتين كبيرتين لبني حنيفة تقعان في وادي حنيفة في وقت ظهور الإسلام، الهدار وأباض، لكنهما اندثرتا قبل فترة طويلة من تأسيس العيينة. انظر: الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٢٨٥ و٣٠٧.

(٧٢) لمزيد من التفصيل حول شيوخ ورؤساء العيينة وكذلك الفترات التي حكم خلالها كل منهم، انظر: منصور الرشيد، «قضاة نجد أثناء العهد السعودي،» **مجلة الدارة**، السنة ٢، العدد ٤ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص٦٦ ـ ٧٥.

(٧٣) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٠٥.

(٧٤) المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص٤٥، وابن عبُاد (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ١٨ ـ ١٩.

يُعزى نمو العيينة وقوتها، ربما، إلى تماسك رؤساء عشيرتها. وفي واقع الأمر، فإن هذه الأسرة هي أقل الأسر التي تعاني التناحر الداخلي في نجد. وكان الاضطراب الوحيد الذي ذكرته المصادر، داخل أسرة آل معمر قد حدث في عام ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م، عندما قُتِل راعي العيينة على يد ابن أخيه الذي حلّ محلّه بعد ذلك. وفي العام التالي، قُتل هذا المغتصب(٧٥). وربما كان وجود شريف مكة زيد بن محسن في محيط العيينة في العام نفسه هو مصدر هذا الاضطراب، حيث حصل ابن محسن على إتاوة كبيرة من العيينة(٧٦).

لقد استعادت العيينة قوتها، واستعادت أنشطتها التوسعية طيلة رئاستَي اثنيْن من أقوى رؤسائها وأكثرهم بقاءً في الحكم، وهما عبد الله بن حمد بن معمر (١٠٧٠ ـ ١٠٩٦هـ/١٦٥٩ ـ ١٦٨٥م)، وابن أخيه وخليفته عبد الله بن محمد بن معمر (١٠٩٦ ـ ١١٣٨هـ/١٦٨٥ ـ ١٧٢٥ أو ١٧٢٦م)، بدأ الأول بتوسيع سلطة العيينة عن طريق الهجوم على مستوطنة الدواسر الجديدة «البير» في منطقة المحمل في عام ١٠٧٢هـ/١٦٦١ ـ ١٦٦٢م(٧٧). وقد شهدت حريملا التي باعها آل معمر لبني وائل من نصف قرن مضى نمواً سريعاً حتى بدأت تنافس رؤساء العيينة على فرض النفوذ والسيطرة في وادي الشعيب. وقرب نهاية حكم عبد الله بن حمد بدأت مواجهة طويلة بين حريملا والعيينة، وفي عام ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م، احتلّ أهل حريملا المستوطنتيْن الصغيرتيْن القريْنة وملهم(٧٨)، اللتين كانتا تقعان في أسفل بلدتهم، ولكنهما كانتا تحت حماية ابن معمر الذي بدأ على الفور الهجوم عليهما(٧٩).

استمرَّ عبد الله بن محمَّد بن معمر في خطة عمِّه في توسيع سلطة آل معمر في المناطق المجاورة، فشنَّ الحرب على خريملا على نطاق أوسع.

---

(٧٥) المنقور، المصدر نفسه، ص٤٨؛ ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٦، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٠٨.

(٧٦) ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٩، وابن بشر، المصدر نفسه.

(٧٧) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ١١.

(٧٨) المصدر نفسه، ورقة رقم ١٦، وابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٨.

(٧٩) المصدران نفسهما.

ووصلت غاراته الشمالية إلى ثادق والبير[٨٠]، ثم بعد ذلك تحوّل عبد الله بن محمَّد بن معمر أيضاً ضدّ جيرانه الجنوبيين المتمثّلين في الدرعية والخرْج. وفي عام ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥ ـ ١٦٨٦م، احتلّ مستوطنة العامريّة الصغيرة التي تقع شمال غرب الدرعية[٨١]، وهو ما أغضب رؤساء الدرعية، وكذلك بدو آل كثير الذين يبدو أنه كانت لديهم مصالح في تلك المستوطنة. وفي العام التالي، شنَّ شيوخ الحريملا والدرعية والخرج هجوماً مشتركاً على سدوس التي كانت لآل معمر[٨٢]. لقد تسبّبت الطموحات الكبرى والحكم الطويل لعبد الله بن محمَّد في وجود أعداء كثيرين له في نَجْد. وقد تحالف ابن محمَّد مع بعض الجماعات البدوية في المنطقة، وهاجم جماعات أخرى[٨٣]. وليس هذا فحسب، بل وحَّد القوى مع رئيس الأحساء لزيادة نفوذه في نجد[٨٤].

لقد حقَّقت العيينة، خلال الحكم الطويل لهذا الرئيس، رخاء كبيراً ونفوذاً بالغاً في نَجْد لم تحقّقه بلدة أخرى قبل ظهور الحركة الوهابية. ويقول أحد المؤرخين النجديين:

> وفي سنة ست وتسعين وألف تولّى عبد الله بن محمد . . .بن معمر في بلد العيينة، وصار له فيها شهرة عظيمة وكبرت العيينة في زمنه وتزحزحت، وكثر أهلها وزادت عمارتها[٨٥].

ويقول مؤرخ آخر:

> وفي سنة ١١٣٨هـ كانت وقعة العيينة، حلّ بهم وباء أفنى غالبهم، ومات فيهم رئيسهم عبد الله بن محمد بن معمر، الذي لم يذكر في زمنه ولا قبله في نجد من يدانيه في الرئاسة ولا سعة الملك

---

(٨٠) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٢١، والفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٣٠ و٣٦.

(٨١) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ١٨.

(٨٢) المصدر نفسه، ورقة رقم ١٩، وابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ٨ ـ ٩.

(٨٣) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، الورقات ٨ و١٠ ـ ١٢، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٢٥، ٢٢٩ و٢٣٩.

(٨٤) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٣٤، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٩.

(٨٥) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢١٦.

والعدد والعدة والعقارات والأثاث، ومات ابنه عبد الرحمن وتولى ابن ابنه محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقّب خرفاش[٨٦].

ويتضح جلياً من التدوين السابق أن مستوطنة العيينة قد شهدت نمواً منذ تأسيسها من قِبَل مهاجِري العناقر في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، لتصبح أكبر وأقوى بلدة في نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن التالي. ومن الواضح أيضاً أن توسيع العيينة وازدهارها، وتوسيع نطاق سلطة رؤسائها قد تسارعت خلال الـ١٥٠ عاماً التي سبقت ظهور الوهابيين. لقد أضعفت كارثة عام ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥ ـ ١٧٢٦م البلدة لدرجة أن رئيس الدرعية تآمر مع رئيس جماعة بدوية محلية لنهب البلدة الغنية التي كانت شبه خالية من السكان. وقد أُنقِذت البلدة فقط بواسطة مؤامرة مضادة قام بالترتيب لها رئيسها اليافع، وهي المؤامرة التي قُتِل فيها قادةُ المعتدين[٨٧]. وبصدها هذا التهديد الخارجي، أضحت العيينة قادرة على التعافي تدريجياً، ومع الوقت، بدأ عبد الوهاب حركته وكانت لا تزال أكبر بلد في نَجْد وأهمها فيها.

عناقر بريدة: ثاني أهم جماعة من العناقر تترك ثرمدا بحثاً عن مكان أكثر ملاءمة للعيش كانت عشيرة آل أبي عليان. ويقول ابن عيسى والذكير اللذان كتبا تدوينيْهما خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، إن آل أبي عليان وشيخها راشد الدريبي اشتروا موقع بريدة في القصيم في عام ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م من ابن هذّال رئيس الجماعة القبلية البدوية الكبيرة عنزة[٨٨]. وقد عزا ابن عيسى هجرة آل أبي عليان من ثرمدا إلى النزاع الذي كان دائراً بين عشائر العناقر في تلك البلدة[٨٩].

---

(٨٦) الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٣٩ ـ ٤٠.

(٨٧) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٧.

(٨٨) إبراهيم بن صالح بن عيسى، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع العشر** (حرر ونشر كتكملة لـ«عنوان المجد» لابن بشر) (الرياض: وزارة التعليم السعودية، [د. ت.])، ص٨، الجزء الأول من كلام الذكير مفقود من المخطوطة المتاحة لهذه الدراسة، لكن معظمه مقتبس من: محمد بن ناصر العبودي، **بلاد القصيم** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩)، ص٤٨٢ ـ ٤٨٤.

(٨٩) ابن عيسى، المصدر نفسه.

ولدى محمَّد العبودي، مؤلف **بلاد القصيم**، وهو أحد السكان القدماء في بريدة، تحفّظات صائبة حول التاريخ الذي حدّده ابن عيسى والذُكير لتأسيس هذه البلدة وامتلاكها وبيعها بواسطة شيخ عنزة[٩٠].

يقول ابن عيسى إن راشداً الدريبي مؤسس بريدة كان جد حمود بن عبد الله بن راشد الدريبي الذي حكم البلدة في عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م، وفقاً لما ذكره ابن يوسف والبسام وابن عيسى نفسه[٩١]. ويعتقد العبودي، وهو على صواب، أنه يجب أن يكون هناك أربعة رجال أو خمسة في عمود النسب بين مؤسس بريدة وحفيده حمود، إذا ما عُدّ تاريخ التأسيس الذي حدّده ابن عيسى والذكير موثوقاً[٩٢].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن لدى العبودي أيضاً شكوكاً حول ادّعاء امتلاك شيخ عنزة لبريدة وبيعه لها؛ لأن الجماعة القبلية التي كان لها السلطان في القصيم طيلة القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، هي جماعة بني لام وليست عنزة، وأن آل أبي عليان كانوا على الأرجح قد اشتروا الأرض من شيخ مستوطن، وليس من شيخ بدوي. ويعتقد العبودي أيضاً أن آل أبي عليان ربما كشفوا عن هذا الادّعاء في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، عندما أصبحت عنزة الجماعة القبليّة التي لها السلطان في القصيم، لحماية أنفسهم من كل من جماعات البدو والمستقرين في المنطقة[٩٣]. وعلى الأرجح أن يكون هذا التفسير حقيقياً بالنسبة إلى معظم الادعاءات المتعلّقة بشراء الجماعات المستقرة الأراضي من شيوخ بدو.

ويبدو أن آل أبي عليان قد وصلوا إلى القصيم خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، واستقروا في المكان الذي تقع فيه بريدة الآن، وبدؤوا في زراعة المنطقة، ربما من خلال حصولهم على إذن

---

(٩٠) انظر إلى المناقشة بأكملها في: العبودي، المصدر نفسه، ص٤٧٢ ـ ٤٨١.

(٩١) ابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٤٤ البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٧٧، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص١٠٥.

(٩٢) انظر بعض الدوافع والحوافز لتقديم التواريخ التأسيسية لمستوطنات نجد في المناقشة التي تتناول مسألة تأسيس مستوطنات بني وائل في سدير في الفصل السابق.

(٩٣) العبودي، **بلاد القصيم**، ص٤٧٨.

من رؤساء الدواسر وتحت حمايتهم في مستوطنة الشماس نفسها التي تقع على بعد ميليْن إلى الجنوب الشرقي. ومن المحتمل أيضاً أنَّ آل أبي عليان استقروا أولاً في الشماس نفسها قبل أن يقرروا تأسيس مستوطنتهم الخاصة في المنطقة القريبة، مع الاستمرار، في الوقت نفسه في الاستفادة من حماية رؤساء الشماس الأقوياء. ويلقى هذا الافتراض الأخير دعم الروايات الشفوية التي لدى عدد من كبار السن في بريدة وذكرها العبودي(٩٤). وتقول الروايات الشفوية إن الجماعة التي أنشأت بريدة جاءت من الشِّماس، وأنها دفعت الزكاة و«الفَضّة» لرئيس هذه المنطقة. وخلال فترة رئاسة حمود الدريبي من آل أبي عليان، بحسب القصص المروية، أصبحت مستوطنة بريدة قوية، وأصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها ضدّ البدو والسكان المستقرين، ولذلك توقفت عن دفع «الفَضّة»(٩٥). وتتحدّث الروايات الشفوية المحلية أيضاً عن صراع بين بريدة والشماس؛ ففي عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، حاصر شيوخ الشِّماس، بمساعدة رؤساء بلدة عنيزة وشيخ بدو الظفير، بريدة ولكن الغلبة كانت للدريبي(٩٦).

ويبدو أن آل أبي عليان أصبحوا مستقلين عن الشماس خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وقد ذكرت مستوطنتهم لأول مرة بواسطة المصادر في عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧ - ١٦٩٨م، عندما سطا عليها رئيس عنيزة ونهبها(٩٧). وهذا يشير إلى أن بريدة لم تظل في حماية الشماس لوقت طويل؛ ولكنها في الوقت نفسه لم تكن قوية بالدرجة الكافية التي تمكنها من الدفاع عن نفسها. ومن منتصف ذلك القرن، كما هو موضح أعلاه، فإن المجتمع الجديد كان قادراً على صدّ الهجوم المشترك لثلاثة من أعدائه.

---

(٩٤) المصدر نفسه، ص٤٦٦ - ٤٦٨.

(٩٥) لا يعتقد العبودي في أن حموداً الدريبي الذي ورد في الروايات الشفوية كان هو الشخص نفسه الذي ورد ذكره في المصادر المكتوبة على أنه قتل في عام ١١٥٤هـ. ويقترح أن الأول قد يكون جد الأخير. انظر: المصدر نفسه، ص٤٦٨ - ٤٦٩. ومع ذلك، فإنه يوضح في وقت لاحق أن الجدار الأول الذي بني حول المستوطنة كان قد شيّد من جانب حمود الدريبي الذي قتل في عام ١١٥٤هـ (ص٤٨٦ - ٤٨٧).

(٩٦) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص١٠٦.

(٩٧) المصدر نفسه، ص٨٩.

زادت عشيرة آل أبي عليان في العدد بحلول هذا الوقت، وبدأت تتنافس على قيادة مستوطنتها. كان هناك ثلاثة فروع مميزة داخل العشيرة في ذلك الوقت، وهي: آل دريبي، وآل حسن، وآل حجيلاني[٩٨]، ويبدو أن آل أبي عليان قد تألفوا من جماعات كثيرة حتى قبل أن يستوطنوا في بريدة، وأن هذه الجماعات الثلاث كانت هي الأكثر بروزاً على الإطلاق، وربما يفسر هذا، النموَّ السريع لقوة المستوطنة والصراع الشديد بين أهلها[٩٩]، وكذلك العدد الضخم من الأسر التي ادَّعت بأن أصلها من آل أبي عليان[١٠٠].

لقد زادت حدَّة الصراع بين رؤساء بريدة خلال الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري؛ ما استدعى تدخُّل سلطة الوهابيين الناشئة ورؤساء الأحساء، واستولى آل حسن ـ الذين أصبحوا حلفاء الوهابيين ـ على رئاسة بريدة وظهروا كأبطال للقضية الوهابية في القصيم[١٠١]. وفي نهاية هذا القرن، وعندما أحكم الوهابيون قبضتهم على القصيم، أصبحت بريدة المركز الإداري الإقليمي الخاص بهم، وأضحى شيخها حجيلان بن حمد من آل حسن واليهم في القصيم[١٠٢]، وخلال حكمه الطويل الذي ناهز الأربعين عاماً، توسَّعت بريدة وازدهرت[١٠٣]، ونافست شقيقتها القديمة عنيزة على مكانة البلدة الأقوى والأكثر نفوذاً ورخاءً في القصيم.

عناقر الجنوبية: كانت الأسرة الثالثة للزعامة التي انتمت إلى العناقر هي آل غنام في مستوطنة الجنوبية الواقعة في وادي سدير، وليس معروفاً متى وصلت عناقر الجنوبية إلى هذا الجزء من نجد. فربما قد استقروا في تلك

---

(٩٨) المصدر نفسه، ص١٠٥، وابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٤. لم تكن أسرة آل الحجيلاني ناشطة في سياسة المستوطنة في ذلك الوقت، لكن الذكير يذكر أن وفاة أحد زعمائها في عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م، مقتبسٌ من: العبودي، بلاد القصيم، ص٤٧٥.

(٩٩) مقبل الذكير، تاريخ الذكير (مخطوطة حفظت في المكتبة التابعة لجامعة بغداد، تحت عنوان «تاريخ مكة»)، ج ١، ورقة رقم ٣٠.

(١٠٠) وضع العبودي قائمة تضم ٢٢ أسرة معروفة بأسمائها المختلفة، لكنها تزعم أنها تنتمي إلى آل أبي عليان. انظر: العبودي، المصدر نفسه، ص٤٨٢، والجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص٦٢٠.

(١٠١) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٣٧ و١٤٠ ـ ١٤١، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص١١٥ ـ ١١٦.

(١٠٢) المصدران نفسهما، ص١٥٢ ـ ١٥٥، وص١١٩ ـ ١٢٠ على التوالي.

(١٠٣) العبودي، بلاد القصيم، ص٥١١ ـ ٥١٢.

المنطقة كمزارعين مشاركين للمالك في المحصول، أو تحت حماية أحد الرؤساء الأقوياء في سدير، مثل: رؤساء الحوطة، والروضة، وجلاجل.

وفي عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩١ ـ ١٦٩٢م، كان قد قُتل عدد من آل غنام في الجنوبية، واحتلت منطقتهم المستوطنة من قبل آل جمّاز الذين ينتمون إلى بني العنبر من بني تميم، وهم الأهل الأصليون لوادي سدير[١٠٤]. وفي عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م، أعاد رئيس جلاجل ـ الذي أخضع معظم مستوطنات وادي سدير لنفوذه في ذلك العام ـ آل غنام إلى رئاسة الجنوبية[١٠٥]. وفي هذا الوقت، أصبحت المستوطنة هدفاً لعدد من الهجمات من قبل عدد من رؤساء سدير الذين يبدو أنهم حوّلوها إلى ساحة قتال لخصومهم[١٠٦]. وعلى الرغم من أن دور آل غنام في تلك الصراعات لم يكن واضحاً في المصادر، فإن الجنوبية كانت إحدى الأماكن التي هاجر إليها العناقر، وقويت شوكتهم فيها بدرجة تمكّنهم من رئاستها.

نمو ثرمدا: كانت الأسرة المترئّسة لبلدة العناقر الأصلية، ثرمدا، طيلة النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي هي آل إبراهيم بن خنيفر. وكان ثمة جماعتان أخريان ـ آل جار الله وآل ذباح ـ تنافسان آل إبراهيم على حكم ثرمدا وبلدة مرات الصغيرة. ويبدو أن الجماعات الثلاث كانت مترابطة بدرجة كبيرة. ولكن مع بداية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، زاد النزاع والانقسام والتنافس بين جماعات العناقر في ثرمدا، وكانت على شفير جولة أخرى من الهجرة.

لقد ظهر نمو العناقر أيضاً من خلال الجهود التي قام بها شيوخها في توسيع نفوذهم إلى المستوطنات المجاورة، وليس معروفاً متى أخضعوا بلدة مرات الصغيرة لسيطرتهم. وقد ذكروا للمرة الأولى في المصادر كحكام في مرات في عام ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م[١٠٧]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت بلدة

---

(١٠٤) الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، ورقة رقم ٢٣؛ ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٧٦، والمنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص٦٨.

(١٠٥) الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٣٦ ـ ٣٧؛ ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٩٤.

(١٠٦) الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ٢٩، ٣٠ و٤٨.

(١٠٧) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢١٢، ٢٢٩ و٢٣٠ ـ ٢٣١.

أثيفية الصغيرة التي تقع على بعد عدة أميال شمال غرب من ثرمدا خاضعة هي الأخرى لسيطرة العناقر[١٠٨].

على صعيد متصل، نمت طموحات رؤساء عناقر ثرمدا إبان رئاسات بدّاح بن بشر (١١١٦ ـ ١١٣٦هـ/ ١٧٠٤ ـ ١٧٢٤م)، وإبراهيم بن سليمان (١١٣٦ ـ ١١٨١هـ/ ١٧٢٤ ـ ١٧٦٧م) من آل ناصر وهم فرع من العشيرة[١٠٩]، وخاض هؤلاء الرؤساء مواجهة مع البلدان المجاورة ثادق، ورغبة، وأشيقر[١١٠]. وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ إبراهيم بن سليمان كان أحد أكثر الحكام نفوذاً في نجد خلال انتشار الحركة الوهابية، كما أنه كان أحد خصومها اللدودين[١١١].

كانت هناك جماعات وأسر عناقر موزّعة في مختلف أقاليم نجد، ولم تكن تلك الجماعات حكاماً في مستوطناتها الجديدة؛ ولكن معظمها كانت من الأسر البارزة فيها، مثل آل منقور في سدير، وآل فقيه في ضرما الذين ذكر أنهم عاشوا هناك خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[١١٢]. لقد ترك أسلاف آل ريمان في الحريق، وأثيفية، ولاحقاً الكويت والبصرة وثرمدا عندما قُتل جدهم ريمان بن إبراهيم (رئيس البلدة) في عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م بواسطة آل ناصر[١١٣].

أخذت عشيرة عناقر ثرمدا في النمو منذ منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ولما كانت موارد بلدتها غير كافية لأعدادها

---

(١٠٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٨؛ الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٣٠ ـ ٣١، وابن خميس، **معجم اليمامة**، ج ١، ص٥٨ ـ ٥٩.

(١٠٩) ابن يوسف وابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ٤ و٢٢.

(١١٠) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٨، ٢٣١ و٢٣٩، وابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور).

(١١١) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٩٦، ٩٨، ١٠٥، ١٠٩، ١١٨ و١٢٦، والفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ص٤٨ ـ ٤٩ و٥٧.

(١١٢) ابن غنام، المصدر نفسه، ص٩٩، والمنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص١١.

(١١٣) حول جماعات عناقر التي تفرقت في المستوطنات النجدية المختلفة، انظر: ابن لعبون، **تاريخ ابن لعبون**، ص٢٢، والجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ص٦٣٤ ـ ٦٣٥.

المتزايدة، هاجر بعض جماعاتها إلى أماكن أصلح لها. وأسس هؤلاء المهاجرون العيينة وبريدة وهما من أكبر مستوطنات نجد في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، كما أنهم أسهموا بدرجة كبيرة في إعادة استيطان وإعادة إسكان وادي حنيفة وسدير والقصيم.

هجرة آل مزروع وآل حمّاد وإعادة استيطانهم

كانت الجماعة الثانية من بني تميم التي أسهمت في إعادة استيطان اليمامة خلال الفترة التي تشملها الدراسة هي آل مزروع وأنسباءهم، وآل حمّاد في وادي سدير ووادي بريك. وكما ذُكر سابقاً، فإن سدير كانت هي الموطن الأصلي لبني عمرو من بني تميم، الذين ينتمي إليهم آل مزروع وآل حمّاد؛ ولكن الكثير منهم تركوا هذه المنطقة خلال فترة غير معروفة لنا.

وتروي المصادر النجدية أن أسلاف آل مزروع، وهم أهل الروضة في وادي سدير، كانوا قد وصلوا هناك من قفار في جبل شمّر، واشترى جدهم مزروع التميمي موضع مستوطنة الروضة وقام بزراعته. وورث أبناؤه ـ سعيد، وسليمان، وهلال، وراجح ـ هذا الموقع وتكاثروا؛ حتى أصبح كل واحد منهم جدّ قبيلة[(١١٤)]، وسجّل مزروع التميمي على أنه الجدّ السابع لماضي بن محمَّد بن ثاري بن محمَّد بن مانع بن عبد الله بن راجح بن مزروع التميمي. وقُتل ماضي من قبل شريف مكة زيد بن محسن في عام ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م[(١١٥)]، وهذا يجعل فترة حياة مزروع التميمي وتاريخ تأسيس مستوطنته يقعان في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

شهدت مستوطنة الروضة توسعاً وتضاعفت ذرية مزروع، حتى أصبحت أربع منازل (قرى أو أحياء) منفصلة، وأُهّلت كل منها بقبيلة مختلفة، مثل: آل أبي راجح، وآل أبي هلال، وآل أبي سعيد، وآل أبي سليمان، وكل ذراري أبناء المؤسس الأربعة. وكانت المستوطنة مقسّمة لدرجة أن عالِمَيْن

---

(١١٤) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقتان ٨ ـ ٩؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٥٦، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٠٨.

(١١٥) المصادر نفسها.

نجديّين (توفيا في ١١٢٥هـ/١٧١٣م) كانا لديهما رأي أن إمام المنزلة الواحدة في الروضة يجب أن لا يؤمّ صلاة الجمعة في منزلة أخرى؛ نظراً إلى أن كل منزلة من تلك المنازل كانت تُعدّ منفصلة ويحكمها رئيس مختلف[١١٦].

كان الأكثر نفوذاً من هؤلاء الرؤساء يحاول، دائماً، توسيع سلطته إلى المنازل الأخرى، وطرد رؤسائها وتوحيد المستوطنة، ما تسبّب في صراعات مستمرة بين أسر الرؤساء، واستدعى، في النهاية، تدخّل رؤساء المستوطنات المجاورة، الذين وقفوا إلى جانب قبيلة أو أخرى من آل مزروع[١١٧]، وربما كانت المنافسة المدمرة هي أحد أسباب زيارة شريف مكة، الذي ذكرناه سابقاً، والذي قتل الرئيس الحاكم ماضي من آل أبي راجح، وطرد عشيرته من المستوطنة؛ ليعيّن رميزان بن غشّام من آل أبي سعيد رئيساً في عام ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م[١١٨].

كان هناك دليل آخر على نمو الروضة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وهو التوسع في أراضيها الزراعية، ووصولها إلى مناطق بعيدة عن مجرى السيل في الوادي. وقد أنشأ أهل الروضة بزعامة رميزان حكراً (حاجزاً) على مجرى وادي سدير مروراً ببلدتهم؛ من أجل رفع مستوى مياه الفيضان عندما يسقط المطر، ويغمر الوادي، وبهذه الطريقة، يمكن لمياه الفيضان أن تصل إلى مزارعها التي كانت أعلى بكثير من مجرى سيل الوادي، وقد رفعت مياه الفيضان المتجمّعة خلف المعبر أيضاً مستوى المياه في آبار البلدة، وجعلتها مملوءة بالمياه لمدة أطول. ويشار إلى أن إنشاء الحاجز كان ضدّ إرادة المستوطنات التي في أسفل الروضة؛ ولكن رميزان وشعبه كانوا أقوياء إلى الدرجة التي تمكنهم من الدفاع عن الحاجز. ولقد سجّل رميزان بناء الحاجز والقتال من أجل حمايته وازدهار بلدته في شعره الشعبي[١١٩]. وطيلة القرن الثاني عشر الهجري/

(١١٦) المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج ١، ص٦١ و١٣٣.

(١١٧) انظر أمثلة على الصراع الذي نشب بين رؤساء الروضة وكذلك التدخلات من جانب جيرانهم في: الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ١٢، ٢٨، ٣٧، ٣٨ و٤٦؛ ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، وابن عيسى، المصدر نفسه، الورقات ٦٢، ٨٠، ٩٤ و١٠٠.

(١١٨) ابن عيسى، المصدر نفسه، الورقة ٥٦.

(١١٩) ابن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، ج ٢، ص١٢٧ ـ ١٢٨، وج ٤، ص٢٨٧. انظر أيضاً: ابن خميس، **معجم اليمامة**، ج ١، ص٤٨٥ ـ ٤٨٦.

الثامن عشر الميلادي، استمرت الروضة في الازدهار وأصبحت إحدى أضخم المستوطنات، وأكثرها نفوذاً في سدير[١٢٠].

وتنتمي جماعة تحمل الاسم نفسه إلى آل حمّاد من سدير، وهاجرت من هناك إلى وادي بريك في منطقة الفرع جنوب الخرج. وتقول الروايات الخاصة بآل حمّاد أنه في بداية القرن الحادي عشر الهجري، تعرضت العبادل، وهي جماعة من بني تميم في وادي بريك، لضغط من قبل جيرانها الشماليين، آل عائذ من الخرج، وسعت العبادل للحصول على المساعدة من أنسبائهم من بني تميم في وادي سدير، الذين هبُّوا بقيادة شيخهم محمَّد بن سعود (الذي كان يلقب بهميلان) لمساعدة العبادل، فصدّوا آل عائذ، ثمّ أخضعوا العبادل وتولوا زعامة وادي بريك[١٢١].

ويعود ابن لعبون إلى إحدى الروايات التي تقول إن آل حمّاد من وادي بريك قد هاجروا أولاً من قفار إلى القارة في وادي سدير، ومنها إلى وادي بريك مرة ثانية[١٢٢]؛ ولكنه لم يحدّد أي تاريخ. جدير بالذكر أن رؤساء القارة لم يكونوا معروفين عندما تركها هميلان وعشيرته في بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. ومن منتصف القرن، كان يشار إلى رؤساء القارة بآل حُديثه[١٢٣]؛ ولكن العلاقة بينهم وجماعة هميلان ليست واضحة باستثناء أن كلتا الجماعتين تنتمي إلى بني عمرو من بني تميم، ويبدو أن عشيرة آل حمّاد كانت جماعة رئيسة في القارة، بل وربما كانت قسماً من رؤساء هذه المستوطنة الذين تنبؤوا بفرص مستقبلية أفضل في وادي بريك من بلدتهم، واندفعوا للسيطرة عليه.

هذا وليس من المعروف متى جاءت العبادل إلى وادي بريك، ولم يكن هذا الإقليم هو الموطن التقليدي لبني تميم، كما أنه لا صلة له بديارهم القبلية. وفي أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أُهِّلت هذه

---

(١٢٠) الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، الورقات ٣٠ ـ ٣١، ٣٦ ـ ٣٧ و٤٦ ـ ٤٧.

(١٢١) روايات آل حمّاد مقتبسة من تاريخ آل ماضي في: الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ص١٦٦ ـ ١٦٧. انظر أيضاً: ابن خميس، المصدر نفسه، ج ١، ص١٦٠ ـ ١٦٤.

(١٢٢) ابن لعبون، **تاريخ ابن لعبون**، ص٢٢.

(١٢٣) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٠٥، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٥٢.

المنطقة بآل مزيد[١٢٤]، الذين ربما انتموا إلى أهلها القدامى، بني بكر بن وائل. وقد نشط المستوطنون الجدد (آل حماد)، وشكلوا أغلبية السكان في مستوطنات في وادي بريك، مثل: الحلة، والحلوة، والقويع. وأعطى هؤلاء المستوطنون الإقليم، الذي لم يسكنه بنو تميم من قبل اسماً جديداً وهو حوطة بني تميم.

هجرة النواصر وإعادة استيطانهم: كانت الجماعة الثالثة من بني تميم التي مرَّت بنمط النمو العام نفسه، وبدأت بالهجرة هي النواصر من الفرعة في الوشم، وليس معروفاً متى استوطنت تلك الجماعة الفرعة ـ وقد ذكروا للمرة الأولى على أنهم كانوا يعيشون في تلك البلدة في عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م، عندما قام شيخهم بغارة مشؤومة على البلدة المجاورة أشيقر[١٢٥]. ويوضح تدوين محلي خاص بالأنساب أن الفرعة تنتمي إلى بني عدي، الذين كانوا أقرباء وهبة أشيقر ـ قبل استيطان النواصر هناك[١٢٦]. وفضلاً عن ذلك، فقد ورد ما يفيد بأن وهيباً جد وهبة قد تمَّ دفنه في الفرعة[١٢٧].

وتدلّ المحاولات المتكررة من سكان أشيقر للسيطرة على الفرعة[١٢٨]، والعلاقة الوثيقة بين سكان البلدتيْن القدماء وقرب المسافة بينهما (المسافة بينهما نصف ميل)، على أن الفرعة كانت ملكاً لأهل بلدة أشيقر الأكبر حجماً أو يسيطرون عليها. انتمى النواصر إلى بني عمرو، بطن من بني تميم، والذين شكلوا أغلبية السكان المستوطنين في قفار والمستوطنات الأخرى الواقعة في جبل شمر، ويُعتقد أن النواصر في الوشم (الفرعة) قد هاجروا من قفار[١٢٩]؛ ولكن تاريخ هذه الهجرة غير معروف.

---

(١٢٤) العمري، «العرب في القرن السابع (٣): من كتاب «مسالك الأبصار»،» ص٧٧٩.

(١٢٥) المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص٧٥، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٨١.

(١٢٦) كتب التدوين بواسطة عبد الله بن زاحم من القصب وورد ذكرها، في: الجاسر، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، ص٩٣٤.

(١٢٧) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٣٤٢ ـ ٦١٦.

(١٢٨) ابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، الورقات ٢ ـ ٤.

(١٢٩) انظر: علي الصالح، «أسر بني تميم في منطقة حائل،» **مجلة العرب**، السنة ١٦، العددان ٧ ـ ٨ (١٩٨١)، ص٥٧٠ ـ ٥٧٣.

وبسبب الانقسام الداخلي في عشيرتهم[١٣٠]، وكذلك التهديد الخارجي من جيرانهم في أشيقر ـ تركت جماعة من النواصر الفرعة بحثاً عن موطن جديد، واستقرت في المِذنب، وهو مكان يقع على بعد ١٨ ميلاً جنوب عنيزة في جنوبي القصيم. جدير بالذكر أن معظم المعلومات المتعلّقة بتطوير النواصر لمستوطنة المذنب سجّلها البسام في **علماء نجد** من خلال وثيقة كتبها المؤرخ ابن عيسى، وهو يروي أن المكان كان قصراً تسكنه جماعة تُسمى البواهل التي تعرضت لهجوم من رئيس يُسمّى السديري، وقد طلبت النجدة من إحدى العشائر من عنيزة وتُسمى الفضول (آل فضل) ضد السديري مقابل نصف ما يمتلكونه من القصر. وفي القرن العاشر الهجري، وصل شخص اسمه عبد الله بن إبراهيم (ويلقب بالخريدلي) من الفرعة، واشترى ما تبقى من نصيب البواهل في القصر. أما أخوه معجل وأبناء عمومتهم آل إبراهيم تبعوه واشتروا ممتلكات في المنطقة نفسها، واستمر وصول المزيد من جماعات النواصر في المذنب؛ للحصول على ملكية حتى امتلكوا المنطقة بكاملها، بما في ذلك نصيب الفضول أنفسهم. وتولى عبد الله الخريدلي الرئاسة، وخلفه ابنه إبراهيم الذي استقرت خلال عهده جماعات كثيرة في المذنب كجيران، وتوسعت المستوطنة نتيجة لذلك[١٣١].

ومثل ابن لعبون، يروي ابن عيسى أحاديث أهل المستوطنة الذين يدّعون أنهم من المستوطنين القدامى فيها؛ ولكن توجد أدلة أخرى تشير إلى أن تطوّر المذنب بواسطة النواصر كان متأخراً كثيراً عن التاريخ الذي أعطاه ابن عيسى، وهو القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. ويشار إلى أن أحد هذه الأدلة موجود في نص ابن عيسى نفسه، والذي يشير إلى أن خامس رئيس قد تولى الخلافة، وهو فهد الشامخ توفي في عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م[١٣٢]. ومن المستحيل أن يكون خمسة رؤساء فقط قد تولوا الحكم في المذنب عبر فترة تمتد لثلاثة قرون تقريباً.

لقد أصبح الفضول (آل فضل) من عنيزة، والذين يقول عنهم ابن عيسى إن البواهل دعوهم لمساعدتهم ضد السديري، رؤساء لبلدتهم في بداية القرن

---

(١٣٠) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٢٩.

(١٣١) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٦١٩.

(١٣٢) المصدر نفسه.

الثاني عشر الهجري، وقد قام زعيمهم فوزان بن حميدان بتوحيد مختلف مستوطنات عنيزة تحت رئاسة عشيرته آل فضل في نهاية القرن، وقُتل ابن حميدان في عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣ ـ ١٧٠٤م[١٣٣].

ويبدو أن أوائل عائلات النواصر قد وصلت المذنب تقريباً في بداية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وقد ورد ما يفيد بأن الشيخ عبد الله بن عضيب الذي ينتمي إلى النواصر قد حفر بئراً لمياه الشرب في المستوطنة قبل رحيله إلى عنيزة في عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨ ـ ١٦٩٩م[١٣٤]. ويقول ابن يوسف الذي عاش في أشيقر، وتوفي بعد عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م والذي يُعد ثقة في رواية أحداث الوشم في هذه الفترة، إن آل مشرّف في أشيقر قد أطاحوا بالرئيس إبراهيم بن حسين وابن عمه خريدل من الفرعة في عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م، وقد غادروا إلى المذنب، وفي عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م بمساعدة أقاربهم في المذنب هاجموا آل مشرّف وطردوهم من الفرعة. وقد دعا معجل الذي قام بزراعة حوطته في المذنب[١٣٥] أخيه خريدل وأعطاه نصف زرعه بشرط بقائه معه في المذنب، وظلّ إبراهيم بن حسين مع ذريته في الفرعة[١٣٦].

ويفيد خبر ابن يوسف أن عبد الله بن إبراهيم (خريدل) لم يكن أول النواصر الذين استوطنوا المذنب، كما يفيد أيضاً أن استقرارهم هناك كان متأخراً كثيراً عن التاريخ الذي حدّده ابن عيسى، وكان معجل أخو خريدل من المستوطنين الأوائل هناك. وقد أقنع معجل أخاه بالبقاء في المذنب، ربما لأنه توقّع نشوب صراع بين إبراهيم بن حسين وخريدل على رئاسة

---

(١٣٣) ابن مانع (في ابن عيسى)، ص٢٣٤.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص٢٣٩، ومحمد بن عبد الله بن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** (مخطوطة رقم ١٢٨٧ في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الصنيع؛ تم حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الرياض)، ص١٣٧.

(١٣٥) يوضح القاضي أن خريدل كان هو من دعا أخاه معجل إلى المذنب؛ انظر أيضاً: محمد بن عثمان القاضي، **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين** (القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٨٠)، ج ٢، ص٥٣.

(١٣٦) ابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، الورقات ٢ ـ ٣. يقول منصور الرشيد إن النواصر قد اشترت المذنب من قبيلة باهلة في عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م، لكنه لم يعط في الوقت ذاته المصادر الخاصة به. انظر: الرشيد، «قضاة نجد أثناء العهد السعودي،» ص٣٥.

الفرعة، وتولى خريدل زعامة المذنب؛ لأنه كان قد ثبّت نفسه سابقاً كقائد في الفرعة، وهذا لم يكن ليحدث قبل عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦ ـ ١٧٢٧م.

جذبت المذنب كثيراً من المستوطنين تحت رئاسة النواصر، وفي بداية القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، أصبحت المذنب قرية كبيرة ومحاطة بمزارع كثيفة من النخيل والأراضي الزراعية[١٣٧].

هذا وينتمي أهل الداخلة المستوطنة الصغيرة التي تقع على بعد مسافة قصيرة من الروضة في وادي سدير أيضاً إلى النواصر. غير أن مكانهم الأصلي، وتاريخ مجيئهم إلى الداخلة غير معروف في المصادر. وعلى الرغم من ذلك، فإنه يشار إلى أنهم كانوا قد استقروا هناك بموجب اتفاق المشاركة في المحصول (المزارعة) مع رؤساء الروضة. ولقد سجّل حميدان الشويعر في شعره أن نواصر الداخلة دفعوا ربع محاصيلهم لابن ماضي زعيم الروضة[١٣٨]. وعند شرحه لعبارة الشويعر، يقول يوسف البسام يعني أن الروضة ومحيطها كانت ملك آل ماضي، وأن النواصر زرعوا الداخلة بطريقة المزارعة[١٣٩]. ومن المؤكد أن آل ماضي أو أسلافهم قد قاموا بتأجير الداخلة للنواصر بعد أن أصبحوا ذوي نفوذ في المنطقة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

ومن الأرجح أن نواصر الداخلة قد جاؤوا من الوشم أو قفار؛ حيث تركزت عشائرهم في ذلك الوقت، وكانوا أول ما ذُكروا في الداخلة في شهر محرم عام ١٠٩٢هـ/كانون الثاني/يناير ١٦٨١م، عندما قُتل رئيسهم محمَّد بن بحر الناصري في تلك المستوطنة[١٤٠]. ويشار إلى أنه لم يكن لرؤساء الداخلة طموحات خارج مجتمعهم؛ ولكن علاقتهم برؤساء الروضة الأكثر نشاطاً وانقساماً أيضاً أقحمتهم في مزاحمة رؤساء المستوطنات المختلفة في سدير. وفي عام ١١١١هـ/١٦٩٩م، طلب قسم آل أبي راجح التابع لرؤساء الروضة المساعدة من رؤساء التويم ضدّ أبناء عمومتهم آل أبي هلال، وقد

(١٣٧) George F. Sadlier, *Diary of a Journey Across Arabia*, edited by F. M. Edwards (London; New York: The Oleander Press; Naples: Falcon Press, 1977), p. 87.

(١٣٨) الحاتم، *خيار ما يلتقط من شعر النبط*، ج ١، ص١٣٧.

(١٣٩) البسام، *الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت*، ص٣١٤.

(١٤٠) المنقور، *تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور*، ص٥٨.

احتل الحلفاء أولاً حصن الداخلة، وبعد ذلك هاجموا آل أبي هلال في الروضة، وطردوهم، واغتصبوا الرئاسة[١٤١]. ويبدو أن الداخلة كانت غنية بمزارع النخيل. ويُقال إن أحد القادة العسكريين المصريين، ويبدو أنه أراد معاقبة تلك المستوطنة، أقدم على قطع أكثر من ١٠٠٠ نخلة، وكان ذلك في عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م[١٤٢].

وعلى الرغم من الحقيقة القائلة إن مستوطنات النواصر، وهي: الفرعة والمذنب والداخلة لم تكن الأقوى أو الأكبر من بين المستوطنات النجدية، ولكنها، على الرغم من ذلك، تمثّل نمواً للسكان المستقرين في اليمامة والقصيم خلال الفترة محل الدراسة.

نمو الوهبة وهجرتهم: هناك جماعة رابعة من بني تميم نمت بسرعة خلال هذه الفترة ـ وهي الوهبة من بلدة أشيقر في الوشم، وتزعم تلك العشيرة الكبيرة التي أثمرت عدداً هائلاً من العلماء والقضاة منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ـ أنها منحدرة من محمَّد بن علوي بن وهيب، الذي ربما عاش خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[١٤٣].

وقد ازداد السكان من الوهبة في أشيقر بدرجة كبيرة خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وأصبحوا منقسمين إلى عدة عشائر؛ مثل: آل بسام بن منيف، وآل عساكر، وآل راجح، وآل ريس، وآل بسام بن عقبة، وآل مشرّف وآل ريس بن زاخر، وآل معضاد وآل محمَّد وآل خرفان[١٤٤]. وتجدر الإشارة إلى أن موارد المنطقة قصّرت في تلبية حاجات الزيادة السكّانية السريعة. وبحلول الربع الأخير من القرن، سُجّلت أول نزاعاتهم التي أدَّت إلى وفاة عدة أشخاص[١٤٥].

---

(١٤١) الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، ورقة رقم ٢٧.

(١٤٢) المصدر نفسه، ورقة رقم ١٠٨، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص٣٠٢.

(١٤٣) لقد احتُسِب هذا الافتراض بواسطة عدد من الأشخاص الذين هم من عمود النسب بين محمَّد بن علوي بن وهيب والعلماء من ذريته الذين عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من هؤلاء العلماء كانوا من ذرية حفيده الثالث عشر.

(١٤٤) انظر تدوين ابن عيسى حول نسب الوهبة؛ في: ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٢١٩ ـ ٢٢٨.

(١٤٥) المصدر نفسه، ص٦٥، وابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١. يذكر =

وخلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، حدث اثنا عشر نزاعاً رئيساً بين مختلف فروع الوهبة، وكانت أسباب تلك النزاعات، كما أخبر عنها، أحياناً هي خلافات حول آبار المياه، وقطع الأراضي، واستخدام حمى البلدة أو السيطرة على حي معين من البلدة[146]، وأحياناً كانت البلدة مقسمة إلى منطقتي نفوذ أو أكثر، وحكمت في كل منها عشيرة مختلفة من الوهبة[147].

وبعد كل نزاع كبير، كانت البلدة تفقد عدداً من أهلها، وفي بعض الحالات، كان الأفراد والجماعات الذين كانوا قد اضطروا إلى ترك البلدة بسبب تلك الخصومات، يعودون فور انتهائها. وفي حالات أخرى كانوا يعجبون بالمكان الذي كانوا قد هاجروا إليه، فيؤسسوا سكناً جديداً لهم، ويخبر الفاخري وابن عيسى عن حالات كهذه من الهجرات. وفي عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧ ـ ١٦٩٨م ـ وبعد ذبح أحد قادة آل محمَّد وتدمير محلتَيْن من البلدة ـ فرّ آل محمَّد وآل خرفان، وآل راجح من أشيقر. وبعد فترة قصيرة، عادت الجماعتان الأخيرتان مع أعداد قليلة من آل محمَّد، أما من بقي من آل محمد فقد تفرقوا في بلدات أخرى[148]. وبعد ذلك بستة أعوام، نشب خلاف آخر وقُتِل أناس أكثر، وقد تمَّ تدمير قسم آخر من البلدة، وهرب آل خرفان وآل راجح مرة أخرى، وبحلول نهاية العام عاد آل خرفان واستردّوا سوقهم (محلّتهم) في البلدة[149].

لقد أسفرت المنافسة المستمرة بين عشائر الوهبة الكثيرة عن خروج جماعات وعائلات كثيرة من أشيقر، وقد وجدت بعض هذه الجماعات موطناً جديداً لها في القصيم، وسدير، وأقاليم أخرى في اليمامة. هذا وقد

= ابن يوسف عملية زراعة ثلاث من مزارع النخيل في أشيقر خلال العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري (الورقتان ١ ـ ٢).

(١٤٦) حول تلك الخلافات والنزاعات، انظر الدراسات المعنية بالتسلسل التاريخي للأحداث لابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، والمنقور، والفاخري وابن عيسى بالنسبة إلى تلك الفترة.

(١٤٧) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٨٥ و١٠٣.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص٧٨؛ الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ورقة رقم ٢٦، وابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٢.

(١٤٩) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٢٩، وابن عيسى، المصدر نفسه، ص٨٤ ـ ٨٥.

كانت أولى الجماعات المسجّلة التي تركت أشيقر بصورة دائمة جماعة آل صقية من آل بسام بن عساكر التي رحلت في منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[١٥٠]. وطبقاً للروايات المتواترة عن العشيرة، انقسمت آل صقية إلى جماعتين بعد هجرتها من أشيقر؛ حيث ذهبت الجماعة الأولى باتجاه شمال القصيم، وأقامت مستوطنة الرسّ، وقبل حلول نهاية القرن، باعوها وتفرّقوا في مستوطنات أخرى في القصيم وجبل شمر، حيث استمر الكثير من عائلاتهم في السكن في هذه الأماكن[١٥١]. أما الجماعة الثانية فذهبت في اتجاه الشرق نحو إقليم المحمل، واستوطنوا في بادئ الأمر مستوطنات الدواسر التي تأسست حديثاً، مثل: البير، وثادق، والصفرّات. وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ارتحلوا مرة أخرى لتأسيس مستوطنات خاصة بهم. وفي عام ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م، أعادت جماعة واحدة من آل صقية زراعة منطقة قرّان مستوطنة بني حنيفة القديمة، والتي كانت معروفة في ذلك الوقت باسم القرينة[١٥٢]. وأسست جماعة أخرى مستوطنة صغيرة تسمى حليفة في وادي كنزة المتفرع من وادي قرّان[١٥٣]، وفشلت آل صقية في جذب مستوطنين آخرين؛ لذلك ظلت مجتمعاتها صغيرة.

أما الجماعة الأخرى من الوهبة التي تركت أشيقر فهي آل بريدي من آل مشرّف الذين استوطنوا مكاناً سمي باسمهم خب البريدي، وهو يقع على بعد ميلين غرب بريدة في القصيم. كان خب البريدي، عادة، مستوطنة مهمة ومكتظة بالسكان حتى الظهور السياسي لبريدة[١٥٤] خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. ومثل شقيقتها الشماس في

---

(١٥٠) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص٥٥٩.

(١٥١) المصدر نفسه. انظر تقاليد آل صقية رويت من قبل شخص من العشيرة، الشاعر، عبد الله بن علي بن صقية، في: الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ١، ص٤٩٠.

(١٥٢) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، ورقة رقم ١٢٢؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٧٥، والجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ١، ص٤٩٠.

(١٥٣) الجاسر، المصدر نفسه، ج ١، ص٤٩٠، وابن خميس، معجم اليمامة، ج ١، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(١٥٤) العبودي، بلاد القصيم، ص٨٤٩ ـ ٨٥٠.

الدواسر، يبدو أن مستوطنه خب البريدي قد فقدت سكانها وسلطتها السياسية أمام بريدة ذات النمو السريع.

وثمة قسم آخر من آل مشرّف استقر في مكان يطلق عليه الحريق، ويقع على بعد ١٥ ميلاً شمال شرق بلدتهم الأصلية أشيقر. وبحلول الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، بدأت عائلات آل يوسف، وآل بريد، وآل رشيد، وآل مغامس، وآل مويس في التنافس على رئاسة المستوطنة[١٥٥]. وفي بداية القرن التالي، زادت حدّة هذا الصراع واشترك فيه رؤساء مستوطنة القصب المجاورة[١٥٦]، وينتمي إلى آل مشرف أيضاً آل خليفة وآل عقيل الذين استوطنوا الشنانة وقصر ابن عقيل على التوالي[١٥٧]، اللذين يقعان بجوار الرس القصيم. وعلى الرغم من ذلك، فإن التواريخ الخاصة باستيطانهم هناك ليست معروفة.

لم تؤسس أغلبية قبيلة الوهبة، التي تركت أشيقر، مستوطنات خاصة بها؛ ولكنها هاجرت كأسر منفردة، وتفرقت في المنطقة المستوطنة من نجد. ولقد كانت أشيقر أهم مركز للتعليم في نجد قبل الوهابيين، وخرج من بين أهلها معظم علماء هذا البلد، وقد تركها الكثير من علماء الوهبة للعمل كقضاة في مستوطنات أخرى، واستمرت ذراريهم في الإقامة في مساكنهم الجديدة، وأصبحوا جماعات مهمّة بين السكان.

ومن أبرز أسر العلماء تلك المهاجرة كانت أسر آل بسام، وآل عبد الوهاب، وآل سليمان بن علي من آل مشرف الذين يقال إنهم عاشوا في العيينة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وينتمي إلى العائلة الأخيرة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب. أما أسرة العلماء الأخرى فكانت آل فيروز من آل بسام بن عقبة وسلفهم محمَّد بن عبد الوهاب بن فيروز الذي كان أول قاض في الكويت، والذي مات فيها في عام ١١٣٥هـ/

(١٥٥) المنقور، تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور، ص٥٥.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص٧٠ و٧٥؛ الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، الورقتان ٢٧ ـ ٢٨، وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٧٦ و٨١ ـ ٨٢.

(١٥٧) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٢٢٣.

١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م[١٥٨]، ومن ثَمّ انتقلت ذرية محمَّد بن عبد الوهاب بن فيروز إلى الأحساء؛ حيث أصبحت أسرة علماء كبيرة، والعائلة الأخرى التي تزخر بالعلماء والمتفرعة من الوهبة كانت آل شبانة التي يبدو أنها هاجرت إلى المجمعة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي[١٥٩]. وتقدِّم تراجم العلماء النجديين سجلّات حول علماء الوهبة قبل ظهور الحركة الوهابية في مثل هذه المستوطنات: مقرن، وحرمة، وعنيزة، وجلاجل، والعطار، وحريملا.

تفرقت قبيلة الوهبة على نطاق واسع عبر نجد والمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، ويعدّد النسّابة والمؤرّخ ابن عيسى (ت. ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، والذي كتب تدويناً حول نسب القبيلة، أكثر من ٦٥ عشيرة وأسرة توزعت في ٤٠ مكاناً خارج المستوطنة الأصلية أشيقر[١٦٠]. ومن المرجح أن يكون الكثير من هذه العشائر والأسر قد هاجرت إلى مساكنها الجديدة بعد ظهور الوهابيين؛ ولكن انتشارها الواسع يعطي فكرة حول نمو هذه الجماعة المميزة.

ويتّضح جلياً من تلك المحاولة الرامية إلى تتبع هجرة جماعات مختلفة من بني تميم وإعادة استيطانها ـ أن البلدات القديمة التي كانت آهلة بأفراد من هذه الجماعة القبلية، مثل: ثرمدا، وأشيقر، والقارة، وقفار ـ قد شهدت زيادة في عدد السكان من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وإذ إن الموارد الاقتصادية المحدودة لهذه البلدات لم تكن كافية لتوفير المعيشة والإقامة للعدد المتنامي من السكان. فإن التنافس والتشاجر بين السكان أصبح أمراً حتمياً، وقد طُردت الأسر أو مجموعات من الأسر من مدنها القديمة نتيجة الصراع وعدم كفاية الموارد بصفة عامة. وبدأت هذه

---

(١٥٨) عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨)، ص٣٢، والبسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص٨٩٤.

(١٥٩) يقول مؤلف علماء نجد أن أحمد بن شبانة الذي كان واحداً من علمائه الأوائل، قد ولد في المجمعة وعاش هناك إبان النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي (ص١٨٠ ـ ١٨١).

(١٦٠) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٢١٩ ـ ٢٢٨.

المجموعات في البحث عن أماكن أقل اكتظاظاً وقابلة للسُكنى والمعيشة بصورة أفضل. وتركز بنو تميم مبدئياً في مناطق الوشم وقفار في جبل شمر، والتي هاجروا منها إلى وادي حنيفة وسدير والقصيم؛ حيث أسسوا مستوطنات جديدة لهم، وأسهموا في زيادة سكان المناطق الموجودة.

نمو بني زيد من شقرا

شهد نمو السكان المستقرين في نجد، خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الوهابيين، زيادة أيضاً عن طريق استيطان الجماعاتِ التي لم تكن من الأهل التقليديين لهذا البلد. ولعلِ أكبر تلك الجماعات كانت بني زيد من شقرا في الوشم. وكما ذكرنا سابقاً، كان إقليم الوشم هو المسكن المعتاد لبني تميم. وقد ورد ذكر شقرا، على وجه الخصوص، بواسطة ياقوت على أنها مكان لبني عدي من بني تميم[(١٦١)]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أُشير إلى شقرا أيضاً في إحدى وثائق الوقف التي كتبت في عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، وقد جعل المتبرع الذي عاش في عقل (أشيقر) سكانَ الفرعة وشقرا مستفيدين من وقفه مع سكان أشيقر؛ حيث يقع الوقف. ويستدل عبد العزيز المبارك الذي درس الوثيقة، على نحو صحيح، على أنها تشير إلى أن الفرعة وشقرا كانتا موجودتين في ذلك الوقت، وأنه كانت هناك علاقة قوية بين أهلهما وأهل أشيقر[(١٦٢)].

ومثل الفرعة، فإن شقرا سكنها مستوطنون آخرون، ويبدو أن أهلها القدامى قد هجروها وهم بنو عدي، وحلَّ محلهم بنو زيد. وبحسب المرويات الخاصة بها وبحسب النسّابين النجديين، ينتمي بنو زيد إلى جماعة قبلية قديمة تُسمى قُضاعة في غرب الجزيرة العربية، ويقول مؤلف كتاب **علماء نجد** أن بني زيد أسّسوا مستوطنة شقرا وطوروها[(١٦٣)]. إلا أن تاريخ

---

(١٦١) شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، **كتاب معجم البلدان**، ١٠ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦)، ج ٥، ص٢٨١.

(١٦٢) عبد العزيز المبارك، «وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية،» **مجلة العرب**، السنة ٢، العدد ١ (١٩٦٧)، ص٥٥ و٥٧ ـ ٥٨. يرجع بعض نسّابي نجد الوهبة في أشيقر إلى الرباب من بني عدي، أهل الفرعة وشقراء القدامى؛ انظر: ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٢٠٧ ـ ٢١١.

(١٦٣) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٨١٦.

استيطانهم ليس معروفاً؛ ولكن لا بد من أنه كان بعد القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الذي تمَّت خلاله كتابة الوثيقة المشار إليها أعلاه، نمت شقرا وسكانها بدرجة قوية، وازدهرت بوصفها مستوطنة زراعية وسوقاً لبدو عالية نجد[١٦٤].

لقد هاجرت جماعات كثيرة من بني زيد خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي من شقرا إلى أماكن أخرى في عالية نجد؛ أي إلى القويعية والشعرا، والدوادمي التي تقع في جنوب وجنوب غرب مستوطنتهم. وبعد نزاع طويل مع السهول، وكما ذكرت الأخبار، اشترت قبيلة بدوية في المنطقة (بنو زيد) منطقة القويعية التي استوطنتها سابقاً في عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م[١٦٥]. وفي الوقت ذاته، فقد ورد ما يفيد بأن الشعرا تمَّ شراؤها من قبيلة بدوية أخرى[١٦٦]، واستوطنتها جماعة أخرى من بني زيد. ويبدو أن مصلحة بني زيد في تقوية علاقاتهم التجارية مع بدو عالية نجد دفعتهم إلى تطوير هذه المجتمعات الزراعية والتجارية في قلب بلدة البدو. وبظهور الوهابيين، كانت شقرا والقويعية مستوطنات رئيسة سكنية كل واحدة في إقليمها.

استيطان آل محفوظ في الرس

وثمة مثال ثانٍ لمستوطنة أسسها أشخاص غير نجديين، وهي الرس في غرب القصيم، ويقال إن تلك المستوطنة قد طُوِّرت في عام ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م على أيدي آل محفوظ من الجماعة القبلية التابعة لآل عجمان، الذين كانوا في ذلك الوقت لا يزالون يسكنون حول نجران مع أنسبائهم من بني يام. وتروي المصادر أن محمَّد أبي الحسين من آل محفوظ الذي قضى بعض الوقت في عنيزة قد اشترى المكان من آل صقية من بني تميم[١٦٧]،

---

(١٦٤) ابن خميس، معجم اليمامة، ج ٢، ص٥٧،

Sadlier, *Diary of a Journey Across Arabia*, p. 84.

(١٦٥) سعد بن عبد الله بن جنيدل، عالية نجد (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ص١٠٤٥ ـ ١٠٤٦.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص٧٦٤ و٧٩٧ ـ ٧٩٨، والبسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص١٥٠ و٤٤٠.

(١٦٧) البسام، المصدر نفسه، ص٥٥٩ و٧٦٤ ـ ٧٦٥، والعبودي، بلاد القصيم، ص١٠٢٦.

واستقطبت المستوطنة الكثير من الناس. وبحلول القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي نما آل محفوظ وجيرانهم، وصنِّف مجتمعهم بأنه من أكبر المجتمعات في القصيم. وتجدر الإشارة إلى أن قوة الرسّ قد اتضحت من خلال المقاومة العنيدة التي أبدتها تجاه الجيش المصري الذي حاربته في عام ١٢٣٢هـ/١٨١٧م(١٦٨).

استيطان الأساعدة في الزلفي

كان هناك في نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي وبداية القرن التالي، جماعتان متنافستان على رئاسة مستوطنة الزلفي، التي تقع على الحافة الشمالية لجبل طويق - وهما: آل محدث من بني تميم، والفراهيد من الأساعدة من عتيبة(١٦٩)، وقد أدّى النزاع بين هاتين الجماعتين إلى تدخل آل مدلج من بلدة حرمة الذين سيطروا على المستوطنة لفترة قصيرة(١٧٠). وليس واضحاً من المصادر أي الجماعتين كانت هي المستوطن الأصلي في الزلفي. وعلى الرغم من ذلك، فإن الحقيقة القائلة بأن آل محدث ينتمون إلى بني تميم الأهل التقليديين لهذا الجزء من نجد، وأن الفراهيد ينتمون إلى الجماعة القبلية من عتيبة التي عاشت في الحجاز في ذلك الوقت - تشير إلى أن الجماعة الأخيرة كانت هي الوافدة الجديدة إلى المكان، وربما استقروا كجيران مع آل محدث. ويقول مؤلف **علماء نجد** إن الأساعدة (الذين إليهم ينتمي الفراهيد) كانوا قد هاجروا إلى نجد من وادي رهاط شمال مكة؛ حيث لا يزال لديهم ممتلكات عقارية، وقد استوطن الأساعدة الزلفي، وأصبحوا رؤساءها، ومن هناك انتشروا إلى مواقع أخرى(١٧١).

وفي عام ١١١٣هـ/١٧٠١ - ١٧٧٢م، استعاد آل راشد من الفراهيد

---

(١٦٨) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص٢٥٧.

(١٦٩) المنقور، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور**، ص٦٣؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ١٩، ٢٨ و٣٥، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٧٢ و٨٢.

(١٧٠) الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ٢٥ و٢٨، وابن عيسى، المصدر نفسه، ص٨٢.

(١٧١) البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٧٢٦ - ٧٢٧.

رئاسة المستوطنة من آل مدلج من بلدة حرمة، واحتفظوا بها لباقي القرن. وبصرف النظر عن المنافع التي حققوها من إمكانياتها الزراعية، حقّق سكان الزلفي ازدهاراً من خلال النقل التجاري بين نجد والكويت والزبير والبصرة(١٧٢). وخلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، أضحت المستوطنة قوية إلى الدرجة التي تستطيع من خلالها الدفاع عن نفسها ضدّ الكثير من هجمات الوهابيين(١٧٣).

نمو البلدات النجدية القديمة

لم تزدد إعادة الإسكان في اليمامة والقصيم فقط من خلال هجرة العشائر والجماعات من أجزاء أخرى من نجد، أو أجزاء أخرى من الجزيرة العربية؛ ولكن أيضاً عن طريق نمو عدد من البلدات القديمة في هذه الأقاليم، خاصة خلال القرن الذي سبق ظهور الوهابيين، ولقد تمَّت مناقشة مسألة نمو ثرمدا والعيينة وأشيقر خلال هذه الفترة سابقاً. وثمَّة بلدتان قديمتان أخريان أظهرتا نمواً ملحوظاً خلال القرن نفسه، ويجب بحثهما من أجل إعطاء صورة كاملة للظروف الديمغرافية لنجد خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الوهابيين، وهاتان المدينتان هما: الرياض في وادي حنيفة، وعنيزة في القصيم.

الرياض

كما رأينا سابقاً، كيف أن مستوطنة بني حنيفة القديمة (حجر) اندثرت، وفقدت سكانها؛ بل وفقدت أيضاً اسمها بحلول القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وكانت مدينة حجر القديمة وبساتين النخيل فيها قد احتلت السهول الطينية التي يمرُّ بها وادي الوتر (المعروف الآن بوادي البطحاء)، قبل أن تنضم إلى وادي حنيفة. وعندما تفكّكت البلدة اختفت معظم بساتين النخيل فيها، وكذلك أحياؤها، وعادت إلى حالتها الأصلية، أعني مجرد سهول طينية (رياض؛ ومفردها روضة)، وهو الاسم الذي مُنح

(١٧٢) الذكير، **تاريخ الذكير** (مخطوطة)، ج ٢، ورقة رقم ١٥٨.

(١٧٣) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٩٩، ١١٤، ١٢٩ و١٤٨ ـ ١٤٩.

للمنطقة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي وبعد ذلك. وقد استخدم أهل الأحياء المتبقية من البلدة القديمة، مُقرِن ومعكال، هذه السهول الطينية، للرعي والزراعة الجافة الموسمية(١٧٤).

وخلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ظهرت مُقرِن كأقوى حي باق من أحياء حجر. وتشير المنافسة المستمرة بين سكانها على موقع الرئاسة، التي يتردد ذكرها في المصادر(١٧٥)، إلى نمو سكانها ونفوذها. وفي نهاية القرن، تولت الرئاسة أسرة جديدة وهي آل أبي زرعة، ويبدو أنه في ذلك الوقت، بدأ أهل مُقرن التوسع في الرياض، وقاموا بزراعتها طول العام؛ لأن كلا الاسمين، مُقرن والرياض، استخدمهما مصدران معاصران نقلا الحدثين اللذين وقعا في العام نفسه(١٧٦). كان المنقور هو أول مصدر يذكر الرياض بالاسم، وفي مخطوطة من تدوينه يقول: «وفيها أول ذي الحجة توفي الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان، وأخوه عبد الرحمن، ووقع في الرياض من العارض موت شديد سيما مقرن»(١٧٧).

ومن الواضح هنا أنه في نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، حلّ اسم الرياض محلّ مُقرن كاسم للمكان كله، وأصبحت مُقرن جزءاً أو حياً من أحياء الرياض. ولكلام المنقور دلاله خاصة هنا؛ لأن الشيخ ابن ذهلان كان شيخه، وسكن في مُقرن، ويقول المنقور إنه سافر خمس مرات للدراسة على يد الشيخ(١٧٨).

وفي عام ١١٤٦هـ/١٧٣٣م، قُتل رئيس الرياض (زيد أبي زرعة) تاركاً

---

(١٧٤) الشريف، مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، ص٩٢ ـ ٩٤، وابن خميس، معجم اليمامة، ج ١، ص٤٩٠.

(١٧٥) المنقور، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، ص٤٦ ـ ٤٧ و٦٥، وابن خميس، المصدر نفسه، ج ١، ص٤٩٠.

(١٧٦) يقول ابن ربيعة (ت. ١١٤٨هـ/١٧٣٥م): «في عام ١٠٩٩ استولى يحيى بن سلامة على مقرن»، (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٩. يشير المنقور (ت. ١١٢٥هـ/١٧١٣م) إلى أنه: «وفي سنة تسع وتسعين (وألف)... وفيها مرض الرياض، ومات الشيخ عبد الله وأخيه [وأخوه] عبد الرحمن» (ص٦٥).

(١٧٧) المنقور (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٧.

(١٧٨) المنقور، تاريخ الشيخ أحمد بن محمَّد المنقور، ص٦٤.

وريثاً صغيراً، وقد استولى مولاه، الذي يُسمى خُميّس، على حكم البلدة، وبعد ذلك بأربع سنوات، هرب خُميّس، وتولّى الحكم أخو زوجة الرئيس الراحل دهام بن دوّاس بحجة أنه كان الوصي على ابن أخته الصغير.

وينتمي دهام بن دوّاس إلى آل شعلان، رؤساء منفوحة، التي تقع على بعد ميل واحد جنوب الرياض، وبعد وفاة والده الذي كان شيخاً في منفوحة، تمَّ طرد دهام وإخوته ولجؤوا إلى الرياض ومعهم أختهم وزوجها.

وقد أصبحت الرياض، خلال عهد ابن دوّاس بلدة قوية ومزدهرة، ولقد بنى ابن دواس سوراً ضخماً يحمي أحياء البلدة المختلفة، وقد بنى أيضاً قصراً منيعاً لأمراء نجد وأئمتها حتى عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، عندما دمره ابن رشيد الذي ينتمي إلى حائل[(١٧٩)].

ومن سوء طالع ابن دواس أنه كان خصماً عنيداً ومعاصراً للسلطة الناشئة للحركة الوهابية، ولقد تحدّاهم وقاتلهم لمدة ثمانية وعشرين عاماً، حدثت خلالها بين الجانبين ٣٥ مواجهة مختلفة، وقتل فيها ٤,٠٠٠ شخص[(١٨٠)]. وفي عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، هرب ابن دواس من الرياض مع عدد كبير من أهلها، وسيطر الوهابيون على المدينة التي ظلّت مهزومة حتى ظهور الدولة السعودية الثانية عندما تبوأت مكانتها كعاصمة لنجد.

عنيزة

تُعد منطقة عنيزة إحدى أقدم البقاع المستوطَنة في القصيم، ووردت أخبار عن جماعة مهمة من أهلها (آل جرّاح من الرباب) قيل إنها كانت قد استقرت هناك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[(١٨١)]. ويبدو أنه كان هناك جماعة أخرى (آل جناح من بني خالد) قد استوطنت القسم الشمالي من المنطقة حتى قبل جيرانهم آل جرّاح[(١٨٢)]. وتطوّرت المستوطنة

---

(١٧٩) الشريف، **مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن**، ص٩٥.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص٩٥ ـ ٩٩، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص٧٦ ـ ٧٧.

(١٨١) ابن مانع (في ابن عيسى)، ص٢٣٢، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٢٥٣.

(١٨٢) يذكر ابن فضل الله العمري (ت. ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) أن آل جناح ينتمون إلى بني خالد الذين وَصَفهم بأنهم يعيشون في عدد من الأماكن في القصيم. كانت عنيزة واحدة من تلك الأماكن. انظر: أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري: «العرب في القرن السابع (٢): من كتاب =

في شكل تجمّعين لمنازِل صغيرة: الجناح في الشمال، وعنيزة في الجنوب. وفي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، تفوّقت عنيْزة على شقيقتها الجناح. وقد استقرّ العالم الشهير شمس الدين محمَّد الجَزَري الذي ترك شيراز في عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م ـ لأداء فريضة الحج إلى مكة ـ في عنيْزة. وبعد مغادرته المكان عرض له البدو ونهبوا ما معه وأجبر على العودة إلى عُنيْزة؛ لتحصيل كتبه وترقيع حاله لسفره التالي[١٨٣]. وهذا يشير إلى أن عنيزة، وليست الجناح، كانت محطة القوافل في ذلك الوقت.

وبحلول القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، شهدت عنيزة توسعاً، وأصبحت أربع مستوطنات منفصلة لكل منها سورها؛ وهي: الضبط، والخريزة، والمُليحة، والعقيلية[١٨٤]. وجذب ازدهار البلدة اهتمام شريف مكة الذي انتهب العقيلية ونكّل بأهلها في عام ١٠٩٨هـ[١٠٩٧هـ]/ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧[١٨٥]. وفي بداية القرن التالي، تمَّ توحيد مستوطنات عنيزة المختلفة تحت إمارة فوزان بن حميدان من آل فضل من آل جرّاح. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الوحدة كانت قصيرة المدة، وبدأت عشائر عديدة من آل جرّاح في التنافس مع بعضها بعضاً. وفي الوقت نفسه، بدأ شيوخ آل جناح الهجوم على عنيزة، وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، دخلت عنيزة في فترة سلام ورخاء (ركدة)، وأصبحت تعيش في رغد من العيش، وخلال هذه الفترة تنوّعت المزروعات فيها[١٨٦].

= «مسالك الأبصار»،» مجلة العرب، السنة ١٦، العددان ٧ ـ ٨ (تشرين الثاني/نوفمبر ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨١)، ص٦١٣، و«العرب في القرن السابع (٣): من كتاب «مسالك الأبصار»،» ص٧٧٧. يقول ابن مانع إن مستوطنة عنيزة قد ظلت لمدة ٢٥٠ عاماً بعد تأسيسها كمستوطنة تابعة لآل جناح؛ انظر أيضاً: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٢٣٢.

(١٨٣) محمد بن أحمد الفاسي، العقد الثامن في تاريخ البلد الأمن، تحرير فؤاد سيد (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٥)، ج ٤، ص١٣٨.

(١٨٤) ابن مانع (في ابن عيسى)، ص٢٣٣.

(١٨٥) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٧٠ و٢٣٣.

(١٨٦) المصدر نفسه، ص١٠٨، والبسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقات ٧٧ ـ ٧٩.

ويبدو أن عدد سكان عنيزة إبان تلك الفترة كان قد ازداد؛ إذ ترك عدد من الجماعات البلدة ليقيموا مستوطناتهم الخاصة في أماكن أخرى في القصيم. وكانت إحدى هذه الجماعات آل أبي غنام التي انتقلت باتجاه الغرب؛ لتؤسس مستوطنة الهلالية في بداية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي[187]. وثمة جماعة أخرى وهي آل عفالق التي انتقلت في عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧ ـ ١٧٢٨م، لتأسيس بلدة الخبرا[188] على بعد ١٣ ميلاً شمال غرب بلدتهم القديمة. وبنهاية القرن أصبحت الهلالية والخبرا قريتيْن كبيرتيْن ومزدهرتيْن، وكان هذا واضحاً من مقاومتهما للتوسع الوهابي في القصيم[189].

وثمة دليل آخر على نمو عنيزة؛ إذ احتاج سكانها إلى قاضٍ ومعلّم لنشر العدل وتعليمهم المبادئ الدينية والواجبات، ولذلك طلبوا من الشيخ عبد الله بن عضيب الناصري (ت. ١١٦١هـ/١٧٤٨م) من المذنب في عام ١١١٠هـ/١٦٩٨م القدوم إليهم، وكان أول عالم يعيش في القصيم كلها، وأصبح معلّم الكثير من العلماء المميزين من بين سكان هذه المنطقة[190].

لم تكن الرياض وعنيزة المستوطنتين النجديتين القديمتين الوحيدتين اللتين تشهدان هذا التوسع والنمو خلال تلك الفترة، وكانتا من بين أوضح الأمثلة التي توجد لها سجلّات، وربما اشتركت المستوطنات الأخرى القديمة والجديدة في هذا النمو العام والبروز؛ ولكن المعلومات المتاحة حولها كانت نادرة.

هجرة النجديين إلى شرقي الجزيرة العربية وجنوبي العراق

كان نمو السكان النجديين يظهر أيضاً في هجرة الجماعات والأفراد إلى الساحل الشرقي للجزيرة العربية والعراق، خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي والقرون التالية. ويبدو أن عدداً كبيراً من أهل نجد قد أجبروا على التوجّه إلى هذه البلاد بسبب الزيادة السكانية والفقر والحروب

---

(١٨٧) العبودي، **بلاد القصيم**، ص٢٥٦١ ـ ٢٥٦٢.

(١٨٨) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص١٠١، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص١٦٣ و٨١٨.

(١٨٩) المصدر نفسه، ص١١٤، وابن غنام، **تاريخ نجد**، ص١٥٣.

(١٩٠) ابن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، ورقة رقم ١٣٧؛ ابن مانع (في ابن عيسى)، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٥١٧ ـ ٥٢٠.

والمجاعة. وقد كانت البلاد محل النقاش، خاصة، الأحساء بمرتبة ملجأ للنجديين عبر العصور، ولم تكن كذلك من قبل، إلا في بداية الفتح الإسلامي؛ حيث شكّلوا جماعات مميزة أو أسسوا مستوطنات منفصلة هناك[١٩١].

هجرة العتوب إلى شرقي الجزيرة العربية

لقد ناقشنا هجرة عشائر العتوب الكثيرة أو بني عتبة من مواطنهم في الأفلاج في جنوبي اليمامة في نحو منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ـ واستيطانها الكويت بعد ذلك بنصف قرن ـ في السطور السابقة[١٩٢]. أسست عشائر العتوب مستوطنة الكويت تحت حماية شيخ بني خالد من الأحساء. واشتغلت عشائر العتوب في الصيد وتجارة اللؤلؤ، ونمت مستوطنتها نمواً سريعاً، وجذبت المزيد من المهاجرين. يصف نيبور، الذي زار المنطقة في عام ١٧٦٥م (١١٧٨ ـ ١١٧٩هـ)، الكويت أنها مدينة صاخبة، وفيها نحو ٨٠٠ قارب يعمل في صيد الأسماك والتجارة[١٩٣].

وفي عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م، تركت عشيرة آل خليفة، وهي إحدى عشائر العتوب، الكويت، قاصدة اتجاه الجنوب لتأسيس مستوطنة الزبارة على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر[١٩٤]، ويبدو أن هجرة آل خليفة وأتباعهم كانت، من ناحية، بدافع الاختلاف مع أقربائهم (آل صباح)، الذين استولوا على حكم الكويت، ومن ناحية أخرى، بدافع رغبتهم في إيجاد قاعدة أكثر ملاءمة لهم يمكنهم من خلالها تطوير مهنة صيد اللؤلؤ والتجارة مع الأحساء ونجد. كان التحقيق السريع لهذه الأهداف يظهر بشكل صريح في النمو الهائل

---

(١٩١) وقد تمت مناقشة هجرة الجماعات القبلية البدوية النجدية إلى جنوب العراق ودوافعها سابقاً، وبالتحديد في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(١٩٢) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب؛ حيث تمت مناقشة هجرة الدواسر واستيطانهم. ولمناقشة أكثر تفصيلاً ولمزيد من المعلومات حول هجرة جماعات العتوب، وتأسيس مستوطناتها ونموها على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، انظر: الرشيد، **تاريخ الكويت**؛ سيف مرزوق الشملان، من تاريخ الكويت (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩)؛
Ahmad M. Abu Hakima, *History of Eastern Arabia 1750-1800: The Rise and Development of Bahrain and Kuwait* (Beirut: Khayats, 1965), and John Gordon Lorimer, *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia.*

(١٩٣) Carsten Niebuhr, *Travels through Arabia and Other Countries in the East*, 2 vols. (Edinburgh: R. Morison and Son, 1792), vol. 2, p. 127.

(١٩٤) Abu Hakima, Ibid., pp. 65-68, and Lorimer, Ibid., vol. 1, pt. 1, pp. 787-788.

للزبارة، وهو ما نبّه الأطراف الرئيسة المهتمة بصيد اللؤلؤ والتجارة في الخليج؛ أي الإمارات العربية الواقعة على الساحل الشرقي للخليج وسادتها الكبار، والفرس[(١٩٥)]. بلغ الصراع بين إمارات أبي شهر وبندر رق وبني كعب، من ناحية، والمستوطنات الجديدة ـ العتوب والكويت والزبارة على الساحل الغربي للخليج من ناحية أخرى ـ ذروته في الحرب التي اندلعت من أجل السيطرة على جزيرة أوال (البحرين) في عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م، وكان الفوز من نصيب العتوب في هذا الصراع. وفي نهاية القرن وبضغط من الوهابيين، نقل آل خليفة مركزهم من الزبارة إلى الجزيرة التي فازوا بها حديثاً[(١٩٦)].

نشطت مستوطنات العتوب كموانئ حرة، وقد جذبت جزءاً كبيراً من تجارة الترانزيت الآتية من الهند، والمتجهة إلى الشام، وكذلك التجارة الذاهبة إلى داخل الجزيرة العربية. وقد حوّل التجار، الذين أرادوا تجنب الرسوم الجمركية المرتفعة في مسقط أو البصرة أو بغداد، أجزاءً من بضائعهم إلى الكويت أو الزبارة؛ حيث لا يتمُّ دفع الرسوم من جانبهم[(١٩٧)]. وفضلاً عن ذلك، استفادت مستوطنات العتوب بدرجة كبيرة من اضطراب تجارة الترانزيت خلال الاحتلال الفارسي للبصرة (١١٨٩ ـ ١١٩٣هـ/ ١٧٧٥ ـ ١٧٩٩م)؛ لذلك فإن نسبة مهمة من التجارة المتجهة إلى الشام وتركيا مرّت عبر الكويت[(١٩٨)]، وبعد استيلائهم على البحرين، أصبح العتوب أكثر جرأة وأكثر ثراء إلى الحد الذي يستطيعون معه إنشاء أسطولهم المستقل، وقد قاموا بشراء سفن ضخمة أبحرت إلى الهند؛ حيث تبادلوا اللؤلؤ مقابل السلع الهندية والأوروبية. وقد يعطينا جزء من «تقرير حول تجارة الجزيرة العربية وفارس» الذي جمعه صاموئيل مانستي (وكيل) وهارفرد جونز (وسيط تجاري) ـ في شركة الهند الشرقية في البصرة في عام ١٧٩٠ ـ فكرة حول أهمية العتوب ونفوذها في هذه المنطقة. يقول التقرير:

---

(١٩٥) Abu Hakima, Ibid., pp. 88-89, and Lorimer, Ibid.

(١٩٦) Abu Hakima, Ibid., pp. 110-115.

(١٩٧) Lorimer, Ibid., vol. 1, pt. 1, p. 1004.

(١٩٨) المصدر نفسه، ص١٠٠٣، و

Jerome A. Saldanha, *Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events, 1600-1800 AD* (Calcutta: Superintendent of Government Printing, 1908), p. 405.

... شيخا [الكويت وزبارة] رجلان يتمتعان بشخصية ثابتة وقوية، وبذلوا قصارى جهدهما لتحقيق النجاح لقبيلتهما التي تتمتع باحترام كبير ومهابة في الخليج العربي؛ ولذلك أصبحوا من أقوى العرب الذين يبحرون فيه. السفن والقوارب التابعة لهم ضخمة وكثيرة، وقد استحوذوا على كل الشحن البحري الذي يتمُّ بين مسقط والموانئ الواقعة على الشاطئ العربي للخليج، وأصبحوا جزءاً مهماً ورئيساً من تجارة الشحن التي تتمُّ بين مسقط وبوسورا [البصرة]. وتشبه حكومة الكويت وجبارا (الزبارة) والبحرين من حيث الاحترام والصرامة والعدالة حكومة مسقط[١٩٩].

ويوضح هذا التقرير أيضاً أن تجارة البحرين والزبارة والقطيف زادت بشكل مهم وكبير بعد استحواذ العرب على البحرين (العتوب)؛ حيث إنهم زودوا أنفسهم بالسفن المناسبة للقيام بالرحلات البحرية من هناك إلى الهند، وتمَّ توزيع السلع القادمة من الهند ومسقط والبصرة من هذه الموانئ على بلدان بني خالد (الأحساء) وبلد الوهابيين (نجد)[٢٠٠].

وقد زادت الأنشطة التجارية لمسقط، وحضور الدول الأوروبية - بريطانيا وهولندا وفرنسا - بدرجة كبيرة في الخليج خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي والقرون التالية، ويبدو أن تلك الأنشطة حفّزت على ظهور قوة العتوب، وتأسيس مستوطناتهم البحرية في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[٢٠١].

وإذا كان نمو السكان في نجد قد دفع عشائر العتوب إلى الساحل، فإن العامل نفسه هو الذي أسهم أيضاً في نجاحها التجاري، وتحويل تجارة الخليج من شاطئها الشرقي إلى الغربي منه. وظهرت نجد المكتظة بالسكان، على نحو متزايد، كسوق لبعض السلع التي كانت تُنقل عبر الخليج.

---

(١٩٩) Saldanha, Ibid., p. 409.

(٢٠٠) المصدر نفسه، ص٤٠٨. انظر رحلات في:
James S. Buckingham, *Travels in Assyria, Media, and Persia* (London: Henry Colburn, New Burlington St., 1829) [reprinted: Gregg International Publishers, 1971], pp. 452-453, and Lorimer, *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia*, vol. 1, pt. 1, pp. 837-838 and 841.

(٢٠١) Abu Hakima, *History of Eastern Arabia 1750-1800: The Rise and Development of Bahrain and Kuwait*, pp. 27-32.

هجرة النجديين إلى جنوبي العراق

وثمة بلدة أخرى أسسها المهاجرون النجديون؛ وهي الزبير التي تقع على بعد ٨ أميال من البصرة إلى الجنوب الغربي، على الموضع السابق لهذه المدينة، وكان موقعها محطاً لمجتمع القوافل التجارية القادمة من البصرة والمتجهة إلى الشام[٢٠٢]. ولا بد من أن هذا المكان قد عُمِر مرة أخرى بعد منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، عندما حكم العثمانيون البصرة، وبنوا مسجداً على قبر الزبير بن العوام أحد صحابة النَّبيِّ محمَّد[٢٠٣].

ويبدو أن أوائل النجديين الذين أصبحوا الأغلبية الساحقة من سكان البلدة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، قد وصلوا هناك في بداية القرن السابق، ويعتقد أن جامع النجادة (مسجد النجديين) تمَّ بناؤه في عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤ ـ ١٥٩٥م أو ١٠٠٧هـ/١٥٩٨ ـ ١٥٩٩م[٢٠٤]. وصف أحد الرحالة الإنكليز، وهو في طريقه إلى الهند في عام ١١٦٤ ـ ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م، الزبير بأنها «بلدة عربية بسيطة، وتتكون من منازل كثيرة أو أكواخ، وتحتوي على ستمئة أو سبعمئة شخص»[٢٠٥]. وقد نما سكان البلدة نمواً كبيراً خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي؛ بسبب الهجرة المستمرة من نجد. ويُقال إن نحو ٦٠٠٠ من أهل البلدة قد قضوا نحبهم عندما ضرب البصرة ونواحيها طاعون في عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م[٢٠٦].

ومثل شقيقتيها الكويت والزبارة، ازدهرت الزبير على الصفقات التجارية

---

(٢٠٢) ابن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، ج ٥، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، والبسام، **الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت**، ص٩٤.

(٢٠٣) البسام، المصدر نفسه، ص٣٣ و٦٣. لم يذكر نعمان بن العراق الزبير بين القرى العديدة التي كانت تحيط بالمدينة في منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بل خصص فصلاً كاملاً لقرى البصرة. انظر: نعمان بن محمد بن العراق، **معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر**، حققه عن نسخة فريدة محمد حميد الله (باكستان، إسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٣).

(٢٠٤) البسام، المصدر نفسه، ص٦٣.

(٢٠٥) Douglas Carruthers, ed., *The Desert Route to India Being the Journals of Four Travellers by the Great Desert Caravan Route between Aleppo and Basra 1745-1751* (London: The Hakluyat Society, 1928; reproduced by Kraus Limited), [reprint: Wiesbaden, Germany, 1969), p. 174.

(٢٠٦) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقتان ٥٩ ـ ٦٠، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص٧٧ ـ ٧٨.

وأعمال النقل، واستفادت أيضاً بدرجة كبيرة من ارتباط التجارة المحوّلة إلى الشام لتجنّب الرسوم الجمركية في البصرة(٢٠٧). وقد حقّق نجادة الزبير (المهاجرون النجديون في جنوبي العراق) ثروة كبيرة من تجارة الترانزيت، وفي نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، بدأ هؤلاء المهاجرون في التحرك نحو البصرة، وتملك مزارع النخيل، وإنشاء المراكز التجارية. وفي بداية القرن التالي، بدأ رئيس الزبير بالتحكّم في متسلّم البصرة العثماني، فأغضب هذا التدخل السلطات العثمانية. وقبل منتصف القرن، ذبح الكثير من التجار النجادة، أو تمّت مصادرة ثرواتهم، ومن ثمّ فروا إلى الكويت(٢٠٨).

اتّخذ النجديون أيضاً من بغداد وجهة لهم؛ حيث عملوا هناك باعة متجوّلين وتجاراً و«جماميل» (أي الذين ينقلون البضائع على ظهور جمالهم في القوافل، والحماة لها)، وكان يطلق عليهم، على نحو جماعي، «عقيل». وقد نظّم هؤلاء النجديون القوافل التجارية التي نقلوها من بغداد إلى دمشق وحلب، وكذلك قوافل التجارة والحج إلى الجزيرة العربية(٢٠٩). ميّز «العقيل» أيضاً أنفسهم كقوة عسكرية لها مكانتها في بغداد، كان الأتراك المتنافسون على باشوية هذه المدينة يطلبون، دائماً، مساعدتهم. وفضلاً عن ذلك، جند باشوات بغداد أحياناً فرقاً عسكرية مسلحة كبيرة من «عقيل» في حملاتهم ضدّ المتمردين والبدو(٢١٠).

---

(٢٠٧) Saldanha, *Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events*, 1600-1800 AD, p. 411.

حققت الزبير ذروة نموها وازدهارها في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، عندما استوطن مزيد من المهاجرين هناك بعد دمار الدولة السعودية الأولى، وحالة الارتباك والتشويش التي تلت ذلك.

(٢٠٨) أحمد نور الأنصاري (ت. ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م في البصرة). انظر: أحمد نور الأنصاري، «النصرة في أخبار البصرة،» تحقيق يوسف عز الدين، مجلة المجمع العلمي العراقي، السنتان ١٧ ـ ١٨ (١٩٦٩)، ص٢٠٢ ـ ٢٠٤. لمزيد من المعلومات حول نجادة البصرة، انظر:

Buckingham, *Travels in Assyria, Media, and Persia*, pp. 370-371, and Lorimer, *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia*, vol. 1, pt. 1, pp. 1313-1324.

(٢٠٩) John L. Burckhardt: *Notes on the Bedouins and the Wahabys*, p. 233, and *Travels in Arabia* (reprint from the London: Henry Colburn, 1829) (Beirut: Librairie du Liban, 1972), p. 463.

(٢١٠) مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمّى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود، اختصره أمين بن حسن الحلواني المدني (بومباي: المطبعة الحسينية، ١٨٨٦)، ص١٠ ـ ١١، ١٦، ٤٦، ٥١، ٥٨ و٦٠؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٣٥)، ج ٦، ص٧٦، ٩٩، ٣١١ و٣٢١؛ ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص١٠٠، ٢٠١، ٢١٨ و٢٥٢ ـ ٢٥٣، و

Burckhardt, *Travels in Arabia*, p. 233.

ولا يتضح من المصادر المتاحة لهذه الدراسة متى بدأ النجديون الهجرة إلى جنوبي العراق بهذه الأعداد. ويبدو أن أعدادهم وقوتهم زادت في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وفي عام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م، كان «العقيل» في بغداد أقوياء بالدرجة الكافية لفرض السلام على المتنازعين على باشوية بغداد، حتى وصل التأكيد من إسطنبول لأحدهما ليتولى المنصب[٢١١]. وإلى ذلك، يبدو أن الكثير من «عقيل» بغداد ونجادة البصرة والزبير قد تركوا نجد تحت وطأة ضغوط قوة الوهابيين الناشئة.

وعلى الرغم من ذلك، من غير المعقول أن المهاجرين النجديين كانوا قد استطاعوا بناء قاعدة اقتصادية كهذه وقوة سياسية في مدة قصيرة كهذه، ومن ثَمّ فإنه من المؤكد أن هجرة النجديين إلى جنوبي العراق وبغداد بدأت من مدة طويلة قبل ظهور الوهابيين؛ إذ إن التوسّع الوهابي، وتدمير النظام الجديد بواسطة الجيوش المصرية ـ وهو النظام الذي كانوا قد أدخلوه ـ ساعدا ببساطة على تسريع العملية.

ويمكن استخلاص النتائج التالية من المناقشة المقدّمة في هذا الفصل حول تطور السكان النجديين المستقرين، وظهور الكثير من جماعاتهم المستقرة ومستوطناتهم وسقوطها خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية.

ولأسباب غير معلومة لنا، بدقة، فقدت نجد عدداً كبيراً من سكانها المستقرين ومستوطناتها خلال الفترة التي تلت القرون الثلاثة الأولى من العصر الإسلامي. ومع حلول منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، كانت أقاليم الأفلاج والخرج ووادي حنيفة وسدير والقصيم غير مأهولة بالسكان تقريباً، وانخفضت أعداد بني حنيفة وبني تميم، أكبر جماعتين قديمتيْن مستقرتيْن في نجد، واحتلوا قرى وبلدات قليلة فقط. ضمت الجماعة الأولى الدروع وآل يزيد الذين احتلوا مستوطنات حجر والجزعة والوصيل والنعمية، في حين تركزت الجماعة الثانية في بلدات أشيقر والفرعة وثرمدا في الوشم والقارة في سدير وقفار في جبل شمر،

---

(٢١١) مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمّى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود، ص١٠.

ويشار إلى أن الأفلاج والقصيم كانت الأقل سكاناً إبان تلك الفترة.

ومنذ منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، بدأت حركة واضحة ولكنها مع ذلك تدريجية، لإعادة الاستيطان وإعادة الإسكان في أقاليم نجد المستقرة، وكان أكبر المساهمين في تلك العملية جماعات منتمية إلى بني تميم التي بدأت الهجرة من بلداتها السابقة في الوشم وجبل شمر؛ لتأسيس مستوطنات جديدة لهم في وادي حنيفة وسدير والفرع والقصيم. وبالإضافة لذلك، هاجر عدد كبير من أسر بني تميم من الوشم واستوطنت الأقاليم نفسها.

وخلال هذه الفترة استقطبت نجد جماعات أخرى من أجزاء أخرى من الجزيرة العربية، بمن في ذلك المُردة من الدرعية وبني زيد من شقراء وآل محفوظ من الرس والأساعدة من الزلفي. وقد أسهم استيطان جماعات الدواسر الأفلاجَ والمحمل وسديراً، واستيطان بني وائل سديراً، وآل عائذ الخرج (التي ناقشناها في الفصل السابق) أيضاً بشكل كبير في إعادة الاستيطان والإسكان في نجد.

وكان أكثر من ثلثي المستوطنات الأكثر نشاطاً وذكراً خلال القرنين الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي والثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي إما أُسست حديثاً أو أنها مستوطنات قديمة أحيتها جماعات أخرى غير أهلها الأصليين. وقد كانت الأغلبية الساحقة من السكان المستقرين من أقاليم الأفلاج والخرج والفرع ووادي حنيفة وسدير والقصيم في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، قد هاجرت باتجاه هذه المناطق عبر القرون الثلاثة السابقة. وشهدت الكثير من البلدات القديمة ـ حجر (الرياض)، وثرمدا، وأشيقر، وعنيزة ـ نهوضاً ونمواً واضحيْن من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

وبحلول هذا الوقت، زاد عدد سكان نجد المستقرين بدرجة كبيرة، وهذا النمو في السكان كان ظاهراً أيضاً في هجرة النجديين بأعداد مهمة إلى الساحل الشرقي للجزيرة العربية وجنوبي العراق.

وأخيراً، فإنه من الواضح أن الجزء الأكبر من عملية إعادة الاستيطان والإسكان لنجد حدث خلال الـ١٥٠ عاماً التي سبقت ظهور الحركة الوهابية، ولقد مرَّت نجد بتغير ديمغرافي عميق خلال تلك الفترة.

الفصل الخامس

نمو التعليم الديني في نجد
(٩٠٠ ـ ١٢٠٠هـ/ ١٤٩٥ ـ ١٧٨٥م)

سوف يتناول هذا الفصل تطور التعليم الديني، ونمو عدد العلماء النجديين من بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حتى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وسوف تُبحَث، أيضاً العوامل التي حفّزت على نمو التعليم، وكذلك العلاقة بين هذا النمو والتغيير الاجتماعي الآخر (إعادة الإسكان) الذي كان في تقدّم خلال الفترة نفسها[1].

وكما لاحظنا سلفاً، فإنَّ نجداً لم تطوّر مراكز حضرية ضخمة أو مجتمعاً على درجة عالية من الثقافة يستطيع أن ينتج مجتمعاً مثقفاً واسعاً. إنَّ العلماء الأوائل الذين ذُكروا لدى كتّاب التراجم النجديين أو الذين تناولتهم تلك التراجم ـ يعودون إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. ويقال إن عدداً من هؤلاء العلماء كانوا قضاة لدى أجود بن

(١) يعتمد بحث هذا الفصل بصورة رئيسة على أربعة قواميس للتراجم حول علماء نجد كتبها النجديون: السحب الوابلة لمحمد بن حميد (ت. ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) ورفع النقاب لإبراهيم بن ضويان (ت. ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) وعلماء نجد لعبد الله البسام وروضة الناظرين لمحمد القاضي (انظر «الهوامش حول المصادر» لمزيد من المعلومات حول هذه التراجم). ولا تغطي هذه التراجم العلماء النجديين كلهم، خاصّةً أولئك الذين وجدوا قبل الدعوة الوهابية. وفي الوقت الذي لم يكتب عن بعض العلماء من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بسبب فقد المعلومات، فإن الكثيرين من علماء القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي لم يُتطرَّق إلى تراجمهم، وربما يُعزى ذلك إلى أنهم قد حُيِّدوا وحُجِبوا من قبل الحركة الوهابية. وثمة علماء كثيرون يُشار إليهم في مصادر أخرى؛ ولكن تلك التراجم لم تتضمنهم، فالمعلومات الإحصائية والبيانات والنتائج المستخلصة في هذا الفصل ـ تقوم فقط على أساس عدد العلماء الذين تناولتهم التراجم التي سبق الإشارة إليها، وفي ضوء حدود المصادر وانحيازاتها.

زامل[٢]؛ وهو أشهر أمير من سلالة الجبريين الحاكمة، التي حكمت في الأحساء ونجد في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وأول ثلاثة عقود من القرن التالي. تناولت التراجم ١٥ عالماً من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[٣]، وهذا لا يعني أنَّه لم يكن في نجد علماء أو قضاة قبل ذلك التاريخ. هذا ويعدُّ فقدان أسماء العلماء قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وغياب الوثائق والكتابات التي تشير إلى وجودهم ـ إشارة مهمة على عددهم غير الكبير، وكذلك مكانتهم العلمية[٤].

إن العلاقة بين نمو التعليم في نجد خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وحكم الأسرة الجبرية في هذا البلد خلال الفترة نفسها ـ ليسا واضحين، ويُعزى هذا إلى نقص في المعلومات. وكما لاحظنا في الفصل الثاني، فإن حكّام هذه الأسرة كانوا معروفين بعدلهم وورعهم وبأدائهم فريضة الحج مرات عديدة مع عدد كبير من الرعية. ولقد أسهمت رعاية هذه الأسرة الحاكمة للعلماء، وتعيين بعضهم في المناصب القضائية بالإضافة إلى التزامهم وميلهم الديني العام ـ في نمو التعليم في نجد خلال حكمهم.

---

(٢) عثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج ٢، ص١٩٤؛ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب** (مخطوطة رقم ٧٣٦٩ ـ H(2)) (القاهرة: دار الكتب) ورقة رقم ١٣٥، وعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ٣ ج (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨)، ص١٩٩ ـ ٢٠٣.

(٣) إن التواريخ الدقيقة لمولد السواد الأعظم من العلماء أو وفاتهم في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ليست معروفة بالنسبة إلينا. وقد اعتمد كتّاب التراجم، بالنسبة إلى التواريخ التقريبية، على الوثائق والمستندات المؤرّخة من هذا القرن الذي ورد ذكرهم فيه، أو على ارتباطهم مع علماء آخرين عُرف عنهم أنهم قد عاشوا إبان هذا القرن. وتجدر الإشارة إلى أن توزيع العلماء على القرون الثلاثة التي تتناولها تلك الدراسة يرتكز على تاريخ وفاة كل منهم. وفي الوقت ذاته، فإن كل العلماء الذين توفوا في القرن الثاني عشر الهجري، يتم توزيعهم على هذا القرن. فلا يعتبر الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب الذي توفي في عام ١٢٠٦هـ، في هذا الحالة، ومن الناحية الإحصائية، واحداً من علماء القرن الثاني عشر. وبسبب التداخل الذي يحدث، عادة، بين التقويمين الميلادي والهجري، يستخدم الأخير في تحديد القرن هنا.

(٤) وإحدى تلك الوثائق التي تؤكد وجود العلماء في نجد قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي هي الوثيقة الخاصة بـ«وقف صبيح في أشيقر»، التي كتبت في العام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، وقد أعيدت كتابتها في عام ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م. وبالإضافة إلى كاتب هذه الوثيقة الذي يبدو أنه عالم، فهي تشتمل على أسماء أشخاص كثيرين يبدو أنهم متعلمون أيضاً. انظر: عبد العزيز المبارك، «وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية،» **مجلة العرب**، السنة ٢، العدد ١ (١٩٦٧)، ص٥٧ ـ ٥٩.

كان نمو السكان المستقرين في نجد، كما استخلصنا سابقاً، الذي بدأ خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ـ حافزاً آخر، على الأرجح، على نمو التعليم وزيادة عدد العلماء. وأصبحت العيينة التي تأسست في منتصف ذلك القرن إحدى أهم مراكز التعليم، وسكناً لعدد من كبار العلماء منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، والقرن التالي.

اتصال العلماء النجديين بالعلماء الشاميين والمصريين

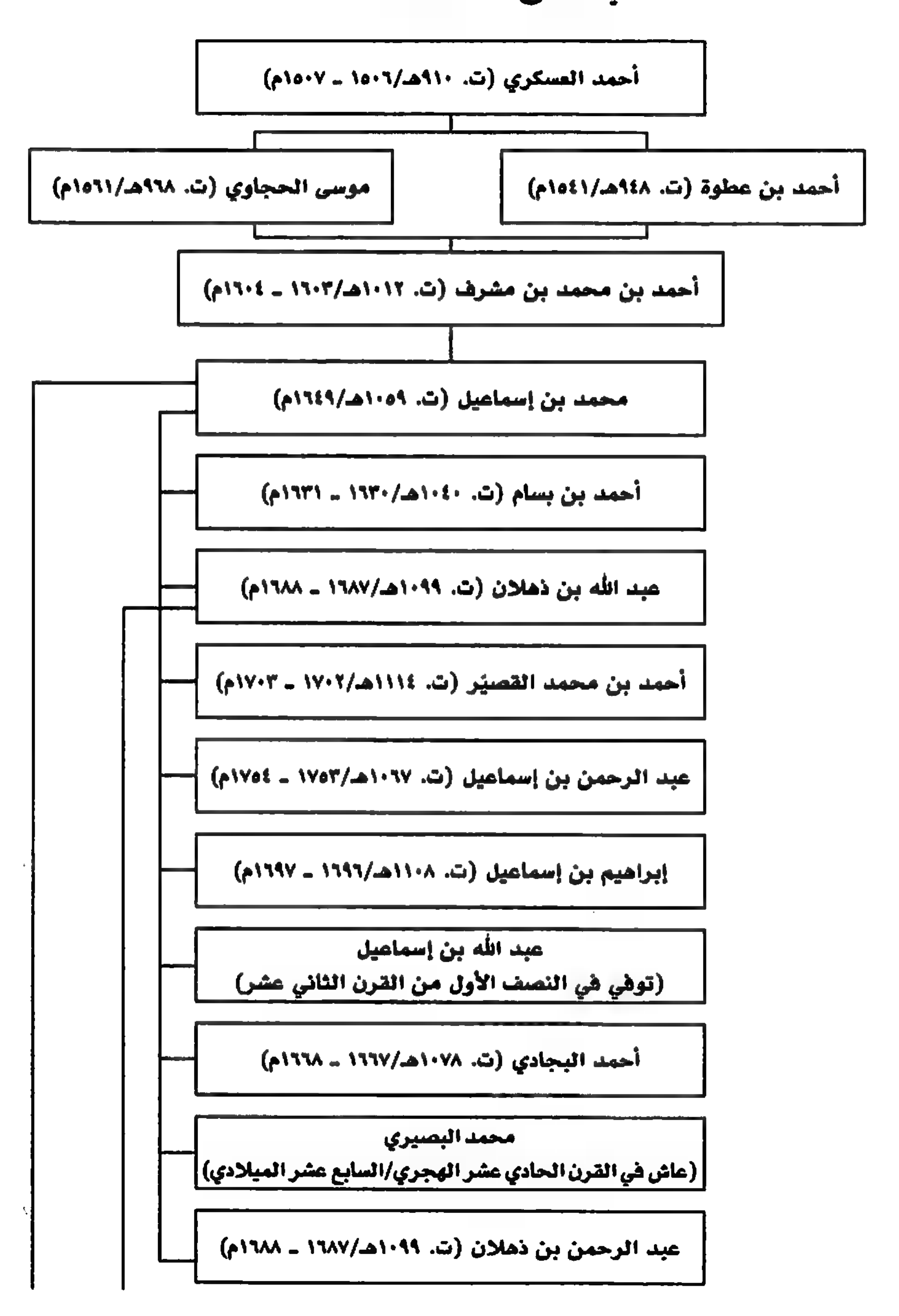
ثمة عامل مهم يبدو أنه قد أسهم في زيادة عدد العلماء ورفع مستوى التعليم في نجد ـ هو محافظة العلماء النجديين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي على الاتصال بأبرز العلماء من مذهبهم في الشام ومصر. وأخبر أن خمسة من بين خمسة عشر عالماً الذين ذكرهم علماء التراجم النجديين من ذلك القرن ـ قد سافروا إلى دمشق أو القاهرة أو كلتيهما؛ وذلك للدراسة مع كبار علماء المذهب الحنبلي في ذلك الوقت وهم: أحمد العسكري (ت. ٩١٠هـ/١٥٠٦ ـ ١٥٠٧م)، ويوسف بن عبد الهادي (ت. ٩٠٩هـ/١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م)، وموسى الحجّاوي (ت. ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠ ـ ١٥٦١م)، وكلهم كانوا في دمشق، وأحمد الفتوحي (ت. ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤ ـ ١٥٦٥م)، الذي درس في القاهرة.

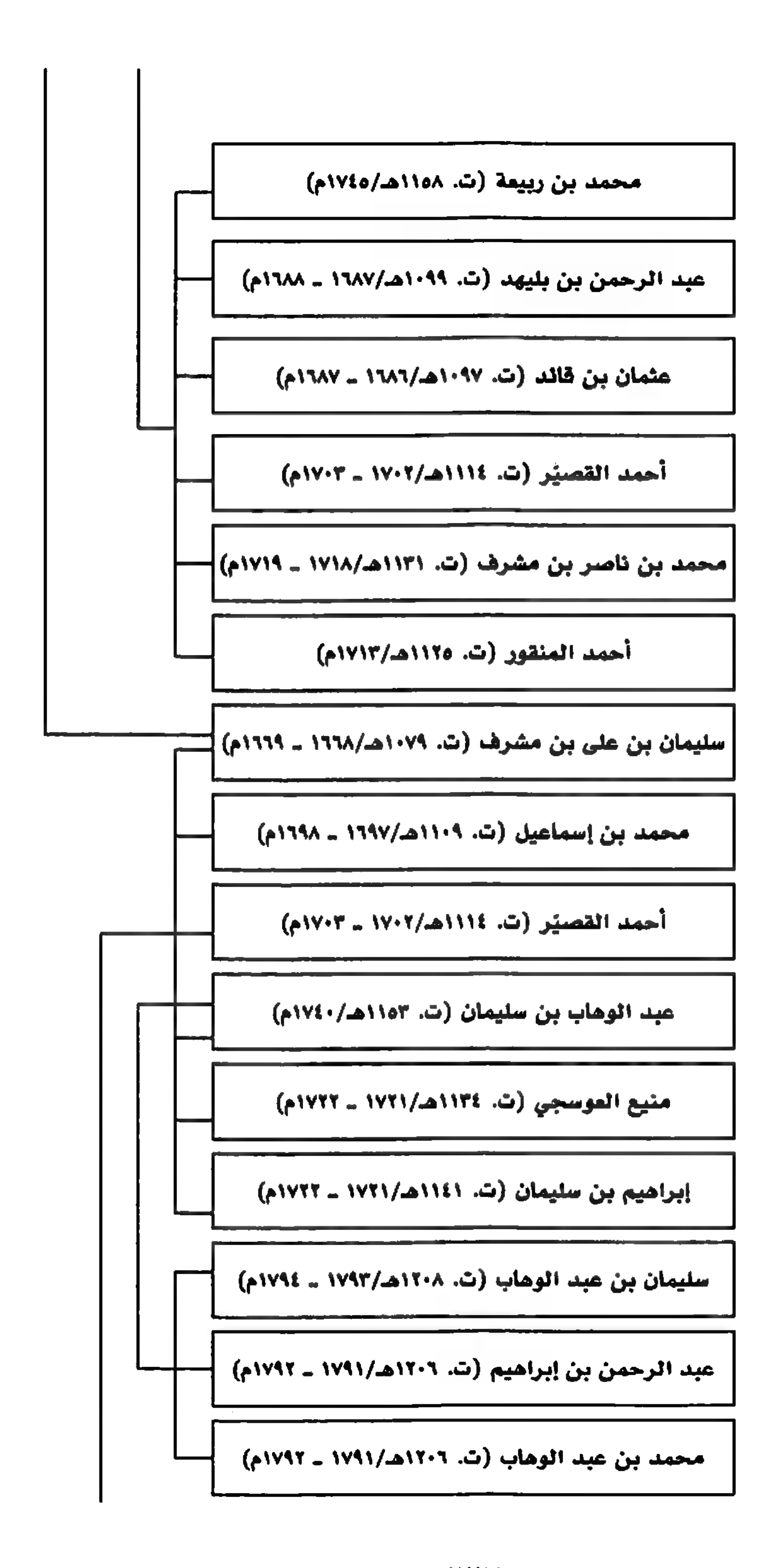
أما العلماء النجديون الخمسة، فكانوا: حسن بن علي بن بسام من أشيقر (ت. ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨ ـ ١٥٣٩م)، وأحمد بن عطوة من العيينة (ت. ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م)، وزامل بن سلطان بن مقرن، وأحمد بن أبي حميدان، وابن عمه محمد بن أبي حميدان (ولد في عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م). وقد رجع هؤلاء العلماء إلى نجد بوصفهم فقهاء حصلوا على المعرفة عن طريق الاتصال الشخصي والقريب مع أعلى مراجع علمية في المذهب الذي يتبعونه. وأحد هؤلاء العلماء وهو أحمد بن عطوة، قد استقر بوصفه مؤلّفاً ومعلّماً في دمشق؛ حيث ذهب ليدرس[٥]. وقد تجمّع عدد كبير من طلاب العلم حول هؤلاء المعلمين الخمسة؛ بسبب صلتهم بأبرز فقهاء ذلك الوقت.

---

(٥) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٤، والبسام، المصدر نفسه، ص٢٠٠ و٢٠٢.

الشكل الرقم (٥ ـ ١)
الارتباط المعرفي (الشيخ ـ التلميذ) ابتداء من أحمد بن مشرّف





محمد بن ربيعة (ت. ١١٥٨هـ/١٧٤٥م)
عبد الرحمن بن بليهد (ت. ١٠٩٩هـ/١٦٨٧ ـ ١٦٨٨م)
عثمان بن قائد (ت. ١٠٩٧هـ/١٦٨٦ ـ ١٦٨٧م)
أحمد القصيّر (ت. ١١١٤هـ/١٧٠٢ ـ ١٧٠٣م)
محمد بن ناصر بن مشرف (ت. ١١٣١هـ/١٧١٨ ـ ١٧١٩م)
أحمد المنقور (ت. ١١٢٥هـ/١٧١٣م)
سليمان بن على بن مشرف (ت. ١٠٧٩هـ/١٦٦٨ ـ ١٦٦٩م)
محمد بن إسماعيل (ت. ١١٠٩هـ/١٦٩٧ ـ ١٦٩٨م)
أحمد القصيّر (ت. ١١١٤هـ/١٧٠٢ ـ ١٧٠٣م)
عبد الوهاب بن سليمان (ت. ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)
منيع العوسجي (ت. ١١٣٤هـ/١٧٢١ ـ ١٧٢٢م)
إبراهيم بن سليمان (ت. ١١٤١هـ/١٧٢١ ـ ١٧٢٢م)
سليمان بن عبد الوهاب (ت. ١٢٠٨هـ/١٧٩٣ ـ ١٧٩٤م)
عبد الرحمن بن إبراهيم (ت. ١٢٠٦هـ/١٧٩١ ـ ١٧٩٢م)
محمد بن عبد الوهاب (ت. ١٢٠٦هـ/١٧٩١ ـ ١٧٩٢م)

عبد الله بن عضيب (ت. ١١٦١هـ/١٧٤٨م)

محمد القصير (ت. ١١٣٩هـ/١٧٢٦ ـ ١٧٢٧م)

حسن أبا حسين (ت. ١١٢٣هـ/١٧١١م)

محمد بن ربيعة (ت. ١١٥٨هـ/١٧٤٥م)

محمد بن شبانة (غير معروف تاريخ وفاته)

فوزان بن نصر الله (ت. ١١٤٩هـ/١٧٣٦ ـ ١٧٣٧م)

أحمد بن شبانة (غير معروف تاريخ وفاته)

عبد القادر العديلي (غير معروف تاريخ وفاته)

محمد السُوَيْكت (غير معروف تاريخ وفاته)

أحمد الحسيني (ت. ١١٣٦هـ/١٧٢٦ ـ ١٧٢٧م)

صالح الصائغ (ت. ١١٨٤هـ/١٧٧٠ ـ ١٧٧١م)

منصور بن تركي (غير معروف تاريخ وفاته)

حميدان بن تركي (ت. ١٢٠٣هـ/١٧٨٨ ـ ١٧٨٩م)

محمد أبا الخيل (ت. ١١٧٠هـ/١٧٥٦ ـ ١٧٥٧م)

عبد الله بن إسماعيل (ت. ١١٩٦هـ/١٧٨٢م)

سليمان بن زامل (ت. ١١٦١هـ/١٧٤٨م)

محمد بن زامل (ت. ١١٩٠هـ/١٧٧٦م)

وليس من المفاجئ، أن الأكثر تميزاً من بين هؤلاء المعلمين الخمسة كان أحمد بن عطوة الذي أصبح مستشاراً شرعياً، وعلّامة في عصره في نجد، ولقد استقطب ابن عطوة أكبر عدد من طلاب العلم من مختلف أقاليم نجد، وألّف أيضاً أولى المؤلفات النجدية المعروفة في موضوعات دينية مختلفة[6]، ويمثل ابن عطوة وتلامذته وتلامذتهم بدورهم أهم ارتباط معرفي (علاقة الشيخ/التلميذ) بين العلماء النجديين في الحقبة التي سبقت ظهور الوهابية.

ولنوضّح مدى مساهمة هؤلاء العلماء الخمسة، وصلاتهم بأشهر العلماء خارج نجد في نمو التعليم الديني، وعدد العلماء خلال الفترة الخاضعة للدراسة ـ سوف نتتبع خطّاً واحداً للارتباط المعرفي بداية من تلميذ ابن عطوة: أحمد بن محمد بن مشرف من أشيقر (ت. ١٠١٢هـ/١٦٠٣ ـ ١٦٠٤م). بالإضافة إلى الدراسة مع ابن عطوة في نجد، فإن ابن مشرف قد سافر أيضاً إلى دمشق؛ حيث قرأ على العسكري، ورافقه أيضاً الحجاوي وهو أحد تلامذة ابن عطوة. ومن ثَمّ، فقد كان لابن مشرّف صلة خاصة بالعلماء الشاميين.

كان أحمد بن مشرّف معلّم أكثر اثنين من العلماء احتراماً في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وهم: محمد بن إسماعيل من أشيقر (ت. ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م)، وسليمان بن على بن مشرّف من العيينة (ت. ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)[7]. ومن بين التلاميذ الكثيرين لابن إسماعيل كان عبد الله بن ذهلان من مقرن (ت. ١٠٩٩هـ/١٦٨٧ ـ ١٦٨٨م) الذي كان أحد أهم علماء النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، كما أنه كان معلّماً لكثير من علماء النصف الأول من القرن التالي[8]. وقد استقطب سليمان بن علي بن مشرف، بدوره،

---

(٦) المصدران نفسهما.

(٧) محمد بن عبد الله بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (مخطوطة رقم ١٢٨٧ في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الصنيع؛ تم حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الرياض)، ورقة رقم ٩٠؛ ابن ضويان، رفع النقاب عن تراجم الأصحاب (مخطوطة)، ورقة رقم ١٣٧، البسام، المصدر نفسه، ص٣١٠ ـ ٣١٣ و٧٨٨ ـ ٧٨٩. بالإضافة إلى كونهم تلامذة للشيخ نفسه، فإن الأخير كان، أيضاً، تلميذاً للأول.

(٨) ابن حميد، المصدر نفسه، ورقة رقم ١٤٥، والبسام، المصدر نفسه، ص٦٢٠ ـ ٦٢٢.

طلاباً كثيرين؛ ومن بينهم أحمد بن محمد القصيّر من أشيقر (ت. ١١١٤هـ/ ١٧٠٢ ـ ١٧٠٣م) الذي يُعدُّ أيضاً أحد أبرز المعلمين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري في استقطاب عدد من الطلاب ليقرؤوا عليه؛ وقد أصبح كثيرون منهم علماء مميزين خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. مثال ذلك، كان عبد الله بن عضيب من الروضة (ت. ١١٦١هـ/١٧٤٨م)، وهو أول عالم يسكن في منطقة القصيم، وزود تلك المنطقة الفاقدة للعلم، بالفقه الذي مهر فيه مهارة كلية[٩]. وكان من بين تلاميذ سليمان بن علي بن مشرّف ابنه عبد الوهاب من العيينة (ت. ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) وهو والد محمد بن عبد الوهاب، مؤسّس الحركة الوهابية، وأحد معلميه[١٠].

وعلى الرغم من الحقيقة القائلة إنّ كثيراً من علماء نجد كانوا قد تتلمذوا على أكثر من معلم، كما هو واضح من الشكل الرقم (٥ ـ ١)، وقد استقطب العلماء، الذين تتلمذوا على علماء مصريين أو شاميين، كما هو موضّح في الجدول، عدداً ضخماً من الطلاب. أما الذين تلقوا تعليماً محلياً [أي في بلادهم] أو تتلمذوا على علماء تلقّوا تعليماً محلياً؛ كان عدد طلابهم أقل. وعلى الرغم من أن هذا الجدول يتّبع خطّاً واحداً فقط لنقل العلم الذي يبدأ من أحمد بن عطوة حتى تلميذه أحمد بن مشرّف، فإنّه يشير إلى النمو الملحوظ في عدد العلماء النجديين من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والقرن التالي.

يتناول كتّاب التراجم سِيرَ ثمانية وعشرين عالماً نجدياً في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وقد نُقل أن سبعة منهم قد سافروا إلى خارج نجد لتلقّي مزيداً من العلم، وذهب اثنان منهم إلى دمشق، واثنان إلى القاهرة، ودرس واحد في كلتا المدينتين، ودرس الاثنان الباقيان في الحجاز. ولعلّ أكثر المعلّمين الحنبليين تميّزاً في ذلك القرن الذين تتلمذ النجديون عليهم كانوا: محمد البلباني (ت. ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)، ومحمد

---

(٩) ابن حميد، المصدر نفسه، الورقات ١٣٦ ـ ١٣٩.

(١٠) ولصورة شاملة حول مستوى التعليم وعدد العلماء الذين اتصلوا بابن عطوة وتلميذه أحمد بن مشرف، انظر الشكل الرقم (٥ ـ ١).

أبو المواهب (ت. ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م)، وكلاهما من دمشق، ومرعي بن يوسف (ت. ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣ ـ ١٦٢٤م) ومنصور البهوتي (ت. ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) وكلاهما من القاهرة، وابن العماد (ت. ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) في القاهرة ومكة. وعلى الرغم من توافر عدد من العلماء النجديين المميزين في نجد خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن التالي، استمر الطلاب النجديون في السفر إلى الخارج للدراسة. ومع ذلك، فإن النسبة المئوية من العلماء الذين درسوا خارج نجد خلال ذلك القرن، كانت بالنسبة إلى العدد الإجمالي للعلماء، أقل من النسبة في القرن الذي سبقه. على سبيل المثال، في القرن العاشر الهجري درس خمسة من بين خمسة عشر عالماً (٣٣ في المئة) خارج نجد، وفي القرن الحادي عشر الهجري درس سبعة من ثمانية وعشرين عالماً (٢٥ في المئة) خارج نجد.

تتناول التراجم سيرة اثنين وخمسين عالماً من علماء نجد من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ومن بينهم أحد عشر عالماً، رُوِي أنهم سافروا خارج بلدهم؛ للتزوّد من العلم، وذهب ستة من هؤلاء إلى الأحساء للتتلمذ على علماء مثل: محمد بن عفالق (ت. ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠ ـ ١٧٥١م)، وعبد الله بن فيروز (ت. ١١٧٥هـ/ ١٧٦١ ـ ١٧٦٢م)، وابنه محمد (ت. ١٢١٦هـ/ ١٨٠١ ـ ١٨٠٢م)، وسافر اثنان إلى مكة، وسافر ثلاثة فقط إلى دمشق للتتلمذ على علماء مثل: عبد القادر التغلبي (ت. ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م)، ومحمد السفاريني (ت. ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م).

انخفض، إذاً، عدد العلماء النجديين الذين سافروا إلى الشام ومصر خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، نسبةً إلى العدد الكبير الذين سبق أن سافر منهم إلى هناك، وربما يُعزى هذا الانخفاض إلى غياب العلماء الحنابلة المشهورين في هاتين الدولتين خلال تلك الفترة. ويشار إلى أن العلماء الحنابلة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي والقرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، كانوا هم آخر العلماء المراجع في مذهبهم. واعتمد طلاب المذهب الحنبلي بعد ذلك على الكتيبات والتعليقات التي وضعها علماء هاتين الدولتين مثل: **الإقناع**، وزاد المستقنع، لموسى الحجاوي، و**جَمْع الجوامع**، و**مغني ذوي الأفهام**

ليوسف بن عبد الهادي، وغاية المنتهى، ودليل الطالب، لمرعي بن يوسف، والعمدة، وشرح الإقناع، لمنصور البهوتي.

من ناحية أخرى، يلاحظ أنه خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، سافر الطلاب النجديون إلى الأحساء، وعلى ما يبدو لأول مرة وبأعداد كبيرة، وقد ذهب أكثر من نصف الذين تلقوا العلم خارج نجد إلى الأحساء، وربما يدل ذلك على مستوى المعرفة العالي الذي وفّره المذهب الحنبلي في نجد والأحساء وقتئذٍ. وفي واقع الأمر، فقد استقطب اثنان من معلّمي الأحساء، وهما عبد الله بن فيروز، وابنه محمد بن فيروز، عدداً من الطلّاب النجديين؛ علماً بأن الاثنين ينتميان إلى إحدى الأسر ذات الأصل النجدي، والتي كانت قد هاجرت من أشيقر إلى الكويت وبعد ذلك انتقلت إلى الأحساء(١١).

شهد عدد العلماء النجديين زيادة كبيرة خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وكان عدد هؤلاء العلماء الذين تناولتهم التراجم ضعف علماء القرن السابق، ولقد أصبحت نجد، بعد الشام ومصر، مركزاً مهماً لدراسات المذهب الحنبلي طيلة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريْن/السابع عشر والثامن عشر الميلاديْن. وقد رُوي بأن مرعي بن يوسف في القاهرة، وهو أحد أهم العلماء المميزين وذوي المؤلفات في هذا المذهب خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، بيّض نسختين من كتابه الشهير **غاية المنتهى**، وأرسل الأولى إلى الشام، والثانية إلى نجد، وأقرأ السلام محمد بن إسماعيل، وخميس بن سليمان وهما من علماء أشيقر البارزين(١٢). ومع أن العالمين لم يكونا من تلامذته، ولم يسافرا إلى الشام أو مصر، ولكن يبدو أن شهرتهما وصلت إلى هناك، وهذا دليل على المرتبة الجيدة التي وصلت إليها دراسة المذهب الحنبلي في نجد، وبروز العلماء النجديين في ذلك الوقت.

وبصرف النظر عن مجموعة النجديين الذين سافروا خارج بلدهم لطلب

---

(١١) كان محمد بن فيروز واحداً من أكثر العلماء الحنابلة البارزين في عصره. انظر: ابن حميد، المصدر نفسه، الورقات ٢٣٣ ـ ٢٣٦. انظر أيضاً: البسام، المصدر نفسه، ص٨٨٢ و٨٨٥.

(١٢) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص١٩٧ ـ ١٩٨.

العلم، فإن التعليم في نجد زاد وقوي أيضاً من خلال الحصول على أعمال علماء الشام ومصر الحنابلة المشهورين الآخرين. وفي الوقت ذاته، أحضر الطلاب العائدون معهم كتيبات وكتباً قيمة[١٣]، والتي تمَّ نسخها وتداولها في نجد.

وقد كان العلماء النجديون دائماً توّاقين للحصول على مثل هذه الكتب من خلال التجار والمسافرين الذين كانوا يترددون على الشام والعراق والحجاز[١٤]. وقد حافظ العلماء النجديون أيضاً على مراسلة علماء الأحساء والحجاز والشام، وكتبوا إليهم للحصول على إجابات وفتاوى حول الموضوعات محل الجدل والأحكام التي كانت مثار خلاف من العلماء البارزين في هذه البلدان[١٥].

مراكز التعليم وانتشار العلماء

كانت مراكز التعليم في نجد ما قبل الوهابية تتمثّل في بلدات أشيقر في الوشم، ومُقرن والعيينة في العارض (وادي حنيفة). وقد تناولت التراجم تسعة علماء من بين خمسة عشر، من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كانوا من أشيقر، واثنان من مقرن، وواحد من العيينة، في حين لم يبلّغ عن أماكن العلماء الثلاثة الباقين[١٦]؛ وإذ إن التعليم قد نما، وعدد

(١٣) حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، حرره وحققه ناصر الدين الأسد (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦١)، ص٢٦٥ و٢٦٧ ـ ٢٦٨، والبسام، المصدر نفسه، ص٦٠٥.

(١٤) ابن غنام، المصدر نفسه، ص٣٩٠ ـ ٣٩١، وابن حميد، المصدر نفسه، ورقة رقم ١٣٨.

(١٥) أحمد بن محمد المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة** (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ج ١، ص٣٤٢، ٥١١ و٥١٤، وج ٢، ص١٦ ـ ١٩، وابن حميد، المصدر نفسه، ورقة رقم ١٣٩.

(١٦) تمت تغطية تراجم علماء بني حنيفة وكذلك العلماء في الأقاليم الجنوبية لنجد بصورة أقل من جانب المتخصصين في كتابة السير الذاتية، وذلك لأنهم كانوا معروفين بدرجة أقل بالنسبة إلينا. ويشار هنا إلى أن مؤلفي معاجم التراجم الأربعة المستخدمة في هذه الدراسة قد أتوا من إقليم القصيم الواقع شمالي نجد. وفي الوقت ذاته، فإن العلماء الذين ظهروا خلال الفترة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية قد تمت تغطيتهم بصورة كاملة في علماء نجد. وقد تم تناول أربعة عشر عالماً من خمسة عشر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بصورة حصرية في هذا المصدر. إن مؤلفي **علماء نجد** و**تحفة الناظرين** ينتميان إلى عشيرة الوهبة، أهل أشيقر. ولذلك، فإنه نظراً إلى توافر الوثائق والمعلومات حول تلك الجماعة القبلية وهذه البلدة، فإن العلماء الدينيين من الوهبة وأشيقر قد تمّ تمثيلهم على نحو جيد في هذين المصدرين.

العلماء النجديين قد ازداد، فإن قاعدتهم الجغرافية توسّعت أيضاً تبعاً لذلك.

كانت أشيقر مكان إقامة خمسة عشر عالماً من بين ثمانية وعشرين عالماً نجدياً من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، بينما استضافت العيينة ستة منهم. بدأ العلماء والتعليم في الانتشار في أقاليم وبلدات أخرى من نجد. ويذكر أن اثنين من العلماء البارزين في أشيقر في ذلك الوقت، وهما أحمد بن بسام، وسليمان بن علي قد انتقلا من مكان إلى آخر حتى استوطنا في النهاية العيينة. ورُوي أيضاً أنهما قد دُعيا من قبل سكان مستوطنات مختلفة للعمل كقضاة[١٧]. وأمثلة أخرى كعبد الله بن ذهلان وأخيه اللذين انتقلا من العيينة إلى مُقرن؛ حيث أصبح الأول قاضياً. وقد ورد ما يفيد بأن عدداً من علماء القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، قد سكنوا في بلدات ومستوطنات لم يكن فيها في القرن السابق رجال علم مثل: الدرعية في وادي حنيفة، والعودة، والمجمعة في سدير، والقرائن في الوشم. وقد عمل هؤلاء العلماء قضاة ومعلمين ودعاة، ما أسهم بلا شكّ في نمو الوعي الديني لدى العامة، وتحسين مستوى التعليم.

وكما لاحظنا سابقاً، فقد وصل عدد العلماء النجديين من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، تقريباً، إلى الضعف. وتناول كتّاب التراجم سبعة وعشرين عالماً من بين اثنين وخمسين يقال إنهم سكنوا في بلدات ومستوطنات غير مراكز التعليم التقليدية الموجودة في أشيقر ومقرن والعيينة، وينتمي خمسة علماء من بين السبعة والعشرين إلى أسر انتقلت إلى مستوطناتها الخاصة بها من أشيقر، في حين انتقل أربعة من بلداتهم للعمل كقضاة في بلدات أخرى، حتى إن أحدهم قد هاجر للعمل قاضياً في الكويت، وهي مستوطنة جديدة أُسست خارج نجد. وقد اكتسبت مستوطنة المجمعة الجديدة، التي نُقل أنه كان فيها عالم واحد خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، خمسة علماء أكثر خلال هذا القرن. واكتسب إقليم سدير بأسره، الذي كان فيه عالمان خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ثلاثة عشر عالماً خلال هذا القرن. وكان

---

(١٧) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص١٨٧ و٣١٠.

أكثر ما يلفت النظر منطقة القصيم، التي قيل إنه لم يكن فيها علماء دين أو قضاة قبل عام ١١١٠هـ/١٦٩٨م[١٨]، وفي النهاية أصبح فيها اثنان من العلماء المهاجرين، وستة من المحليين، وقد توفوا كلهم قبل نهاية القرن.

وبما أن عدد العلماء النجديين قد زاد بدرجة كبيرة خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، مقارنة بالقرن السابق، فإن المساحة الجغرافية التي غطوها اتسعت أيضاً، وقد تمَّ تسجيل تسع بلدات ومستوطنات لم يكن فيها علماء أو قضاة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، بوصفها أماكن لإقامتهم خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

العلاقة بين نمو التعليم في نجد ونمو سكانها المستقرين

يبدو أن نمو التعليم الديني، والزيادة في عدد العلماء في نجد تربطهما علاقة وثيقة مع النمو العام، ورخاء سكان هذا البلد المستقرين. وكما استُخلِص سابقاً، فإن التعليم خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، كان مقتصراً على البلدات الأقدم أو الأوسع من أشيقر، ومُقرن، والعيينة. ولقد أسهم العدد الكبير من السكان وتنوّع الأنشطة الاقتصادية في هذه المجتمعات شبه الحضرية، في جعل سَعَة التعليم والبحث الفكري ممكناً، وبما أن الوعي الديني في هذه المجتمعات كان أعلى من المجتمعات الأصغر حجماً، فقد كانت الحاجة إلى أئمة المساجد والقضاة الشرعيين والمفتين أشدّ في الوشم والعارض من أقاليم نجد الأخرى.

ومع نمو سكان نجد المستقرين كما هو ممثّل في إنشاء البلدات الجديدة، ونمو البلدات القديمة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والقرن التالي؛ كان هناك أيضاً نمو موازٍ في الوعي والتعليم الدينيين؛ كما وضّح في زيادة عدد العلماء في مراكز التعليم القديمة، وانتشارهم في بلدات ومستوطنات أخرى. ولقد حفّزت البلدات القديمة المتنامية، والمستوطنات الجديدة التي أُنشِئت خلال هذين القرنين على زيادة عدد العلماء خلال الفترة نفسها. ويُشار إلى أن المجتمعات الحضرية النامية

(١٨) المصدر نفسه، ص٥١٨، وابن مانع (في ابن عيسى)، ورقة رقم ٢٣٩.

في تلك الحقبة، قد أسهم في زيادة الطلب على أئمة المساجد والقضاة لتلبية احتياجاتها الاجتماعية والدينية.

إنّ الاقتناع بأن النمو في عدد العلماء في نجد كان استجابة طبيعية واجتماعية لحافز الظواهر الاجتماعية النامية التي تحدث في آن واحد ـ الاستقرار وإعادة الإسكان ـ كان واضحاً من خصائص التعليم والطريقة غير المألوفة التي تمّ من خلالها تطوير هذا التعليم. وعن طريق تتبع نمو سكان نجد (انظر الفصل السابق)، وتتبع تطوّر التعليم، والنمو في عدد العلماء (كما هو موضح في هذا الفصل)، يمكن الاستنتاج أن الظاهرة الاجتماعية الأخيرة تطورت نتيجة للاستقرار السكاني وهي متماشية معه بوتيرة مماثلة. وفي الوقت الذي قد بدأت فيه إعادة الاستيطان في نجد وإعادة الإسكان في أواسط القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فإن أوائل العلماء الذين تمّ ذكرهم وتسجيلهم في المصادر التاريخية ظهروا في النصف الأول من القرن التالي. هذا وقد شهدت إعادة الإسكان والتعليم زيادة كبيرة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ووصلا إلى ذروة نموّهما في حقبة ما قبل الوهابية وتحديداً بحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وكما لاحظنا سابقاً، أنه عندما انتشر السكان النجديون المستقرون في المناطق الأقل سكاناً، فإن العلماء اتبعوهم وبدؤوا في الظهور في المجتمعات الناشئة والجديدة.

لقد ظهر تطور التعليم كاستجابة للاحتياجات الاجتماعية العملية للمجتمع المستقر المتنامي، أيضاً من خلال دراسة العلماء النجديين للفقه (الشريعة الإسلامية) بالتحديد، ويُشار إلى أنّ الفقه كان هو مجال التعلّم الأساس لكل العلماء النجديين الموجودين ما قبل الحركة الوهابية. وكان ثمة أفراد قليلون فقط هم الذين تلقوا التعليم المحدود في الحديث الشريف أو التفسير أو التوحيد أو علوم اللغة العربية[19]. وقد درست الأغلبية من العلماء النجديين الفقه الحنبلي فقط، وعدّوا تعلّم فروع العلوم الدينية واللغوية الأخرى ترفاً فكرياً [مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه]، ولا حاجة لها في مجتمعهم.

---

(١٩) ابن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، الورقات ١٣٦ ـ ١٣٩، والبسام، المصدر نفسه، الورقات ١٧، ٢٨، ٨١٤ ـ ٨١٥، ٨٢٠ و٩٥٦ ـ ٩٥٧.

لقد ذكر كتّاب التراجم أن معظم العلماء النجديين قد عملوا قضاة في بلداتهم ومستوطناتهم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد ورد ما يفيد بأن خمسة وستين عالماً من بين خمسة وتسعين (٦٨ في المئة) من الذين تناولهم كتّاب التراجم قبل ظهور الحركة الوهابية، كانوا قضاة أيضاً. وكما لاحظنا في السابق، فإن الكثيرين من العلماء النجديين قد هاجروا من مناطق وبلدات معروفة بعدد علمائها الكبير إلى مناطق أخرى؛ حيث أنشئت مستوطنات جديدة، وزاد عدد السكان. وقد ذكر كتّاب التراجم صراحة بعضاً من هؤلاء العلماء، على سبيل المثال أحمد بن بسام، وسليمان بن علي، وعبد الله بن عضيب، ومحمد السويكت، بأنهم قد هاجروا إلى مسكنهم الجديد؛ بناءً على طلب أهل تلك البلدات والمستوطنات الجديدة للعمل كقضاة هناك. ويبدو أن الطلب المتنامي على القضاة ومعلمي الدين قد أدى إلى نمو التعليم بصفة عامة، والتركيز على دراسة الفقه بصفة خاصّة.

وثمة مجموعة أخرى من الأدلة للإشارة على الاهتمام المتزايد بدراسة الفقه؛ وهي ظهور عدد من المجامع الفقهية (مجموعات من الكتيبات الشرعية)، وقد ضمت هذه المجامع الفقهية مقتطفات من الكتيبات والآراء الفقهية والأحكام الشرعية للعلماء الحنابلة المشهورين في القرون الوسطى، وكذلك من كتابات وأحكام القضاة والمفتين النجديين البارزين. وقد وضع إسماعيل بن رميح (ت. ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣م)، أولى هذه المجامع الفقهية؛ ولكن الأكثر شهرة كان **المجموع فيما هو كثير الوقوع** لعبد الرحمن أبابطين (ت. ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م)، و**الفواكه العديدة في المسائل المفيدة** لأحمد المنقور (ت. ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م).

كانت الدوافع وراء تجميع أعمال فقهية كهذه هي توفير مرجع يكون في متناول الأيدي لأكثر المسائل الفقهية شيوعاً وآراء العلماء المشهورين فيها، من أجل الاستعانة بها من قبل مؤلفيها، وكذلك لغرض الدراسة والتدريس من قبل علماء آخرين[٢٠]. ويصرّح أبابطين تحديداً أنه صنّف **مجموعه**

---

(٢٠) المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج ١، ص٣ ـ ٤، وعبد الرحمن بن عبد الله أبابطين العائذي، **المجموع فيما هو كثير الوقوع** (المخطوطة رقم ٣٣٨/ ٨٦ في مجموعة مكتبة الرياض السعودية)، الورقتان ١ ـ ٢.

لمساعدة هؤلاء الفقهاء (طلاب الفقه) الذين كانوا قاصرين عن استيعاب كل المراجع الفقهية أو فترت همتهم عن ذلك (عند استنباط الأحكام)[٢١]. وبالإضافة إلى بعض الكتيبات حول أداء فريضة الحج وكتابات أحمد بن عطوة، فإن هذه الأعمال كانت هي الكتابات الأساسية لعلماء ما قبل الحركة الوهابية في نجد.

لقد برز الوعي الديني المتنامي عند سكان نجد المستقرين، وإدراك النجديين أن مختلف جوانب حياتهم يجب أن تخضع لمبادئ الشريعة الإسلامية (الفقه الإسلامي)، في كثرة الأحكام والآراء الفقهية التي كان يصدرها العلماء النجديون، والمحفوظة في كتاب **الفواكه العديدة**، وتغطي هذه الأحكام والآراء الفقهية جوانب الحياة الإسلامية المختلفة من اقتصادية واجتماعية ودينية.

ليس هناك في المصادر توضيح للعلاقة بين القضاة النجديين ورؤساء البلدات التي يسكنونها، وقد لوحظ في الفصل السابق أن رؤساء بعض المستوطنات النجدية لم يسمحوا بسلطة القضاة الشرعيين، وقد كان هذا صحيحاً على نحو خاص في المستوطنات حديثة التأسيس؛ حيث كانت التقاليد القبلية هناك لا تزال قوية، وكان التنوع العرقي ضعيفاً. ومن الملاحظ أنه باستثناء مستوطنات العيينة والدرعية والمجمعة، لم تستضف أي مستوطنة جديدة قاضياً أو عالماً قبل القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. ومن ناحية أخرى، فإن القضاة كان يُرحب بهم، ويدعون إلى العيش في بلدات أكبر مأهولة بسكان من قبائل متنوعة. ويبدو أن القضاة لم ينصّبوا أنفسهم للفصل في القضايا من دون الموافقة و/أو التعيين من قبل رؤساء البلدات. وعندما تنشأ المشكلات بين السلطتين فإن رئيس البلدة عادة ما يجبر القاضي على ترك موقعه[٢٢].

تُظهر المصادر المتاحة أن نمو التعليم في نجد بدأ بعد أولى حالات

---

(٢١) أبابطين العائذي، المصدر نفسه، الورقتان ١ ـ ٢.

(٢٢) محمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، تحت عنوان «تاريخ نجد»)، ورقة رقم ٤١، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٣١٠ و٦٦٩ ـ ٦٧٠.

إعادة الاستيطان المسجلة في هذا البلد بنصف قرن تقريباً؛ لذلك يبدو أن نمو التعليم كان تلبية للاحتياجات الدينية والاجتماعية لعدد سكان نجد المستقرين المتنامي. لقد تقدّم نمو التعليم والزيادة في عدد العلماء بوتيرة تتناسب مع نمو السكان المستقرين أو عدد المستوطنات في نجد. وقد حفّز الوعي الديني المتزايد والعلاقات المعقدة للمجتمع المتحضّر على نمو التعليم، والزيادة في عدد العلماء من أجل تلبية الاحتياجات الدينية والقضائية لذلك المجتمع.

الحركة الوهابية

كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ/١٧٠٣ ـ ١٧٠٤ حتى ١٧٩١ ـ ١٧٩٢م) وحركته في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تتويجاً ونتيجة لنمو التعليم الذي كان يتقدّم في نجد عبر القرنين ونصف القرن السابقين. كان الشيخ ابن عبد الوهاب نتاج مركزين رئيسين للتعليم في نجد وهما أشيقر والعيينة، وينتمي ابن عبد الوهاب لقبيلة بارزة خرج منها علماء كثيرون وهي الوهبة في أشيقر. وفي هذا الصدد، فإن أكثر من نصف العلماء النجدنيين في الحقبة التي سبقت ظهور الوهابية ينتمون إلى هذه القبيلة[٢٣]. وينتمي ابن عبد الوهاب أيضاً إلى آل مشرّف، وهم عشيرة فرعية من الوهبة، التي ينتمي إليها أكثر من نصف علماء الوهبة[٢٤].

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشيخ ابن عبد الوهاب كان نتاج ثاني أكبر مركز تعليمي وهو العيينة، وجدّه سليمان بن علي بن مشرّف هاجر من أشيقر، ثم قضى بعض الوقت في الروضة في سدير، وانتقل بعد ذلك إلى العيينة حيث استقرَّ هناك. وقد أصبح قاضياً لتلك البلدة، التي كانت الأكبر في نجد. وفضلاً عن ذلك، فقد ورد ما يفيد بأن سليمان بن علي أصبح طيلة حياته، المفتي والمرجعية العلمية العليا لنجد كلها[٢٥]. كان والد الشيخ

---

(٢٣) عبد الله الصالح العثيمين، «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمّد بن عبد الوهاب،» مجلة الدارة، السنة ٤، العدد ٣ (١٩٧٥)، ص٣٤.

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) ابن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، ورقة رقم ٩٠؛ ابن ضويان، **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**، ورقة رقم ١٣٧؛ البسام، المصدر نفسه، ص٣٠٩ ـ ٣١٣، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢١٠.

محمد بن عبد الوهاب أيضاً أحد العلماء النجديين المميزين في زمانه، وقد قيل إنه تولى القضاء في العيينة من عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م إلى عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧م عندما نشأ خلاف بينه وبين رئيس هذه البلدة(٢٦). وبعد ذلك انتقل إلى مستوطنة حريملا؛ حيث عمل فيها قاضياً حتى وفاته في عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م.

كبر الشيخ ابن عبد الوهاب وبدأ تعليمه في العيينة جامعاً بين التراث العلمي لعشيرته (آل مشرف من الوهبة من أشيقر)، وإنجازات علماء بلدته، ولقد أضاف إلى ذلك مقداراً مختلفاً وواسعاً من التحصيل العلمي والمعرفة والفكر من خلال دراساته في العراق والأحساء والحجاز، وقد كانت تلك الخبرة ذات دور فعال في تشكيل أفكار الشيخ السلفي(٢٧).

حقّق التعليم الديني في نجد تقدّماً مميّزاً خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وتطوّر بشكل ثابت عبر القرنين التاليَيْن. ويتضح هذا من الزيادة المستمرة في عدد العلماء في نجد خلال تلك الفترة؛ إذ تضاعف، تقريباً، عدد هؤلاء العلماء الذين تناولتهم التراجم في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي عن القرن السابق. وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي تضاعف مرة ثانية تقريباً. وكان يُعزى هذا النمو في التعليم والزيادة في عدد العلماء النجديين بصورة رئيسة إلى عامليْن اثنيْن هما: اتصال العلماء النجديين بعلماء الشام ومصر، والنمو والاستقرار السكانييْن في نجد.

سافر عدة علماء نجديين إلى الشام ومصر؛ للدراسة مع العلماء البارزين في المذهب الحنبلي الذين ظلت كتاباتهم المرجع المعتمد والوحيد لطلاب هذا المذهب لفترة امتدت لقرون عديدة، ورجع هؤلاء العلماء النجديون إلى بلدهم؛ حيث بدؤوا وأسهموا في نمو حركة تعليم جادّة ومندفعة. ولقد ازدهرت الدراسات الحنبلية، وبخاصة الفقه، في نجد، وكان هذا البلد موطناً مهماً لهذا المذهب منذ ذلك الوقت.

---

(٢٦) ابن ضويان، المصدر نفسه، ورقة رقم ١٣٨، والبسام، المصدر نفسه، ص٦٦٩ ـ ٦٧٠.

(٢٧) سوف تتم مناقشة تأثيرات تعلم الشيخ ابن عبد الوهاب في الخارج في فكره بصورة أكثر تفصيلاً في الفصل القادم.

لقد حفّزت عمليتا إعادة الاستيطان وإعادة الإسكان اللتان شهدتهما هذه البلاد في آنٍ واحد على نمو التعليم، وكذلك الزيادة في عدد العلماء النجديين. إن البلدات القديمة المتنامية والمستوطنات حديثة التأسيس في نجد احتاجت إلى عدد كبير من العلماء وكانت قادرة على الإنفاق عليهم؛ إذ عملوا أئمة مساجد ومعلمين ووعّاظاً وقضاة ومفتين. ولقد اتبعت عملية تطور التعليم في نجد الطريق نفسه الذي اتبعته عملية تطور إعادة الاستيطان وإعادة الإسكان، ولقد نمت كلتا الظاهرتين نمواً كمياً، وانتشرت جغرافياً في الاتجاهات نفسها. وكذلك لقد تطور التعليم الديني في نجد لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والدينية للمجتمع المتحضّر. وقد تم تتويج نمو التعليم الديني في نجد، ووعي أهل نجد الديني الناتج من ذلك بواسطة الحركة الوهابية التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان نتاج عملية التعليم الديني تلك.

الفصل السادس

الظروف السياسية والاجتماعية والدينية في نجد
(٨٥٠ ـ ١١٥٠هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٧٣٨م)

سوف يبحث هذا الفصل الظروف السياسية والاجتماعية والدينية في نجد خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية؛ خاصّةً خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وفيما يتعلق بالظروف السياسية العامة، فإن سلطة أشراف مكة ورؤساء الأحساء وتأثيرهم في الشؤون المحلية سيتمُّ تقصيها. وستُدرَس الظروف المحلية والسياسية والاجتماعية من خلال مناقشة: العلاقات الداخلية بين أهل البلدات، والعلاقات بين مختلف البلدات، والعلاقات بين البلدات والبدو. وسيُتتبّع تطور السلطات السياسية الإقليمية خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. أما الظروف الدينية فستُبحث من خلال تقصّي امتثال كل من السكان البدو والمستقرين لتعاليم الإسلام وتكاليفه، وتأثير نمو التعليم الديني في الوضع. ثم يختتم الفصل بربط ظهور الحركة الوهابية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي بإعادة الاستيطان والنمو السكاني، وبانتشار التعليم الديني الذي كان في تقدّم في نجد عبر هذه الفترة.

الظروف السياسية

ذُكر في الفصل السابق أن نجداً لم يكن فيها نظام سياسي مركزي بعد اختفاء أسرة بني الأخيضر الحاكمة في حوالى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، كان البلد مقسماً إلى بلدات ـ ولايات صغيرة وكثيرة أو مشيخات، كما لم تكن توجد هناك حكومة مركزية ذات

أصل محلي، وقد مارست الأسر الحاكمة ذات النفوذ في مكة إلى الغرب والأحساء إلى الشرق سلطة اسمية من وقت إلى آخر في نجد، وقد تمت مناقشة سلطة السلالة الجبرية الحاكمة في الأحساء خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي والعقود الثلاثة الأولى من القرن التالي، سابقاً في الفصل الثالث.

سلطة أشراف مكة في نجد

تزامن انهيار السلالة الجبرية الحاكمة مع ظهور أسرة حاكمة جديدة في مكة وهي أسرة آل أبي نمي، وهم أحفاد محمد أبي نمي الثاني (٩٣٠ - ٩٩٢هـ/ ١٥٢٤ ـ ١٥٨٤م)، والذين ورثوا نفوذ الجبريين في نجد. لقد بدأ توسّع سلطة أشراف مكة في مناطق مختلفة من غربي الجزيرة العربية خلال حكم آل بركات، أسلاف آل أبي نمي[١]، وعلى الرغم من ذلك، كان نفوذ الأشراف ممتداً إلى نجد فقط خلال حكم أبي نمي الثاني، وبعد أفول سلالة الجبريين الحاكمة.

وقد تزامن ظهور عشيرة آل أبي نمي الحاكمة في مكة مع توسع الهيمنة العثمانية على الشام ومصر والحجاز[٢]، ويبدو أن قسماً كبيراً من قوة آل أبي نمي في الجزيرة العربية ونفوذهم كان يُعود إلى هذا التزامن، وكان الأمراء الجدد والأقوياء والمتحمسون للأماكن المقدسة يتسمون بالكرم الشديد مع حكام مكة، الذين ادّعوا أنهم يعودون بنسبهم إلى النبي محمد، وقد ورد ما يفيد بأن السلاطين العثمانيين قد منحوا أشراف مكة سلطة أكبر في إدارة بلدهم من تلك التي منحهم إياها أسلافهم، مماليك مصر[٣]. وقد ضخوا في الحجاز أيضاً قدراً كبيراً من الثروة في شكل

---

(١) عبد الملك بن حسين المكي العصامي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق محب الدين الخطيب، ٤ ج (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٩٣)، ج ٤، ص٢٧٦ ـ ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص٣١٨ ـ ٣١٩ و٤٢٥، وأحمد بن زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام** (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)، ص٥٠ ـ ٥٣.

(٣) العصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٣٣٠، وأبو بركات محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، ط ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦١)، ج ٥، ص١٩٣.

هبات وصدقات[٤]، وهذا ساعد حكام أبي نمي على تمكين سلطتهم في مواجهة العشائر المنافسة الأخرى في مكة. استولى أبو نمي الثاني على شرافة مكة في سن التاسعة عشرة، وحكم حتى وفاته في سن الثمانين، وكان هذا غير معتاد بين حكام هذه المدينة، ويبدو أن استقرار ورخاء مكة قد شجع أبا نمي الثاني وخلفاءه على التوغل عميقاً في نجد، وهو الأمر الذي لم يقم به أي حاكم لهذه المدينة من قبل.

تمثلت أولى تلك التوغلات في حملات حسن بن أبي نمي الثاني خلال فترة حكم والده في عام ٩٨٦هـ/١٥٨٨م ضدّ بلدة معكال في وادي حنيفة وضد بلدات البديع، والسلميّة، واليمامة في منطقة الخرج بعد ذلك بثلاثة أعوام[٥]. استمرت حملات الشريف في نجد على نحو متقطع إلى ما بعد النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وقد نُقِل في المصادر النجدية والتاريخية أنه تمّ شن ثماني عشرة حملة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وعشر حملات في النصف الأول من القرن التالي.

ويبدو أن هدف هذه الحملات كان فرض سلطة الأشراف في نجد، والحصول على الإتاوات من الجماعات البدوية وكذلك المستقرة في هذا البلد. كان الأشراف، من حين إلى آخر، يهاجمون البلدات، ويعزلون بعض الرؤساء ويعينون آخرين غيرهم؛ ولكنهم كانوا دائماً يعودون إلى مكة بمواكب طويلة من الجمال التي جُمعت من البدو، وهي محمّلة بالقمح والتمور التي جُمعت من السكان المستقرّين[٦]. وعلى الرغم من ذلك، لم تتجذّر سلطة

---

(٤) قطب الدين النهروالي، **كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، طبعة ويستنفيلد (بيروت: مكتبة خياط، ١٩٦٤)، ج ٣، ص٣٨٥ ـ ٢٨٩، ودحلان، المصدر نفسه، ص٥١.

(٥) العصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص٣٦٩ ـ ٣٨٥ و٥١٢ ـ ٥١٣؛ ومحمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، تحت عنوان «تاريخ نجد»)، ورقة رقم ٩؛ وعثمان بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ط ٢ (الرياض: وزارة التعليم السعودية ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج ٢، ص٢٠٩، وعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦)، ورقة رقم ٤٦.

الأشراف في نجد، ويبدو أن كل شريف كان عليه أن يقود حملة من أجل جمع الإتاوة، وتثبيت سلطته هناك. لم يكن لنجد صلة بمكة، ولم يكن بوسع الأشراف أن يعينوا وكلاء في المنطقة سواء كانوا محليين أو تم إرسالهم من مكة، والذين من الممكن أن يدعموا سلطتهم، ويجمعوا الإتاوة، ويوفروا عليهم عناء القيام بالحملات كل عامين.

ويبدو أن أنشطة الأشراف في نجد قد اعتمدت على عدد من العوامل المرتبطة بالشؤون في مكة؛ مثل سلطة الشريف الحاكم، ووفرة المؤونات الغذائية في مكة، والعلاقات بين عشائر الأشراف في هذه المدينة. وكان الأشراف الأقوياء، مثل: الشريف حسن بن أبي نمي (٩٩٢ ـ ١٠١٠هـ/ ١٥٨٤ ـ ١٦٠١م)، وزيد بن محسن (١٠٤١ ـ ١٠٧٧هـ/ ١٦٣١ ـ ١٦٦٦م)، واثقين بالدرجة الكافية لترك مكة من دون الخوف من قيام مدّعٍ من أقاربهم بالاستيلاء على الشرافة في غيابهم، ويبدو أن كثيرين منهم قدْ جمعوا بين العمل والمتعة؛ لأنه كان من عاداتهم ترك أراضي تهامة المنخفضة والحارّة؛ حيث تقع مكة، خاصّةً خلال الربيع والصيف والذهاب إلى هضبة نجد الألطف مناخاً. وقد نُقِل أن عدداً من الأشراف الحاكمين إضافة إلى أعضاء بارزين في أسرهم قد ماتوا في نجد[(٧)].

اعتمدت مكة في مؤوناتها الغذائية على المناطق الزراعية المجاورة؛ مثل: الطائف، تَرَبة، وبيشه، وعسير، بالإضافة إلى النصيب السنوي من الحبوب الذي يرسله العثمانيون من مصر والشام. وفي هذا الصدد، فقد تمت مناقشة موضوع المؤونة الغذائية المرسلة من اليمامة إلى مكة في وقت بزوغ الإسلام في الفصل الأول. ويبدو أن إعادة الاستيطان والإسكان وما نتج من ذلك من نمو نجد الاقتصادي خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي والقرون التالية، قد جذب اهتمام حكام مكة؛ لذلك سعوا إلى بسط سيطرتهم على نجد بهدف تأمين مزيد من المؤونات الغذائية لمكة. ويذكر المؤرخ المكي العصامي صراحةً أن الشريف حسن بن أبي نمي أجبر رؤساء بلدة معكال والمنطقة المحيطة بها (وادي حنيفة) على الخضوع وحمل

---

(٧) العصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٣٨٥، ٤٠٢، ٤٠٥ و٤٠٧، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص١٩٥.

كمية مقبولة من منتجات بلدتهم له[٨]، ونُقل أن الشريف زيد بن محسن قد أخذ من أهل العيينة دراهم كثيرة وثلاثمئة جِمْل[٩].

لقد ازداد أفراد عشائر الأشراف، خاصة من العشيرة الحاكمة آل أبي نمي، بسرعة من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ولم تكن المخصصات السخية المرسلة من مصر وإسطنبول إليهم كافية لأعدادهم المتنامية، هذا وقد بدأ رؤساء الأسر غير الحاكمة في طلب نصيب في دخل الشريف الحاكم. الشريف إدريس بن حسن (١٠١٠ ـ ١٠٣٤هـ/١٦٠١ ـ ١٦٢٤م)، وهو حفيد أبي نمي الثاني، والذي ألزمته عشيرته بقبول حاكمَيْن شريكين ومشاركتهما في إيرادات الحكم[١٠]. وفي نهاية القرن سلم الشريف ثلاثة أرباع دخل الشرافة لرؤساء الأسر البارزة في عشيرته[١١].

بحث الكثير من أفراد عشيرة الشريف الساخطين، الذين لم يروا مستقبل لهم في حكم مكة، أو الذين خسروا المعركة أمام المنافسين الأقوياء، عن ثروتهم في نجد. جدير بالذكر أن الكثير من الحملات التي تمَّ شنها ضدّ القبائل البدوية والبلدات في نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي والقرن التالي؛ كان قد قام بها أفراد من هذه العشائر الذين لم يكونوا حكاماً أو شركاء في الحكم، مثل: محمد الحارث حمود بن عبد الله، وعبد العزيز بن هزّاع، ومحسن بن عبد الله. وكان أول اثنيْن في الحقيقة منافسيْن للشريف الحاكم[١٢].

وبعد أن خسر معركة شرافة مكة أمام سعد بن زيد في عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م، انسحب حمود بن عبد الله إلى نجد ويرافقه عدد من أفراد أسرته (بني عبد الله) وأشراف آخرون منشقون، وهناك جمع حوله عدداً من

(٨) العصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٩) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٠٨؛ ابن عباد يوضح أن ٣٠٠ حمل كانوا، تحديداً، مواد غذائية (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٩.

(١٠) العصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٣٩٢، ودحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٦٤.

(١١) دحلان، المصدر نفسه، ص٩٥ و١٠٠.

(١٢) المصدر نفسه، ٨٣ و٨٥ ـ ٨٦، والعصامي، المصدر نفسه، ج ٤، ص٥١٨ ـ ٥٢٠ و٥٢٨.

الجماعات البدوية، وشن حرباً على أي جماعة قبلية ترفض دفع إتاوة له، اعتادت دفعها لشريف مكة[١٣].

وثمة شريف منشق آخر، وهو أحمد الحارث، الذي انسحب أيضاً إلى بلدة الشعرا الواقعة في عالية نجد، وقد حثّه ابنه الطموح محمد على السعي للحصول على شرافة مكة. وفي عام ١٠٨٢هـ/١٦٧٢م حصلا على دعم حسن باشا، وهو والٍ عثماني، والذي منحهما هذا المنصب[١٤]. ولقد نشأت الاضطرابات بين الشريف الحاكم والولاة العثمانيين[١٥]، ورجع محمد الحارث وأبوه إلى نجد، وخلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، قاد محمد الحارث ست حملات ضد بدو نجد. وفي كل تلك الحملات، يبدو أنه كان يعمل لمصلحته هو وليس لمصلحة شريف مكة. وفضلاً عن ذلك يبدو أن أحمد الحارث وعبد العزيز بن هزّاع قد نصّبا نفسيهما حاكميْن في نجد[١٦] ولقد ترك الشريف محسن بن عبد الله، الذي تشاجر مع شريف مكة الحاكم، المدينة مع عدد من أبناء عمومته، وجمع المؤيدين من بين قبائل الحجاز الشرقية، واتجه إلى سافلة نجد، وهاجم قبائل بني حسين في سدير في عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧ ـ ١٧٢٨م، ودخل في مواجهة مع الجماعة القبلية القوية في الظفير في نواحي الخرج[١٧]، وأنقذه فقط تدخل علي بن غرير لمصلحته وهو شيخ بني خالد في الأحساء.

---

(١٣) المصدران نفسهما، ص٨٣، وج ٤، ص٥١٢ ـ ٥١٣ على التوالي.

(١٤) المصدران نفسهما، ص٨٥ ـ ٨٦، وج ٤، ص٥١٨ ـ ٥٢٠ على التوالي.

(١٥) Gerald de Gaury, *Rulers of Mecca* (London: Harrap, 1951).

(١٦) قامت المصادر النجدية ببعض الإشارات المختصرة. يقول ابن بشر في أحداث ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦ ـ ١٦٦٧م: «شريف نجد يومئذ كان أحمد الحارث وولاية مكة لآل يزيد»، ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص٢١٠، وذكر آل منقور وابن عباد أن الشريف عبد العزيز حكم في نجد. انظر: أحمد بن محمد المنقور، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحرير عبد العزيز الخويطر (الرياض: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ص٧٣، ومخطوطة ابن منصور، ورقة رقم ٢١. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه مراجع معزولة ومختصرة لا تستطيع أن تعطي فكرة واضحة عن سلطة هذين الشريفين في نجد.

(١٧) دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص١٨٣؛ البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، ورقة رقم ٧٤؛ ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ٢٣ ـ ٢٤، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

ومن الواضح أن نجداً قد جذبت اهتمام حكام مكة من النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وقد حاول الشرفاء الأقوياء في تلك الفترة توسيع سلطتهم عبر نجد وتعزيزها عن طريق تعيين قاضٍ شرعي في عالية نجد[١٨]. هذا وقد حال النزاع المستمر بين عشائر أشراف مكة الكثيرة، خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن التالي، دون تمكين حكمهم. وكان معظم جامعي الإتاوات، وقادة الحملات في تلك الفترة قراصنة يعملون لمصالحهم هم وليس لمصالح آخرين، وكان كثير من قبائل وبلدات نجد تدفع رسومها مرتين: مرة لشريف مكة، والأخرى لأحد منافسيه[١٩].

ولم تسفر سلطة الأشراف السياسية، التي يبدو أنها جاءت إلى نجد عن طريق قوة آل أبي نمي، وكذلك عن طريق النمو الاقتصادي والرخاء الذي شهدته نجد خلال القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية، عن أي تغيير في نظام الدولة السياسي. وقد تُركت البلدات والمستوطنات والجماعات القبلية، وحدها، لتحكم نفسها كما كان الحال من قبل. هذا ولم تتم أي محاولة لإيقاف أو منع الحروب الثائرة بين مختلف البلدات والقبائل أو لحماية عامة الناس المستقرين، من البدو، أو لضمان سلامة الطرق، وكلها واجبات أساسية تقع على كاهل الحاكم. وكان الهدف الوحيد للأشراف هو الحصول على الإتاوة؛ ولم يكن هؤلاء الأشراف بأفضل من أي جماعة قبلية مستغلّة.

---

(١٨) كان هذا القاضي محمداً بن أحمد القاضي الذي عاش خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، وأعاد كتابة الوثيقة المشهورة «وقف صبيح» في التاسع عشر من رمضان، عام ٩٨٦هـ/ ١٤٨١م. وتعين في بلدة الشعرا وهي مكان تجمع للبدو. وعلى الرغم من ذلك، فقد ورد أنه القاضي الوحيد الذي تمَّ تعيينه بواسطة الشريف في نَجْد. انظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ٣ ج (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨)، ص٧٩١ ـ ٧٩٢، وعبد العزيز المبارك، «وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية،» مجلة العرب، السنة ٢، العدد ١ (١٩٦٧)، ص٥٩.

(١٩) وهذا يفسر مقتل أحد علماء أشيقر من قبل الشريف عبد العزيز بن هزاع في عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م، والفتوى التي أصدرها آخر لأهل تلك البلدة بالإفطار خلال شهر رمضان من أجل حصاد المحاصيل عندما اقترب الشريف من بلدتهم في عام ١١٠٧هـ/١٦٩٦م. انظر: البسام، المصدر نفسه، ص١٦٧ و٥٧٧.

سلطة رؤساء الأحساء في نجد

في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، احتدمت النزاعات بين عشائر الأشراف في مكة، ولم يستطع الشريف الحاكم حفظ السلام حتى في مكة نفسها. ولقد تولى الحكم خمسة عشر شريفاً خلال تلك الفترة، كما تولّى عدد منهم الحكم لثلاث أو لأربع أو حتى لخمس مرات[٢٠]، وقد بدأ شيوخ بني خالد، الذين قاموا بطرد العثمانيين من الأحساء وتولوا حكم هذا البلد في عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م - كما نوقش في الفصل الثالث - في التنافس على سلطة الأشراف في نَجد؛ وبما أن أنشطة رؤساء الأحساء زادت خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، فإن أنشطة أشراف مكة قد تراجعت. وفي الوقت الذي سُجّل فيه اثنا عشر حدثاً متعلّقاً بأنشطة الأشراف في نجد، كان هناك ستة عشر حدثاً أو حملة قادها رؤساء الأحساء خلال الفترة نفسها.

وبحلول أربعينيات القرن الثاني عشر الهجري/ثلاثينيات القرن الثامن عشر الميلادي، حلَّ رؤساء الأحساء محلَّ الأشراف كأسياد لسافلة نجد. وعلى عكس حملات الأشراف، التي كانت موجّهة ضدّ كل من السكان البدو والمستقرين، كانت حملات شيوخ الأحساء موجّهة بشكل رئيس ضدّ الجماعات البدوية. ومن المحتمل أن يعزى هذا إلى حقيقة أن الأحساء كانت بلداً زراعياً، ولم يحتج حكامه إلى المنتجات الزراعية في نجد كما احتاج إليها أشراف مكة. وإضافة إلى ذلك، كان رؤساء الأحساء بدواً، بشكل رئيس، وكان من عادتهم قضاء الصيف في الأحساء، وبعد ذلك الانتقال مع قطعانهم إلى نجد لقضاء فصل الشتاء[٢١]. وربما كان صراعهم مع البدو بدافع التنافس على المراعي الخصبة، ومن الممكن أن تكون حملاتهم ضدهم بدافع حاجتهم إلى تأمين الطرق التجارية بين الأحساء ونجد التي كانت تقطعها الجماعات البدوية المتجولة، وتذكر المصادر عدة حالات

---

(٢٠) حول النزاعات بين شرفاء مكة في هذه الفترة، وتدخل المسؤولين العثمانيين في شؤونهم، انظر: دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص٨٠ وما بعدها، و
Gaury, *Rulers of Mecca*, p. 156 ff.

(٢١) محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، ٢ ج (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٩٦٠)، ج ١، ص١٣٠.

من الغارات والسلب والنهب ضدّ القوافل الخارجة من الأحساء والمتجهة إلى نجد قبل ضبط بني خالد الأوضاع في الأحساء[٢٢].

كانت الأحساء هي المنفذ الطبيعي والملائم للبحر بالنسبة إلى سافلة نجد، ومن خلالها، حصل التجار النجديون على سلع الهند وأجزاء أخرى من العالم[٢٣]. وكانت الأحساء بسبب منتجاتها الزراعية الوافرة، أيضاً ملجأ للنجديين في أوقات الشدّة. ويشار إلى أن السيطرة على نجد والأحساء بواسطة قوة سياسية وحيدة كتلك التي لدى بني خالد كانت نافعة لكلا البلدين، وأصبحت التجارة والسفر في ظل حكمهم أكثر أماناً مما كانت عليه في ظل حكم العثمانيين للأحساء الذين لم تمتد سلطتهم خارج المناطق المجاورة لواحات الأحساء والقطيف. وتشير حالات الاحتكاك القليلة المذكورة بين رؤساء الأحساء وسكان نجد المستقرين إلى شيوع العلاقة السلمية والتفاهم المتبادل بين رؤساء البلدات النجدية، ومن هم أعلى منهم. ولا بد من أن عامة الناس النجديين المستقرين قد استفادوا من سيطرة شيوخ بني خالد على الأقل لحمايتهم الطرق المؤدية إلى الأحساء.

ومثل أشراف مكة، فإن هيمنة شيوخ بني خالد في نجد كانت شكلية؛ إذ إنهم لم يتدخلوا في شؤون السكان المستقرين، وليس معروفاً ما إذا أخضعوا البلدات لأي شكل من أشكال فرض الضرائب. هذا ولا توجد إشارة على وجود أي وكيل أو ممثل عن رؤساء الأحساء في نجد؛ إذ كانت البلدات المتحاربة والمجتمعات تفصل في نزاعاتها بصورة مستقلة؛ لذلك، فإن سلطة رؤساء الأحساء لم يكن لها تأثير مهم في الظروف السياسية المحلية.

العلاقات بين سكان نجد البدو والمستقرين

بصرف النظر عن هجمات الجماعات البدوية على ماشية أهل نجد المستقرين وقوافلهم التجارية، وعن الرسوم وأموال الحراسة التي يحصلونها

(٢٢) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقات ١٧، ٢٢ - ٢٣، ٢٧، ٣٢، ٣٧ - ٣٨، ٤٢ و٤٨.

(٢٣) سليمان بن صالح الدخيل، «تحفة الألباء في تاريخ الأحساء،» مجلة العرب، العددان ٥ - ٦ (١٩٧٥)، ص٤٥٦ و٤٦٥.

من التجار والمسافرين على السواء، لم تفصّل المصادر النجدية في العلاقات بين البدو والمستقرين؛ إذ إن العداوة المتبادلة والمواجهات بين الطرفين قديمة قدمَ وجود هذين النمطين من الحياة. ولم تكن نجد استثناءً في ذلك في فترة ما قبل الدعوة الوهابية، وقد تمت الإشارة إلى عدم الثقة بين السكان المستقرين والبدو، بسبب الاضطرابات التي سببها الأخيرون للأولين، في الشعر الشعبي في تلك الفترة[(٢٤)].

ولا بد من أن الزيادة في عدد السكان البدو، من الفترة من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، أدّت إلى زيادة البدو الضغطَ على السكان المستقرين، وبسبب طردهم من المراعي الخصبة بواسطة الجماعات القبلية الوافدة والأقوى، بدأت الجماعات البدوية القديمة منافسة السكان المستقرين على المراعي التي يستخدمونها لإطعام حيواناتهم، وقد اشتملت معظم المواجهات المسجلة بين الطرفين على سرقة الحيوانات خاصة الخراف والجمال[(٢٥)].

إن وجود جماعات بدوية ضخمة ومتحاربة في نجد، وغياب حكومة مركزية تحمي السكان المستقرين، يعطي انطباعاً بأن السكان المستقرين كانوا خاضعين للسطو والنهب من قبل البدو، وإذا نظرنا على نحو دقيق نَجِد أن هجمات البدو المسجلة على بلدات نَجْد كانت نادرة، وتسجّل المصادر المتاحة عشر حالات فقط في القرن العاشر الهجري. أما الحالات المسجلة للقرن التالي كانت أقل من حيث العدد. وبالنسبة إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، تسجل المصادر إحدى عشرة مواجهة بين البدو والسكان المستقرين: ثلاثاً منها بدأها البدو، وخمساً منها قامت بها الجماعات البدوية بالتحالف مع الجماعات المستقرة ضد جماعات مستقرة أخرى، وثلاث غارات قامت بها جماعات مستقرة ضد أخرى بدوية.

ويبدو أن غياب حكومة مركزية في نَجْد قد علّم السكان المستقرين

---

(٢٤) عبد الله بن خالد الحاتم، خيار ما يلتقط من شعر النبط (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨)، ج ١، ص١٣٢ و١٣٤.

(٢٥) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقات ١٦ ـ ١٨، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٣ ـ ٣٤ و٤٣.

الاعتماد على أنفسهم في التعامل مع جيرانهم الأقوى، البدو. ولذلك، فقد نُظّمت العلاقات، وخُفّضَت المواجهات بين الطرفين. وفي معظم تلك المواجهات، فإن الحضر ردوا على غارات البدو وصدوها واستعادوا حيواناتهم المسروقة. ومن المثير للدهشة أن عدد المواجهات التي حدثت بين الجماعات المستقرة أكثر بكثير من المواجهات التي حدثت بينهم وبين البدو[٢٦].

وإلى ذلك، لا تذكر المصادر النجدية الإتاوة التي كان يدفعها الحضر للبدو[٢٧]، ويلاحَظ سابقاً أن بعض الجماعات المستقرة قد ضمّت قواتها إلى الجماعات البدوية ضدّ جماعات مستقرة أخرى، وقد سُجّلت تحالفات كهذه بين القبيلة البدوية الظفير وبلدات جلاجل والرياض وثرمدا، وعنيزة[٢٨]، وبين قبيلة سبيع البدوية وبلدة العيينة[٢٩] وبين بدو آل كثير وبلدتي الدرعية والعامرية[٣٠]، وبين بدو عنزة وبلدة منفوحة[٣١]. وربما تشير تحالفات كهذه إلى إقامة علاقات حماية بين هذه البلدات، والبدو محل النقاش.

تجاوزت العلاقة بين البدو والمستقرين في نجد الأنشطة الحربية؛ فالجماعات البدوية في عالية نجد كانت ترسل قوافلها سنوياً في موسم الحصاد إلى مستوطنات سافلة نجد وبلداتها لبيع الزبد والصوف والجلود والحيوانات، وللحصول على مؤونات التمور والقمح والسلع الضرورية الأخرى مثل: الأسلحة، والمعدّات، والأواني، والقماش. وفي الصيف

---

(٢٦) لمعرفة المزيد حول المواجهات والصراعات بين الجماعات الحضرية، انظر أدناه.

(٢٧) قيل إن قرى شرقي الشام وجنوب العراق، كانت تدفع إتاوة للجماعات البدوية القوية في هذه المناطق، مثل: عنزة، والمنتفق. انظر:

John L. Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys* (London: H. Colburn and R. Bentley, 1830), pp. 2-4 and 109-110, and Carsten Niebuhr, *Travels through Arabia and Other Countries in the East*, 2 vols. (Edinburgh: R. Morison and Son, 1792), vol. 2, pp. 170-171.

(٢٨) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ٤٢ ـ ٤٣ و٤٧؛ حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، حرره وحققه ناصر الدين الأسد (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦١)، ص٩٠؛ ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٢٨ و٢٣٩، والبسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٧٧.

(٢٩) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٣٣ و٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٣٩؛ الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٤١ ـ ٤٢.

عندما تكون المياه والمراعي نادرة في الصحراء، والبلح لا يزال على أشجار النخيل، تعسكر جماعات بدوية كثيرة بالقرب من البلدات والمستوطنات المحيطة بسافلة نجد.

بسبب هذه الاحتياجات المتبادلة، أقامت بعض الجماعات القبلية علاقات ودّية مع عدد من البلدات؛ بغرض تأمين إمدادات كهذه. وعلى الأرجح كانت هذه الجماعات البدوية قد عملت أيضاً كحامية لأصحابها ضد عدوان الجماعات البدوية الأخرى، أو ضد مشاركة الجماعات البدوية الأخرى هذه الإمدادات مقابل الحصول على أموال أو مزايا إضافية من البلدات. وتخبر الروايات الشفوية المحلية في بريدة عن ترتيبات كهذه مع بدو الظفير[٣٢]؛ إذ كان للسكّان المستقرين إخوة (أصحاب) بين البدو يستطيعون استعادة كل الممتلكات، والحيوانات التي يأخذها أفراد قبائلهم[٣٣]. دفع رسم «الإخاوة» (أو رسوم الحماية) «لإخوتهم» من البدو.

كان المسافرون والتجار ملزمين بدفع ضرائب لشيوخ الجماعات البدوية التي كانوا يمرون عبر أراضيها، أو عليهم أن يستأجروا من القبيلة التي يمرون بحماها خاوياً أو رفقة للحراسة ويكون من بين الأفراد البارزين في هذه الجماعات البدوية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الممارسة، وكذلك كل الرسوم المفروضة من البدو قد وضع الوهابيون حدّاً لها[٣٤].

وفي ظلّ غياب سلطة رادعة في نجد ما قبل ظهور الحركة الوهابية، استخدمت الجماعات البدوية تفوّقها في الحرب لفرض نفوذها على المجتمعات المستقرة والحصول على رسوم الحماية، وعلى الضرائب من المسافرين. ولا توجد إشارة في المصادر إلى أنّ أشراف مكة أو رؤساء الأحساء قد عملوا ضدّ الجماعات البدوية لمصلحة السكان المستقرين أو

---

(٣٢) محمد بن ناصر العبودي، **بلاد القصيم** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩)، ص٤٨٧ ـ ٤٨٩.

(٣٣) محمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، حرره محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ (الرياض: المؤلف، ١٩٧٢)، ج ٢، ص١١٨ ـ ١١٩، و John L. Burckhardt, *Travels in Arabia* [reprint from the London: Henry Colburn, 1829) (Beirut: Librairie du Liban, 1972), p. 461.

(٣٤) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص١٧٠، والبسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ١٠٤.

حتى حاولوا حمايتهم. وكما لوحظ سابقاً، فإن السكان المستقرين تولوا حماية أنفسهم ضد الأطراف البدوية المغيرة. وفضلاً عن ذلك، فقد قيل إن بلدات مثل: العيينة، وحريملا، قد هاجمت أعداءها البدو خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري[٣٥].

ويبدو أن عدم وجود سلطة حماية في نجد، وهي الحاجة المشتركة بين عامة الناس النجديين المستقرين منهم والبدو، بالإضافة إلى نمو البلدات النجدية طيلة القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي والقرن التالي، قد مكّنا السكان المستقرين من التعامل بشكل فعّال مع البدو واستوجبا التعاون بين الجماعات من كلا الجانبين؛ لذلك، فقد خُففت المواجهة بين الجانبين.

الظروف السياسية والاجتماعية في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري

كما لوحظ في الفصل الرابع شكّلت بلدات نجد ومستوطناتها كيانات سياسية مستقلة يحكمها رؤساؤها. ومن وقت بني الأخيضر، لم يُنقل أنّ أي حاكم محلي بسط سلطته على كامل نجد أو حتى قسم كبير منها، وكما لوحظ أيضاً فإن نفوذ أشراف مكة ورؤساء الأحساء لم يتبدّل أو يتدخّل في النظام السياسي للنجديين. استمر رؤساء البلدة في حكم بلداتهم وقدّموا ـ عند الضرورة ـ الهدايا أو الإتاوات لساداتهم.

وكانت سمة سكان نجد المستقرين السياسية الأخرى هي القتال اللانهائي الذي ثار حتى بين البلدات الأكثر قرباً من بعضها بعضاً. وتظهر مصادر نجدية أن حالات المواجهة والغارات بين أهل بلدات نجد ومستوطناتها خلال القرن الذي سبق الحركة الوهابية، كانت أكبر من الحالات التي حدثت بين الجماعات البدوية في تلك البلد خلال الفترة نفسها. ويشير الجدول الرقم (٦ ـ ١) إلى عدد المواجهات التي اشتركت فيها بلدات نجد خلال هذه الفترة.

(٣٥) المصدران نفسهما، ج ٢، ص٢٢٥ و٢٢٧، والورقات ٥٣، ٦١ و٦٤ على التوالي.

الجدول الرقم (٦ ـ ١)
حالات المواجهة في بعض البلدات النجدية[٣٦]
خلال القرن الذي سبق ظهور الوهابيين

اسم البلدة	١٠٥٠ ـ ١١٠٠هـ	١١٠٠ ـ ١١٥٠هـ
العيينة	٦ حالات	١٧ حالة
حريملا	٧	٧
جلاجل	٤	٦
التويم	٢	٥
ثرمدا	٢	٥

يبدو أن الدافع الظاهر لهذه الصراعات الداخلية بين بلدات نجد كان هو التنافس على أرض المرعى، وموارد المياه التي تقع في ناحيتها، التي استخدمها الحضر لرعي قطعانهم أو للزراعة بعد الموسم المطير. وقد كانت المراعي وأراضي الزراعة التي تقع بين البلدات المتجاورة محل نزاع بين السكان في أغلب الأوقات. وكما لوحظ سابقاً، فقد كان لكل بلدة حماها الذي ضمّ المراعي وأراضي الزراعة الجافة، والكثير من حالات النزاع المسجلة كانت على قطعان الخرفان أو الجمال أو جامعي العشب[٣٧].

كان التنافس على بسط النفوذ والسيطرة على المستوطنات الصغيرة المجاورة مصدراً آخر للصراع، وتوجد أمثلة وثيقة الصلة بالموضوع في الوقائع التي نشبت بين العيينة وحريملا على مستوطنات ملهم والقرينة الأصغر حجماً في وادي قرّان من ناحية، والصراعات التي حدثت بين العيينة والدرعية على مستوطنات العامرية وعرقة في وادي حنيفة من ناحية أخرى[٣٨].

---

(٣٦) المعلومات في هذا الجدول تمّ جمعها من المصادر النجدية المستخدمة في هذه الدراسة.

(٣٧) ابن عباد (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ٢٢؛ الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقات ١١، ١٦ ـ ١٧ و٣٥؛ ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٢، والبسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة)، ورقة رقم ٥٠.

(٣٨) الفاخري، المصدر نفسه، الورقات ١٦ ـ ١٩، ٢٩ و٣٣، وإبراهيم بن صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، قام بتحريره حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦)، ص٧١.

وقد حرّكت الجزءَ الأكبر من الصراع بين بلدات نجد ظاهرةٌ اجتماعيةٌ واسعة الانتشار في مجتمع نجد، وأعني النزاعات بين مختلف الجماعات التي تأهل بلدة واحدة، خاصة داخل عشيرة الرؤساء، وعندما يشب نزاع بين أهل بلدة معينة فإن الطرف المهزوم يلجأ إلى بلدة مجاورة أخرى يوجد لديه فيها أصدقاء أو أقارب له. وعادة ما يحاول هؤلاء اللاجئون الرجوع بالقوة إلى بلدتهم بمساعدة مضيفيهم، وكان هناك دائماً رؤساء يتمتعون بالشهامة وبكرم الأخلاق ومستعدين لتقديم المساعدة لجماعات مطرودة كهذه؛ حتى ولو كان ذلك يعني المواجهة الطويلة بين البلدتين. ويبدو، على الرغم من ذلك، أن هؤلاء الرؤساء لم تكن دوافعهم دائماً نبيلة محضة؛ ولكنهم أيضاً قد استفادوا من هذه المغامرات. وقد أعطى سكان قصر البواهل نصف ممتلكاتهم لرؤساء عنيزة مقابل مساعدتهم ضدّ خصمهم السديري[39]. وإلى ذلك، فالنزاعات التي نشبت بين حرمة والمجمعة[40]، وبين جلاجل والروضة[41]، وبين جلاجل والحصون[42]، وبين القصب والحريق[43]. هي أمثلة على نزاعات داخلية في البلدات والتي سببها الشجارات الداخلية بين أسر الرؤساء في بعض هذه البلدات.

وفي الوقت ذاته، كان الصراع بين الجماعات المختلفة داخل البلدات النجدية أيضاً ظاهرة واسعة الانتشار، عكّرت سلام المجتمع المستقر وثباته. ولم تنج أي بلدة أو مستوطنة كبيرة الحجم أو صغيرة من تلك المشكلة[44]. وخلال فترة النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (١٦٨٨ ـ ١٧٣٨م)، تسجّل المصادر أربعة عشر نزاعاً داخلياً من أجل أشيقر، وسبعة

---

(٣٩) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ص٦١٩.

(٤٠) البسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقتان ٦٩ و٧٢.

(٤١) الفاخري، تاريخ الفاخري (مخطوطة)، الورقات ٣٦ ـ ٣٧ و٤٦.

(٤٢) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص٦٤ ـ ٦٥ و٧٩ ـ ٨٠.

(٤٣) المصدر نفسه، ص٨١ ـ ٨٢، وابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص٢٢٥ و٢٣٦.

(٤٤) دوافع النزاعات بين الرؤساء بعضهم بعضاً، وبينهم وبين الجماعات الأخرى (الجيران) في البلدة تمت مناقشتها في الفصل الرابع.

من أجل عنيزة، وأربعة من أجل ثرمدا، وستة من أجل الدرعية. وقد أصبحت هذه النزاعات، أحياناً، شديدة جداً ومدمرة حيث تُقَسَّم البلدات إلى أحياء متحاربة ومتناحرة عديدة؛ فقد تم تقسيم كل من الدرعية وحريملا وأشيقر إلى حيين[٤٥]، بينما قُسِّمت كلّ من الروضة والتويم وعنيزة إلى أربعة أحياء منفصلة مرة أو مرتين خلال الفترة نفسها[٤٦]، وذلك نتيجة نزاعات كهذه.

وبالإضافة إلى التسبّب بالتوتر والمواجهات بين مختلف البلدات، وبالتالي الحد من الاتصالات بين مجتمعات نجد، فإن هذه النزاعات أسهمت أيضاً في خلق جو من الخوف، وعدم الأمان بين أهل البلدة، وكما أنها كانت تؤدي، غالباً، إلى إزهاق أرواح كثيرة وتدمير الممتلكات. وفي ظل بيئة فوضوية ومضطربة كهذه لا يوجد فيها أمان على الحياة أو الممتلكات، دفع النمو الاقتصادي والاجتماعي الثمن.

تطور القوى السياسية الإقليمية

وعلى الرغم من الحالة المتشرذمة والسياسة التي توجهها النعرات القبلية التي كانت سائدة في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (١٦٨٨ - ١٧٣٨م)، خَبِر عامة الناس المستقرين في نجد ما يمكن أن يعدّ، إلى حدٍّ ما، تطوراً سياسياً جديداً خلال تلك الفترة، فقد بدا أن عدداً من القوى السياسية الإقليمية بدأت بالظهور في وادي حنيفة، والوشم، والخرج، وسدير، والقصيم؛ ممثلةً برؤساء العيينة، وثرمدا، والدّلم، وجلاجل، وعنيزة. وبدأ رؤساء هذه البلدات في بسط نفوذهم وسيطرتهم على بعض البلدات والمستوطنات في الأقاليم التابعة لهم.

---

(٤٥) لمزيد من المعلومات حول حريملا، انظر: ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٦٨. ولمزيد من المعلومات حول الدرعية، انظر: الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، الورقة ١٠، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٠٨.

(٤٦) لمزيد من المعلومات حول الروضة، انظر: أحمد بن محمد المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة** (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ج ١، ص٤٦١؛ لمزيد من المعلومات حول التويم، انظر: ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٩. ولمزيد من المعلومات حول عنيزة، انظر: ابن مانع (في ابن عيسى)، ص٢٣٣ - ٢٣٤.

العيينة

رأينا في الفصل الرابع كيف حاول آل معمر، رؤساء العيينة، بسط نفوذهم وسيطرتهم على جيرانهم، وقد بدأت الأنشطة التوسعية لهم خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وقد حاولوا السيطرة على مناطق وادي قرّان إلى الشمال، وكذلك الجزء الأوسط من وادي حنيفة إلى جنوب العيينة. وقد حُدِّت طموحات آل معمر بسبب المقاومة العنيدة لحريملا إلى الشمال والدرعية إلى الجنوب. وفي السياق ذاته، وصف المؤرخون النجديون عبد الله بن معمر (١٠٩٦ ـ ١١٣٨هـ/ ١٦٨٥ ـ ١٧٢٥ ـ ١٧٢٦م) بأنه الرئيس الأكثر نفوذاً وثراءً الذي عرفته نجد، كما وصفت بلدته العيينة بأنها الأكبر والأكثر رخاءً والأكثر سكاناً في نجد[٤٧].

ثرمدا

لقد تمّت مناقشة توسّع العناقر ونموهم في ثرمدا أيضاً في الفصل الرابع؛ ففي بداية القرن الثاني عشر الهجري، تولى آل ناصر الرئاسة، وهم فرع من العناقر. وقد استمر شيخاهما الطموحان بدّاح بن بشر (١١١٦ ـ ١١٣٦هـ/ ١٧٠٤ ـ ١٧٢٤م) وخليفته إبراهيم بن سليمان في توسيع سلطتهما على مستوطناتهما القديمة مرات وأثيفية وتدعيمها، وقد دخلا في صراع مع أبناء أعمامهم، رؤساء مرات، واستعارا النفوذ على مستوطنة أثيفية[٤٨]، التي تمردت نتيجة حالة الغضب التي سببها الشاعر حميدان الشويعر[٤٩]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد مدّا أيضاً سلطتهما على مستوطنة الوقف[٥٠]، ودخلا في خصام مع أهل ثادق ورغبة وأشيقر وشقرا[٥١]. كان إبراهيم

(٤٧) الفاخري، **تاريخ الفاخري (مخطوطة)**، الورقتان ٣٩ ـ ٤٠، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢١٦.

(٤٨) ابن عباد وابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، الورقتان ٤ و٢٢، ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٨.

(٤٩) الحاتم، **خيار ما يلتقط من شعر النبط**، ج ١، ص١٣٤، وعبد الله بن محمد بن خميس، **معجم اليمامة** (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨)، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٥٠) ابن يوسف (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة ٤.

(٥١) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٢٨، ٢٣١ و٢٣٩، و**مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب** (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، [د. ت.])، ج ٥، ص٢٩٢ ـ ٢٩٣.

ابن سليمان أحد أقوى خصوم الحركة الوهابيّة، وقد استطاع منع الكثير من البلدات في إقليمه بالوشم من الانضمام إلى الحركة الجديدة، كما أنه تعاون أيضاً مع خصوم الوهابيين في أقاليم أخرى؛ وذلك للحدّ من توسعهم[٥٢]، وعندما توفي في عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧ ـ ١٧٦٨م، استسلم سكان الوشم للوهابيين[٥٣].

الدلم

كان رؤساء جنوب نَجْد الأكثر نفوذاً خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري؛ هم آل زامل في الدلم في الخرج. وتشير المقاومة الطويلة لآل زامل لانتشار الحركة الوهابية في الخرج وباقي جنوب نَجْد، على الرغم من قرب الدلم من الدرعية، إلى قوة هؤلاء ونفوذهم في تلك المنطقة، وهم ساعدوا دهّام بن دواس في الرياض، وحشدوا دعم الجماعات القبلية القوية في الجنوب، آل مرة وبني يام معاً، بالإضافة إلى رؤساء الأحساء، ضدّ الحركة الجديدة[٥٤]. كان الوهابيون غير قادرين على السيطرة على الدلم حتى نشأ نزاع داخل عشيرة آل زامل، والذي جعل بعض أفراد هذه العشيرة يطلبون الاحتماء في الدرعية في عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤ ـ ١٧٨٥م[٥٥]، وقد خضعت في هذا العام نفسه بلدان أخرى في المناطق الجنوبية للخرج والفرع وأرسلت وفودها للدرعية[٥٦].

جلاجل

كانت جلاجل إحدى البلدات حديثة المنشأ في إقليم سدير؛ ولكن كما شاهدنا في الفصل الثالث، فإن الأسرة الرئاسية آل عامر أصبحت من أنشط

---

(٥٢) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٩٤، ٩٨، ١٠٥ و١١٨، ومقبل الذكير، **تاريخ الذكير** (مخطوطة حفظت في المكتبة التابعة لجامعة بغداد، تحت عنوان «تاريخ مكة»)، ج ١، الورقتان ١٣ ـ ١٤.

(٥٣) الفاخري، **تاريخ الفاخري** (مخطوطة)، ورقة رقم ٥٧.

(٥٤) ابن غنام، المصدر نفسه، ص١٢٤، ١٣٩ ـ ١٤٠، ١٤٣ و١٥١، والذكير، المصدر نفسه، ج ١، ورقة رقم ١٥.

(٥٥) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٦٥، والبسام، **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة) ورقة ٩٢.

(٥٦) المصدران نفسهما، وابن غنام، المصدر نفسه، ص١٥٩ ـ ١٦١.

رؤساء تلك المنطقة وأكثرها نفوذاً وسيطرة خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري والنصف الأول من القرن التالي[٥٧]. تصرف آل عامر كمعيّني ملوك في سدير؛ إذ قاموا في عام ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، بطرد رؤساء مستوطنة الحصون، واستبدلوا بهم أسرة رئاسية أخرى[٥٨]. وفي عام ١١١١هـ/ ١٧٠٠م، أقنعوا أبناء رئيس البلدة نفسها بطرد أبيهم والاستيلاء على السلطة[٥٩].

ولقد زادت طموحات رؤساء جلاجل خلال حكم محمد بن عبد الله بن إبراهيم (ت. ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، والذي بدأ فرض سلطته على البلدات البارزة في سدير. وفي عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣م، استولى محمد بن عبد الله بن إبراهيم على بلدة الروضة، وسمح لعشائر هذه البلدة الذين طُردوا من قبل بالعودة إلى وطنهم وإعادة بناء أحيائهم، واستبدل أيضاً رؤساء الحوطة والجنوبية[٦٠]، وفي عام ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م، ساعد رئيس بلدة التويم الذي تمَّ طرده سابقاً على استعادة حكمه عن طريق السيطرة على البلدة وطرد أعدائه منها. وفي العام نفسه أيضاً، سيطر على بلدة الحصون وعيّن شيخاً من اختياره عليها[٦١]، ثمّ قام بعد ذلك بخمس سنوات أهل جلاجل بمساعدة آل محمد من أشيقر على استعادة الأحياء الخاصة بهم في تلك البلدة[٦٢]. ويتضح نفوذ رؤساء جلاجل في سدير أيضاً من خلال المنطقة التي استسلمت لحكم الوهابيين؛ إذ إنهم عندما استسلموا في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣ ـ ١٧٦٤م، تبعهم في ذلك باقي بلدات سدير، وخضعت للقوة الجديدة[٦٣].

---

(٥٧) قوة رؤساء جلاجل في هذه الفترة شهد بها الشاعر الشويعر الذي نصح رئيس الروضة بالتحالف معهم إذا أراد الأمن، انظر: الحاتم، **خيار ما يلتقط من شعر النبط**، ج ١، ص١١٠.

(٥٨) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ١٤.

(٥٩) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ٢، ص٢٢٤.

(٦٠) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٢؛ الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٣٦ ـ ٣٧، وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**، ص٩٤.

(٦١) ابن ربيعة (في مخطوطة ابن منصور)، ورقة رقم ١٣؛ الفاخري، المصدر نفسه، الورقتان ٤٢ ـ ٤٣، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٣٩.

(٦٢) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٦٣) الفاخري، المصدر نفسه، ورقة رقم ٥٥، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ١، ص٥٦.

عنيزة

كانت المستوطنات المختلفة التي كونت بلدة عنيزة، مستقلة بعضها عن بعض؛ حتى بداية القرن الثاني عشر الهجري عندما اتحدت تحت قيادة عشيرة آل فضل[٦٤]. وعلى الرغم من الغيرة بين جماعاتها القبلية العديدة، والتي اشتعلت من وقت إلى آخر، وتسببت في انتقال الزعامة من جماعة إلى أخرى، فإن عنيزة ظلّت متحدة. وفي النصف الثاني من القرن، مرت عنيزة بفترة استقرار ورخاء[٦٥]، وحاولت البلدة بسط نفوذها على مستوطنة بريدة المجاورة[٦٦]؛ ولكن تحالف بريدة مع قوة الوهابيين الصاعدة مكّنتها من الحفاظ على استقلالها، وليس هذا فحسب بل إنها تنافست مع عنيزة على السلطة في منطقة القصيم.

ويتضح من خلال هذا السرد للتطور السياسي لبعض بلدات نجد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي أن القوى السياسية الإقليمية كانت في طور النمو في معظم المناطق. وقد تمثّلت تلك القوى بعدد من الرؤساء الطموحين الذين حاولوا بسط نفوذهم على بلدات ومستوطنات أخرى في مناطقهم. وبصفة عامة، فإن نجاح هؤلاء الرؤساء كان محدوداً، ويبدو أن تحصّن مجتمع نجد وشرذمته وطبيعته القبلية والاستقلال الطويل للبلدات التي لم تشهد سلطة مركزية لقرون، كانت هي العقبات الرئيسة التي واجهها هؤلاء الرؤساء. وبالإضافة إلى ذلك، فإنهم لم يستطيعوا عرض أي أيديولوجيا موحّدة يمكن أن تدفع سكان البلدات الأخرى للخضوع لسلطتهم.

ويبدو أن النمو السكاني والتطور الاقتصادي لهذه البلدات والناتج من هذا النمو ممثّلاً في التوسّع في الزراعة، والتعامل التجاري فيما بينها، وبين هذه البلدات والجماعات القبلية، كان هو الحافز الذي مهّد الطريق، وشجّع الرؤساء على الخوض في هذه السياسات التوسعية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن توافر المزيد من القوة البشرية والإيرادات ساعدهم على التقدّم في نفوذهم

---

(٦٤) انظر ما سبق، الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٦٥) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص١٠٨، والبسام، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوطة)، الورقتان ٧٧ و٧٩.

(٦٦) ابن عيسى، المصدر نفسه، ص٧٩ و١٠٦.

وسيطرتهم على البلدات الأخرى في أقاليمهم. وعلى الرغم من التأثير المحدود في نظام نجد السياسي، فإن ظهور هؤلاء القادة الإقليميين كان مؤشراً على ظهور رؤية سياسية جديدة. وقد بدأ أهل مختلف بلدات نجد ومستوطناتها خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، في التعريف بهوياتهم داخل مناطقهم، وسمحوا بالاعتماد المحدود على أقوى رؤساء مناطقهم، وكان هذا واضحاً من الطريقة التي تعاملوا بها أمام التوسّع الوهابي. فقد اتبعت البلدات والمستوطنات المختلفة الخطوات السياسية لرؤساء مناطقهم الأكثر نفوذاً بتفاوت، وكذلك بالخضوع للوهابيين.

الظروف الدينية

ولد الإسلام في الجزيرة العربية؛ ولكن مركز الحكم الإسلامي والتعليم والثقافة انتقل إلى مواقع خارج الجزيرة العربية في أقل من نصف قرن. وبصرف النظر عن المدينتيْن المقدستيْن مكة والمدينة، فإن بلدات اليمن وبلدات قليلة وواحات متناثرة عبر الصحراء وسكان الجزيرة العربية ـ خاصّة البدو ـ فقدوا الاتصال تدريجياً مع مفاهيم الإسلام وبدؤوا في العودة إلى تقاليدهم ومعتقداتهم القديمة.

الظروف الدينية في أوساط بدو نجد

إن المصادر المتعلقة بظروف بدو نجد الدينية في الفترة التي سبقت ظهور الحركة الوهابية نادرة جداً. إن معظم معلوماتنا حول هذا الموضوع تأتي من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، خاصّة من المناقشة الحادة بين الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب وخصومه من العلماء في نجد وأنحاء أخرى من الجزيرة العربية، ويمكن استخلاص ذلك من خطابات هذا الشيخ وكتاباته وأتباعه وخصومه، والتي مفادها أن معظم بدو نجد كانوا يؤمنون بوجود الله وبوحدانيته، بأن محمداً رسول الله. وعلى الرغم من ذلك، فإن معظمهم أهملوا أداء الفروض، أو الالتزام بالتشريعات التي ذكرها القرآن والأحاديث النبوية الشريفة[٦٧].

(٦٧) حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى (الطائف: =

لم يؤمن معظم بدو نجد بالبعث بعد الموت، كما أنهم لم يؤدوا الصلوات أو الصيام خلال شهر رمضان، ولم يدفعوا الزكاة. هذا ولم يُسمح لنسائهم بأخذ نصيبهن الشرعي من الميراث، وقد طبقوا العدالة وفقاً لقوانينهم التقليدية (الحق أو العرف)، واعتقدوا بأن الدين والقرآن يعنيان أهل الحضر فقط[٦٨].

الظروف الدينية في أوساط السكان المستقرين

على عكس البدو، كان معظم السكان المستوطنين في نجد قبل الدعوة الوهابية ملتزمين دينياً، ويؤدّون الصلاة في المساجد؛ وما يدل على ذلك هو وجود المساجد وعلماء الدين في معظم بلدات نجد ومستوطناتها. لقد كان الشعور الديني، وصفة الورع عند أهل نجد واضحيْن أيضاً من خلال تقديم الوقف للمساجد وأئمتها، والصدقات المنتظمة المقدمة للمساكين والفقراء خلال شهر رمضان، ومن خلال المسائل والأسئلة الدينية والشرعية الكثيرة التي كانوا يستفتون فيها[٦٩]، وقد كانت هذه الأسئلة تُطرح على العلماء النجديين وتظهر رغبة السكان في العيش وتسيير حياتهم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ومعاييرها.

لم تكن الظروف الدينية بين عامة الناس المستقرين في نجد قبل الدعوة الوهابية مختلفة كثيراً عن تلك الظروف الموجودة في دول أخرى من العالم الإسلامي في ذلك الوقت. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تراكمت ممارسات البدع والخرافات الدينية عبر القرون. هذا ولم تكن البدع الدينية التي كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعارضها أوسع انتشاراً في نجد منها في الدول الإسلامية الأخرى. ففي الواقع، كانت تلك البدع أقل انتشاراً في نجد منها في المناطق المحيطة بها ذات المستوى العالي من التحضّر؛ حيث إن نجداً

= دار الثقافة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٢٩، ٣٢ و٣٤؛ انظر أيضاً: مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القصل الأول ١، ص٣٦٠ ـ ٣٦٢. انظر أيضاً:

Burckhardt, *Notes on the Bedouins and the Wahabys*, p. 160.

(٦٨) ابن غنام، تاريخ نجد، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥، ٣٣٥ ـ ٣٣٦ و٣٩٢. انظر أيضاً: مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ج ٥، ص٢٥ ـ ٢٦، ٤١ ـ ٤٢، ٢٠٩ و٢٣٥، وج ٣، ص٣٩.

(٦٩) أفضل مصدر يحفظ العدد الضخم من هذه المسائل الدينية والقانونية هو: **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، لأحمد المنقور (توفي في ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م).

كانت تقريباً بلداً ريفياً، وكان سكانها المستقرون أناساً بسطاء، كما أنهم لم ينغمسوا في المعتقدات الدينية الملتبسة، أو يتمسكوا بالفرائض المعقدة وممارسات العبادة أيضاً.

كانت الممارسات الدينية التي عارضها ابن عبد الوهاب خليطاً من المعتقدات والعبادات التي سبقت الإسلام مثل: تعظيم الأشجار، والكهوف، والأشياء الطبيعية الأخرى. وبعض الممارسات الجديدة مثل: تقديس الأولياء، وزيارة القبور. ويذكر أن القليل من الكهوف والأشجار قد ذكرتها المصادر كأشياء تُعدُّ محلّ تبجيل في وادي حنيفة(٧٠)، وقد كان عدد من القبور موضع تبجيل أيضاً، وكان يزورها الناس، على سبيل المثال: قبر زيد بن الخطاب (أخو الخليفة الثاني)، وقبر ضرار بن الأزور، وآخرين من صحابة الرسول محمد الذين استشهدوا في حروب الردّة(٧١). كان يوجد في نجد أيضاً أولياء وصالحون خاصّة في إقليم الخرج، ومعظمهم ادّعوا أن نسبهم يعود إلى سيدنا محمد وسافروا من بلدة إلى أخرى مدّعين الإتيان بالمعجزات، وأنهم ذوو رتبة دينية مميزة، يساعدون الناس في مشاكلهم، ويقبلون الهدايا والهبات، وكان شمسان وإدريس وأبناؤهما الأكثر تبجيلاً من بين هؤلاء الأولياء(٧٢).

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعدُّ أماكن الزيارة وأنشطة الأولياء بدعاً؛ حيث تعمل هذه الأماكن وتلك الأنشطة كوسطاء بين الله والناس، وهذا شكل من أشكال العبادة يجب أن لا يكون إلّا لله وحده؛ لذلك فقد أصبحوا شركاء مع الله وهذا يناقض عقيدة التوحيد الصحيحة في الإسلام(٧٣).

أما المؤسسة النجدية الأخرى التي تعرضت للنقد والتغيير فكان نظام القضاء؛ فالقاضي قبل فترة الدعوة الوهابية كان يفصل في المشاكل القضائية

(٧٠) ابن غنام، المصدر نفسه، ص١٢.
(٧١) المصدر نفسه، ص١١ ـ ١٢ و٧٨.
(٧٢) المصدر نفسه، ص١٢، ١٩٤، ٣٣٢ ـ ٣٣٣، ٣٤٢ ـ ٣٤٣، ٣٦٥ ـ ٣٦٧، ٤٧١ و٤٧٥.
(٧٣) المصدر نفسه، ص٣١٠، ٣٢٨ ـ ٣٢٩، ٣٤٢ ـ ٣٤٣ و٣٦٥ ـ ٣٦٧.

في المسجد أو في منزله أو حتى في الشارع أو في السوق، وكانت تتمُّ تسوية الكثير من القضايا عن طريق التصالح والاتفاق وتنتهي الحالات من دون تسجيل لها[٧٤]، وربما كان القضاة يفضلون هذه الطريقة؛ لأنه لم توجد سلطة تنفيذية قوية لتطبيق الأحكام. أما الأحكام التي كانت تتضمن مبايعة العقارات أو الأوقاف أو الوصايا أو الميراث أو القضايا الجنائية وما شابه ذلك، فكانت تتمُّ كتابتها على الورق[٧٥].

لم يتقاضَ القضاة قبل الدعوة الوهابية أية رواتب بصورة منتظمة، ومعظمهم كان يكسب عيشه من خلال الزراعة أو التجارة، وفي بعض المجتمعات كانت تخصص الأوقاف لأئمة المساجد وقضاة المجتمع[٧٦]، وقد حصل القضاة أيضاً على جزء من دخلهم من المتقاضين الذين كان يُطلب منهم دفع أجر للقاضي مقابل الفصل في القضية. ويبدو أن هذه الأجور كانت عالية ومحلَّ جدل لدرجة أنها كانت تخلق نقاشاً ونقداً من قبل العلماء وكذلك عامة الناس. وكان حسين الشافعي، وأحمد بن عطوة من أشهر علماء العارض في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وكانا يريان أن القاضي يجب أن يكتب حكمه إذا طلب منه ذلك المتقاضي، ويمكن للقاضي أن يتقاضى أتعاباً منه نظير الجهد والورق الذي قام بتوفيره، ومع ذلك، إن بسط العدل كان من واجب القاضي، ويجب أن يتاح العدل من دون مقابل[٧٧]. وذهب ابن عطوة إلى أبعد من ذلك، وحدد النسبة المئوية من الممتلكات التي هي محل النزاع، والتي يستطيع القاضي أن يتقاضاها[٧٨].

ويبدو أن هذه الأجرة كان يُساءُ استخدامها من قبل بعض قضاة نجد؛ ولذلك زادت حدّة الانتقاد التي كانت موجّهة ضدّهم خلال القرن الثاني عشر

---

(٧٤) منصور الرشيد، «قضاة نجد أثناء العهد السعودي،» مجلة الدارة، السنة ٢، العدد ٤ (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

(٧٥) المصدر نفسه.

(٧٦) عبد الله الصالح العثيمين، «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب،» مجلة الدارة، السنة ٤، العدد ٣ (١٩٧٥)، ص٣٧.

(٧٧) المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج ٢، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥ و٢٣٢.

(٧٨) المصدر نفسه، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥.

الهجري/الثامن عشر الميلادي. وعلى المستوى العام، فإن هذا النقد تمَّ التعبير عنه في شعر حميدان الشويعر الذي اتهم القضاة والعلماء في زمنه بإساءة استخدام منصبهم الاجتماعي وقبول أموال وهدايا تؤثر في الأحكام القانونية التي يصدرونها(٧٩). وعلى المستوى الخاص بالعلماء، فقد عدّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه الرسوم والهدايا الأخرى الممنوحة للقاضي من قبل المتقاضين بمثابة رشاوى(٨٠).

لقد رأينا في الفصل السابق كيف نما التعليم الديني، وعدد المدارس الدينية نمواً مستمراً خلال القرنين اللذين سبقا ظهور الحركة الوهابية، ورأينا أيضاً كيف أن هذا التعليم الديني، والعلماء انتشروا جغرافياً ليغطّوا منطقة أوسع من مناطق نجد؛ ورأينا أيضاً كيف أن انتشار التعليم قد أسهم في نمو الوعي الديني بين المجتمعات الأصغر، وفي المناطق المستوطنة الجديدة.

مجتمع نجد في مرحلة انتقالية

من الملاحظ من المناقشة السابقة للظروف السياسية والاجتماعية والدينية في نجد خلال القرنين السابقين للدعوة الوهابية، أن البلد كانت تشهد فترة اضطرابات اجتماعية وسياسية، وكانت تلك الاضطرابات الاجتماعية ممثلة في الصراع بين أهل كل بلدة أو مستوطنة على حدة، خاصةً داخل الأسر الحاكمة للبلدات؛ فقد أتاحت سلطة الرؤساء الضعيفة، وعدم وجود قانون متفق عليه للأفراد أو أسرهم بتحصيل حقّهم بأنفسهم؛ وبالتالي بدء دائرة الثأر والثأر المضاد.

وكانت الاضطرابات السياسية متمثّلة في القتال المستمر بين البلدات والمستوطنات المختلفة في نجد؛ بسبب عدم وجود حكومة مركزية يمكنها فرض السلام والنظام، ومنع البلدات المتجاورة من شن الغارات على بعضها بعضاً. وإلى ذلك، فقد تفاقمت الفوضى السياسية أيضاً بسبب الغارات

(٧٩) الحاتم، خيار ما يلتقط من شعر النبط، ج ١، ص١١٦ و١٢٠. انظر أيضاً: عبد الله الصالح العثيمين، «الشعر النبطي من مصادر تاريخ نجد،» مجلة العرب، السنة ١١، العددان ١١ ـ ١٢ (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٧٧)، ص٨٥٤ ـ ٨٥٥.
(٨٠) ابن غنام، تاريخ نجد، ص٢٩٥، ٣٧١ و٤٨٣ ـ ٤٩٠.

والإتاوات التي يفرضها البدو بغير حق على السكان المستوطنين الأضعف، ولم يتدخل أشراف مكة ورؤساء الأحساء الذين حصلوا على السلطة في نجد في السياسة النجدية المحلية، أو حتى لم يستخدموا سلطتهم لفرض السلام على الرؤساء المتحاربين، أو حماية السكان المستوطنين من غارات البدو وابتزازاتهم.

وبحلول النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، ازداد سكان نجد المستوطنون قوة ورخاءً، وبدأ عدد من القوى السياسية الإقليمية في الظهور في هذه الفترة، وكانت من العيينة في وادي حنيفة، وثرمدا في الوشم، وجلاجل في سدير، وعنيزة في القصيم، والدلم في الخرج. وقد سعى رؤساء هذه البلدات إلى مدّ حكمهم إلى بلدات ومستوطنات أخرى في أقاليمهم؛ وهذه إشارة على تغيير سياسة التشرذم التقليدية، وكان الأقوى والأكثر نفوذاً من بين هذه الزعامات هم من بلدة العيينة.

ولكن يبدو أن سكان نجد المستقرين قد ازداد إحباطهم؛ بسبب الخصومة المستمرة داخل مجتمعاتهم، والغارات التي ليس لها معنى، والغارات المضادة بين بلداتهم. ويبدو أيضاً أن هؤلاء السكان قد أصبحوا على وعي بالقيود والضرر الذي تسببه مثل تلك النزاعات والغارات لأنشطتهم الزراعية والتجارية، وحتى في حياتهم الخاصة نفسها. لقد كان مجتمع نجد المتنامي في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، في حاجة ماسّةٍ إلى السلام والنظام لحماية حياة أفراده وأنشطتهم الاقتصادية.

يبدو أنه نشأ لدى السكان المستنيرين دينياً في نجد، في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، رؤية جديدة لمشكلات مجتمعهم. وبالإضافة إلى ذلك، لم تعد المعايير السياسية والاجتماعية والدينية القديمة مُرْضية. وقد أدركوا أن الزيارات للكهوف أو الأشجار أو القبور ليست من الممارسات الإسلامية في شيء، وهي أيضاً لن تحلّ مشكلاتهم. وأدركوا أيضاً أن رؤساء بلدانهم كانوا يحكمونهم على أساس عاداتهم القبلية الخاصة بهم، وليس طبقاً للشريعة الإسلامية. حتى القضاة الشرعيون في ذلك الوقت لم يلبوا توقّعات الكثير من الناس. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأغلبية الساحقة

من بدو نجد ـ وربما جزء من السكان المستقرين ـ كانوا مسلمين إسمياً فقط. ولا بدّ من أنّ المستنيرين في نجد، خاصةً علماء تلك الفترة؛ قد فكروا في مشكلات مجتمعهم الاجتماعية والسياسية والدينية، وفكروا في حلول ممكنة لهذه المشكلات.

إنّ التطلعات الدينية والسياسية لسكان نجد قد حقّقها ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري. وتجدر الإشارة إلى أن قدرة ابن عبد الوهاب الفكرية كان لها تصوّرها ورؤيتها للمشكلات الدينية والاجتماعية والسياسية لمجتمعه، والظروف الحرجة التي كان يمرُّ بها سكان نجد؛ لذلك فقد كرَّس هذا الشيخ حياته وطاقته الحماسية لتوفير حلّ شامل لعدد من مشكلات المجتمع النجدي؛ من خلال إنشاء حكومة مركزية قوية تستطيع فرض الشريعة الإسلامية وفرض السلام والنظام في الأرض. كان ابن عبد الوهاب قد استعد لمهمته العظيمة من خلال تعليمه وتدريبه، وساعدته على ذلك الظروف الدينية والسياسية الخاصة التي كانت تمر بها نجد في زمانه.

وعلى عكس نظرائه من علماء نجد الآخرين الذين ركزوا على دراسة الفقه، فقد كان لابن عبد الوهاب اهتمام خاص بدراسة التفسير والحديث الشريف والتوحيد[٨١]. وسافر إلى مكة والمدينة في سنّ مبكرة؛ حيث استمر في دراسته للحديث الشريف، وهو نظام الدراسة الذي سيطرت عليه المقاربة الأصولية التي تبناها مجتمع علماء من جنسيات مختلفة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي في الحجاز. وقد مال هؤلاء العلماء إلى الذهاب إلى أبعد من دراسة كتب الحديث الشريف الستة، والكتيبات التالية حولها في القرون الوسطى، إلى البحث في المجموعات الأولى لهذه الأحاديث، ولقد كانت هذه المقاربة في التعامل مع تعلّم الحديث الشريف أداة حرجة لجهد أصولي لإعادة البناء الأخلاقي ـ الاجتماعي للمجتمع. لقد درس كثير من قادة حركة النهضة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، مع علماء الحديث هؤلاء أنفسهم في الحجاز[٨٢]. كان الشيخ

---

(٨١) المصدر نفسه، ص٧٥، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج ١، ص١٩.

(٨٢) حول دراسة الحديث في الحجاز خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وتأثيرها في العالم الإسلامي، انظر مقالتي:

محمد بن عبد الوهاب أيضاً أحد المعجبين بالعالم الشهير في دراسة التوحيد الشيخ ابن تيمية (ت. ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) وتلميذه ابن القيم، وقام بجمع كتاباتهما ودراستها وتأثر بفكرهما خاصّة التوحيد عند ابن تيمية[٨٣]. اعتقد ابن تيمية مع علماء الحديث الأصوليين في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، أن حلّ المشكلات السياسية والدينية للمجتمع المسلم في ذلك الوقت، يكمن في العودة إلى ممارسات وأحاديث النبي والسلف الصالح. رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضاً حلّ مشكلات المجتمع النجدي في العودة إلى مناهج السلف الصالح.

لقد أدرك ابن عبد الوهاب أنه لا يمكن تحقيق أي تغيير من دون دعم سلطة سياسية قوية. وبناءً على ذلك، اقترب من أكثر رؤساء نجد قوة وطموحاً في ذلك الوقت؛ هو عثمان بن معمر في العيينة واضعاً في الاعتبار المزايا السياسية التي يمكن أن تنتج من هذا التحالف. رحّب ابن معمر بالشيخ، وزوّجه بعمته وبدأ بحماسة وضع أفكاره في حيّز التطبيق، ولقد خرج ابن معمر وستمئة شخص من أهل بلدته لتدمير القبة المبنية على قبر زيد بن الخطاب، وقام أيضاً بجبي الزكاة، وتطبيق الشريعة الإسلامية[٨٤].

وفضلاً عن ذلك، وكما يوضح ابن بشر، فإن ابن عبد الوهاب وعد ابن معمر بأنه إذا دعم الدعوة، فإنه سوف يفتح نجد ويخضعها كلها، وكذلك بدوها[٨٥]. وعندما كان الشيخ مضطراً إلى ترك العيينة في رحلة إلى الدرعية، وكان ذلك في عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، كرّر الوعد نفسه لمؤيّده الجديد محمد بن سعود[٨٦]. وهذا يشير بوضوح إلى أن ابن عبد الوهاب كان يفكر

John O. Voll, "Muḥammad Ḥayya al-Sindī and Muḥammad Ibn Abd al-Wahhab: An Analysis of an Intellectual Group in Eighteenth-Century Madīna," *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* (University of London), vol. 38, no. 1 (1975), pp. 32-39, and "Hadith Scholars and Tariqahs: An Ulama Group in the 18th Century Haramayn and their Impact in the Islamic World," *Journal of Asian and African Studies*, vol. 15, nos. 3-4 (1980), pp. 264-273.

(٨٣) محمد بن عبد الله بن حميد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** (مخطوطة رقم ١٢٨٧ في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الصنيع؛ تم حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الرياض)، الورقات ١٥ ـ ٢٢، والبسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، ص٣٠ ـ ٣١.

(٨٤) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٧٨ ـ ٨٠، وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ص٢٢ ـ ٢٣.

(٨٥) ابن بشر، المصدر نفسه، ج ١، ص٢٢.

(٨٦) المصدر نفسه، ج ١، ص٢٤.

من البداية في تغيير شامل يضُمُّ الجوانب الاجتماعية والسياسية وكذلك الجوانب الدينية للحياة في نجد، ويشير كذلك إلى أن الشيخ كانت لديه رؤية واضحة حول ما كان في طور الظهور نتيجة حركته: الهدوء، والسلام، ونَجْد متحدة سياسياً، وتحكمها حكومة مركزية تطبق الشريعة الإسلامية كقانون لها.

فهم كلا الرئيسين ابن معمر وابن سعود وأهل بلدتيهما، المشكلات والحالة السياسية الحرجة وكذلك الدينية التي كانت عليها البلد، وأدركوا أيضاً أهمية دعوة ابن عبد الوهاب والحاجة إليها، وعندما أدرك رئيس الأحساء القوي، التهديد الذي تمثله هذه الدعوة الجديدة لسلطته في نجد طلب من ابن معمر طرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورغبة من ابن معمر في ألا يغضب رئيساً قوياً ويستعديه، أرسل ابن عبد الوهاب بعيداً لفترة من الوقت حتى تهدأ الأمور[٨٧]. ولقد انتهز رئيس الدرعية ـ حيث كان هناك مؤيدون كثيرون للدعوة الجديدة خاصّة بين أسرة الرؤساء ـ الفرصة ورحّب بابن عبد الوهاب، واعداً إياه بالحماية والدعم. وروي أن ابن سعود وضع شرطاً لدعمه ابن عبد الوهاب وهو أن لا يتخلّى عنه في المستقبل[٨٨].

إنَّ ظهور الحركة الوهابية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي كان نتاجاً طبيعياً للتطور السياسي والاجتماعي والديني لسكان نجد المستقرين خلال القرون الثلاثة السابقة. فلقد ظهرت الحركة الوهابية لتقديم حلول للمشكلات الجديدة التي ظهرت؛ نتيجة نمو السكان المستوطنين ونمو التعليم الديني في نجد. وقد تمثلت قدرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الإدراك الواضح للمشكلات، والظروف السائدة في زمانه، ووضْع تصور للحل بشكل واضح، والعمل بكل قوة وحماسة لتحقيق ذلك الحل.

---

(٨٧) **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تمّ تحريره ونشره بواسطة أحمد أبو حاكمة (بيروت: [د. ن.]، ١٩٧٦)، ص٣٣ ـ ٣٥.

(٨٨) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٨١، وابن بشر، المصدر نفسه، ج ١، ص٢٥.

خاتمة

كانت اليمامة، عند ظهور الإسلام، أكثر مناطق الجزيرة العربية استقراراً ورخاءً وقوةً خارج اليمن. وفي ذلك الوقت، كانت اليمامة مأهولة بالسكّان، ويسيطر عليها سياسياً بنو حنيفة الذين واجهوا قوة المسلمين المتنامية بأكثر مقاومة جادة خلال الفتوحات الإسلامية في الجزيرة العربية. وخلال العصر الإسلامي، انهارت الهيمنة السياسية لبني حنيفة في اليمامة، وقد تراجع عدد السكان المستقرين، وانحسر رخاء البلاد. ولقد عزى الكثيرون هذا الانهيار وهذا الانحسار إلى الهزيمة الساحقة لبني حنيفة من قبل الجيوش الإسلامية، وضعف سلطة الخلفاء العباسيين وانسحابها من نجد، وسيطرة الجماعات البدوية القبلية لبني عامر بن صعصعة، وضغطهم على سكان اليمامة المستوطنين. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الكوارث البيئية ضربت البلد خلال القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي والقرن التالي؛ ما تسبب في فرار قطاع عريض جداً من سكان نجد المستوطنين وكذلك البدو.

أما مناطق الحضر التي كانت ـ كما قيل في مصادر العصور الوسطى ـ تتركز في الأفلاج، والخرج، ووادي حنيفة، ووادي الفقي (سدير)، فهي إما اختفت أو تفككت بحلول القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي. ويذكر أن أسرة العلويين الحاكمة من بني الأخيضر التي حلّت محلَّ سلطة العباسيين في اليمامة بحلول منتصف القرن الثالث الهجري/الثامن الميلادي، قد اختفت بعد ذلك بقرنين. ولم تظهر سلطة مركزية متمركزة محلياً في نَجْد من ذلك الوقت حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وشهدت نَجَد طيلة هذه الفترة الزمنية التي ناهزت ستة قرون، تفككاً سياسياً وفوضى وانهياراً اجتماعياً واقتصادياً. قلّ سكان اليمامة المستقرون، ويمثلهم

بنو حنيفة، من حيث العدد بدرجة كبيرة، واختفت بلدات كثيرة ومستوطنات في المناطق الزراعية القديمة في البلد.

انقسم سكان نجد الباقون إلى مجتمعات صغيرة مستقلة ومنعزلة عديدة، تحكمها أسر رئاسية قبلية متحاربة؛ هذه المجتمعات الصغيرة دخلت في مواجهات مستمرة مع بعضها بعضاً، وكانت منعزلة أكثر عن بعضها؛ بسبب الهيكل القبلي لمجتمع نجد الذي فصل كل مجتمع، ووضعه في وضع متقوقع عدائي في مقابل المجتمعات المجاورة الأخرى. وتفاقم تفكك المجتمع أكثر بسبب غياب سلطة سياسية رادعة تستطيع فرض السلام والأمن على البلد. كانت الطرق مهددة دائماً بالمغيرين من السكان المستقرين والبدو على حد السواء، وكان التواصل بين البلدات والمناطق ينقطع بسبب هؤلاء المغيرين؛ وبسبب القتال المستمر بين مختلف البلدات، وقد أسهم انعزال المجتمعات النجدية الناتج في انهيارها التدريجي. وانكمشت الجماعات المستقرة الرئيسة القديمة في نجد ـ بنو حنيفة وبنو تميم ـ وأصبحت بلدات قليلة ومستوطنات في وادي حنيفة والوشم وقفار في جبل شمّر.

كان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، بمثابة نقطة تحوّل في تاريخ كل من السكان المستقرين والبدو؛ وقد بدأت الكثير من الجماعات القبلية البدوية في الهجرة إلى نجد من غربي وجنوبي غربي الجزيرة العربية خلال هذا القرن والقرون التالية. وقد ظهر عدد من التحالفات القبلية البدوية القوية خلال هذه الفترة؛ مثل: الظفير، وعنزة، والدواسر، ومطير، وبني خالد، وقحطان.

وبالمثل، بدأت اليمامة والقصيم في استقطاب مستوطنين جدد من السكان المستقرين، وكذلك من بدو نجد. لقد حدثت حركة إعادة استيطان وإسكان واضحة للأقاليم الزراعية القديمة: الأفلاج، والفرع، والخرج، والعارض (وادي حنيفة)، والمحمل، وسدير، والقصيم خلال الفترة من منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وقد تمت أكبر مساهمة في هذه الظاهرة الاجتماعية بواسطة جماعات تنتمي إلى بني تميم التي هاجرت من الوشم وقفار؛ لإنشاء مستوطنات جديدة في المناطق السابق ذكرها. وقد

انتقل كثير من الجماعات الأخرى من أصول قبلية مختلفة (أو مناطق مختلفة) أيضاً إلى هذه المناطق، وأسست مستوطنات جديدة؛ ومن أبرز هذه الجماعات كانت جماعة المُردة من بني حنيفة الذين هاجروا من القطيف.

وقد أسهم عدد من الجماعات ذات الأصل البدوي أيضاً في إعادة الاستيطان والإسكان في اليمامة والقصيم. وقد أنشئت عدة مستوطنات في الأفلاج والمحمل وسدير والقصيم، أو استوطنتها جماعات تنتمي إلى جماعة الدواسر القبلية البدوية. فقد استوطن آل عائذ عدداً من البلدات في الخرج، بينما أسس بنو وائل عدداً من المستوطنات في سدير والمحمل والقصيم.

إن أكثر من ثلثي البلدات الأكثر نشاطاً التي تكرر ذكرها باستمرار خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي والقرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي؛ كانت إما بلدات حديثة النشأة أو بلدات قديمة أحيتها جماعات غير أهلها الأصليين خلال القرون الثلاثة التي سبقت الدعوة الوهابية. وبحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، كانت الأغلبية الساحقة من سكان أقاليم الأفلاج، والفرع، والخرج، والعارض (وادي حنيفة)، والمحمل وسدير والقصيم، ؛ أناساً مهاجرين إلى هذه المناطق خلال القرون الثلاثة الماضية. ومن المثير للاهتمام، والجدير بالملاحظة في الوقت نفسه أن الجزء الأكبر من إعادة الاستيطان والإسكان في اليمامة والقصيم قد حدثا خلال القرن ونصف القرن قبل ظهور الحركة الوهابية. وهناك مؤشر آخر على نمو السكان في نجد خلال هذه الفترة؛ وهي الهجرات من نجد إلى شرقي الجزيرة العربية وجنوبي العراق، حيث أسس المهاجرون مجتمعات مميزة في الكويت، والزبارة، والبحرين، والبصرة، وبغداد.

كانت الظاهرة الاجتماعية الموازية ذات الصلة الوثيقة بنمو السكان؛ تتمثّل في نمو التعليم الديني والزيادة في عدد العلماء في نجد من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وخلال هذ الفترة، تضاعف عدد علماء الدين في كل قرن؛ وحيث إن نمو التعليم الديني قد اتبع زمنياً وكمياً مستويات نمو السكان

المستقرين، فإنه أيضاً قد اتبع النماذج الجغرافية نفسها للهجرة وإعادة الاستيطان. لذلك، فإن نمو التعليم الديني تطور ليلبي الاحتياجات الاجتماعية والدينية للمجتمع النجدي الآخذ في النمو والتحضّر.

وإذ إن إعادة الاستيطان والإسكان في نجد قد استمرت، والأنشطة الاقتصادية لأهل نجد قد زادت، بعد ذلك، عبر الفترة محلّ الدراسة، فإنه لم يوجد تغير مماثل في الظروف والمؤسسات السياسية والاجتماعية في البلد. هذا وقد استمرّ أيضاً الصراع بين أهل بلدات نجد المنقسمين والموجَّهين قبلياً، وكذلك الحروب بين مختلف البلدات والمستوطنات. وزاد ضغط السكان البدو المتنامين على المجتمعات المستقرة.

أسهم نمو سكان نجد خلال هذه الفترة في تفاقم المشكلة الاجتماعية الأصلية، وهي المواجهة المستمرة بين مختلف الجماعات القبلية في المجتمعات المستقرة للبلد عن طريق إضافة بعد اقتصادي لتلك المشكلة. لقد أدّى النمو السكاني لنجد في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي؛ إلى التنافس على الموارد الاقتصادية المحدودة في البلد، مثل: الأرض الزراعية، موارد المياه، والمراعي. وتتضح حدة هذا التنافس خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي في الزيادة في عدد النزاعات المسجلة بين أهل البلدات والزيادة في المواجهات بين مختلف البلدات. وبالإضافة إلى ذلك، فقد انعكس فشل الموارد الاقتصادية في تلبية احتياجات السكان الذين يزداد عددهم، أيضاً، في هجرة الناس من نجد إلى شرقي الجزيرة العربية وجنوبي العراق خلال الفترة نفسها.

لم يكن للسلطة التي مارسها أشراف مكة ورؤساء الأحساء في نجد أي تأثير إيجابي في الظروف السياسية والاجتماعية لهذا البلد، ولم تتعامل أي من هذه القوى مع نجد كجزء مهم من نطاق نفوذها؛ وبذلك فإنها لم تتولَّ المسؤولية عن ضمان السلام والأمن، أو المسؤولية عن ممارسة سلطة فعلية في نجد، وبدلاً من ذلك، فإنهم تركوا رؤساء نجد يديرون شؤونهم بأنفسهم. وكانت تعني سلطتهم فقط فرض نفوذ شكلي، وجمع الإتاوة. لذلك، فإن حكم مكة أو الأحساء لم يكن بديلاً عن الحكومة المركزية المحلية.

وبحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، أنتج نمو السكان المستقرين والتعليم الديني في نجد ظروفاً دينية وسياسية واجتماعية جديدة، كما أن نمو السكان قد أدّى إلى ظهور عدد من مناطق حضرية تمثّلها بلدات كبيرة؛ مثل: العيينة، والدلم، والدرعية، والرياض، وحريملا، وجلاجل، والروضة، وثرمدا، وأشيقر، وعنيزة، وبريدة. وقد زاد عدد سكان هذه البلدات، ومن ثَمّ فإن أنشطتهم الاقتصادية ازدادت، وظهر عدد من القوى السياسية الإقليمية في بعض هذه البلدات، وأكثرها سيطرة ونفوذاً كان آل معمر في العيينة. هذا وقد انعكست الظروف الجديدة الناتجة من نمو التعليم الديني على زيادة عدد العلماء والقضاة الشرعيين وانتشارهم في الكثير من المجتمعات الصغيرة أو المنشأة حديثاً، ونمو الوعي الديني الناتج من ذلك بين سكان نجد المستقرين.

إن نمو التوسّع العمراني، ونمو التعليم الديني والوعي اجتمعوا معاً عند نقطة واحدة لتشكيل توقّعات وآمال جديدة داخل مجتمع نجد. فلقد احتاج سكان نجد المتحضرون والمستنيرون دينياً؛ إلى أشكال جديدة من المؤسسات الاجتماعية والسياسية والدينية التي تستطيع حلّ مشكلات المجتمع، الذي مزقته الحروب المستمرة، وأضعفه وقسمه نظام الحكم القبلي. إن المجتمع النجدي، خاصة البدوي، قد أهمل تعاليم الإسلام الصحيحة، كما يتصورها النجديون المتعلمون في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

إن تطلعات مجتمع نجد الجديد الاجتماعية والسياسية والدينية قد حققتها الحركة الوهابية في منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن عشر الميلادي؛ إذ كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب نتاج هذا المجتمع المستنير الجديد، ولقد فهم المشكلات الدينية والسياسية الاجتماعية لهذا المجتمع والمرحلة الحرجة التي دخل فيها قومه. ولقد أدرك محمد بن عبد الوهاب أن نجداً في حاجة ماسة إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي مثل حاجتها إلى الإصلاح الديني، وقد أدرك أيضاً أن الحلّ بالنسبة إلى المجتمع النجدي يكمن في تأسيس حكومة مركزية إسلامية تفرض النظام والعدل وتطبّق الشريعة. ولقد شكلت الكثير من العوامل الفكر وحفّزت على الإصلاحات التي جاء بها ابن عبد الوهاب، على سبيل المثال: دراسته للحديث الشريف

والتوحيد؛ ولكن الظروف السياسية والدينية والاجتماعية لمجتمعه كانت أهم وأكثر العوامل إلحاحاً.

وصفوة ما تقدم، كان ظهور الحركة الوهابية تتويجاً طبيعياً للنمو الديني والسياسي والاجتماعي عند سكان نجد المستقرين، الذي كان في تطور دائم على مدى القرون الثلاثة السابقة، ولقد ظهرت الحركة الوهابية؛ لتقديم حلول للتطلعات الجديدة والمشكلات التي نشأت من نمو المجتمع النجدي المستقر بحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

المراجع

١ ـ العربية

مخطوطات

أبابطين العائذي، عبد الرحمن بن عبد الله. **المجموع فيما هو كثير الوقوع** (المخطوطة رقم ٣٣٨/٨٦ في مجموعة مكتبة الرياض السعودية).

ابن حميد، محمد بن عبد الله. **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** (مخطوطة رقم ١٢٨٧ في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الصنيع؛ تم حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الرياض).

ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم. **رفع النقاب عن تراجم الأصحاب** (مخطوطة رقم 7369-A) (القاهرة: دار الكتب).

ابن لعبون، حمد بن محمد. **تاريخ ابن لعبون** (مخطوطة وردت في مجموعة شيخ مكة الراحل سليمان الحمدان؛ تمَّ حفظها في المكتبة التابعة لجامعة الإمام محمَّد بن سعود بالرياض).

البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح. **تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة يوجد أصلها لدى ورثة المؤلف، نقل نسخة عنها السيد نور الدين شريبة في عام ١٩٥٦).

البسام، محمد بن حمد. **الدرر المفاخر في أخبار العرب والأواخر** (رقم المخطوطة AU-7358 والموجودة في المتحف البريطاني).

الذكير، مقبل. **تاريخ الذكير** (مخطوطة حفظت في المكتبة التابعة لجامعة بغداد، تحت عنوان «تاريخ مكة»).

الفاخري، محمد بن عمر. **الأخبار النجدية**. تحرير عبد الله بن يوسف الشبل (مخطوطة ابن منصور في جامعة الإمام محمَّد بن سعود في الرياض).

ـــــــــ. **تاريخ الفاخري** (مخطوطة في مجموعة مكتبة جامعة الرياض، تحت عنوان «تاريخ نجد»).

كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. (مخطوطة، تم حفظها في المكتبة الوطنية في باريس، رقم ٦٠٦١).

كتب

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين. **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار صادر، ١٩٦٦.

ابن إياس، أبو بركات محمد بن أحمد. **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. حقّقها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى. ط ٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦١.

ابن بشر، عثمان. **عنوان المجد في تاريخ نجد**. ط ٢. الرياض: وزارة التعليم السعودية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ابن بطوطة، عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي. **رحلة ابن بطوطة**. بيروت: دار صادر، ١٩٦٤.

ابن بليهد، محمد بن عبد الله. **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**. حرره محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٢. الرياض: المؤلف، ١٩٧٢.

ابن جريس الحنبلي، راشد بن علي. **مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد**. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

ابن جنيدل، سعد بن عبد الله. **عالية نجد**. الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي. **كتاب صورة الأرض**. بيروت: دار مكتبة الحياة، [د. ت.].

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم**. بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨. ٧ ج.

ابن خميس، عبد الله بن محمد. **راشد الخلاوي (حياته، شعره، حكمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي)**. الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٢.

ــــــــ. **معجم اليمامة**. الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨.

ابن رداس، عبد الله. **شاعرات من البادية**. الرياض: دار اليمامة، [د. ت.].

ابن سعد القرطبي، عريب. **صلة تاريخ الطبري**.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى. **كتاب الجغرافيا**. حققه ووضع مقدمته وعلّق عليه إسماعيل العربي. بيروت: المكتب التجاري، ١٩٧٠.

ابن سند البصري، عثمان. **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**. بومباي: [د. ن.]، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

ابن العراق، نعمان بن محمد. **معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر**. حققه عن نسخة فريدة محمد حميد الله. باكستان، إسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٣.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح. **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان**. قام بتحريره حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦.

ابن غنام، حسين. **تاريخ نجد**. حرره وحققه ناصر الدين الأسد. القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦١.

ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي الداودي. **عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب**. حقق نصوصه نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة، [د. ت.].

ابن فرج، عبد القادر بن أحمد بن محمد. **السلاح والعدة في تاريخ جدة**. تحقيق وتقديم مصطفى الحدري. دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٨.

ابن فقيه الهمذاني، أحمد بن حمد. **كتاب البلدان**.

ابن قاسم، عبد الرحمن. **الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية**. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٥.

ابن لعبون، حمد بن محمد. **تاريخ ابن لعبون**. مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

ابن معمر، حمد بن ناصر بن عثمان. **مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى**. الطائف: دار الثقافة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الأصفهاني، الحسن بن عبد الله. **بلاد العرب**. تحرير حمد الجاسر وصالح العلي. الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٦.

الأنصاري، محمد بن عبد الله آل عبد القادر. **تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد**. الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٩٦٠. ٢ ج.

البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح. **علماء نجد خلال ستة قرون**. مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٩٩٨. ٣ ج.

البسام، محمد بن حمد. **الدرر المفاخر في أخبار العرب والأواخر**. تحرير وتحقيق سعود غانم العجمي. الكويت: المحقق، ١٩٨١.

البسام، يوسف بن حمد. **الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت**. الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧١.

بندقجي، حسين حمزة. **جغرافية المملكة العربية السعودية**. ط ٣. جدة: دار الشروق، ١٩٨١.

الجاسر، حمد. **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**. ط ٢. الرياض: دار اليمامة، ١٩٨١.

ــــــ. **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**. الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

الجزيري، عبد القادر بن محمد الأنصاري. **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة**. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

الحاتم، عبد الله بن خالد. **خيار ما يلتقط من شعر النبط**. دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨.

الحربي، إبراهيم بن إسحاق. **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**. تحرير حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٩.

الحقيل، حمد بن إبراهيم. **كنز الأنساب ومجمع الآداب**. ط ٨. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١.

دحلان، أحمد بن زيني. **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**. القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. **الأخبار الطوال**.

الربيعان، فهد. **العرينات**. الرياض: مطابع البادية للأوفست، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الرشيد، عبد العزيز. **تاريخ الكويت**. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨.

البسام، يوسف بن حمد. **الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت**. الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧١.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الله. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. بيروت: دار مكتبة الحياة، [د. ت.].

السمهودي، أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني. **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**. حققه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

الشريف، عبد الرحمن صادق. **مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن**. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٠.

ـــــــــ. **منطقة عنيزة (دراسة إقليمية)**. القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، ١٩٦٩.

الشملان، سيف مرزوق. **من تاريخ الكويت**. القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الرسل والملوك**. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٩.

طه، نعمة محمد أمين (محرر). **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١. ٢ ج.

العبودي، محمد بن ناصر. **بلاد القصيم**. الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٩.

العثيمين، عبد الله الصالح. **الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره**. الرياض: دار العلوم، [د. ت.].

العجلاني، منير. **تاريخ البلاد العربية السعودية**. بيروت: دار النفائس، ١٩٩٣. ٤ ج.

العزاوي، عباس. **تاريخ العراق بين احتلالين**. بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٣٥.

ـــــــــ. **عشائر العراق**. بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٣٧. ٤ ج.

العصامي، عبد الملك بن حسين المكي. **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**. تحقيق محب الدين الخطيب. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٩٣. ٤ ج.

علوي، ناصر خسرو. **سفر نامه**. ترجمة وتحقيق يحيى الخشاب. القاهرة: جامعة فؤاد الأول، ١٩٤٥.

الفاسي، محمد بن أحمد. **العقد الثامن في تاريخ البلد الآمن**. تحرير فؤاد سيد. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٥.

القاضي، محمد بن عثمان. **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**. القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٨٠.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**. حققه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣.

الكركوكلي، رسول. **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**. ترجمتها إلى العربية موسى كاظم نورس. بيروت: دار الكاتب العربي؛ بغداد: مكتبة النهضة، [د. ت.].

كمال، محمد سعيد. **الأزهار النادية من أشعار البادية**. الطائف: مكتبة المعارف، [د. ت.].

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تمّ تحريره ونشره بواسطة أحمد أبو حاكمة. بيروت: [د. ن.]، ١٩٧٦.

ــــــــــ. تمّ تحريره ونشره بواسطة عبد الرحمن آل الشيخ. الرياض: دارة الملك عبد العزيز في الرياض، [د. ت.].

المارك، فهد. **من شيم العرب**. بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٤.

مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمّى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود. اختصره أمين بن حسن الحلواني المدنيّ. بومباي: المطبعة الحسينية، ١٨٨٦.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي؛ عني بتنقيحها وتصحيحها شارل بلا. بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٤. ٧ ج.

المغيري، عبد الرحمن. **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**. ط ٢. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٥.

المنقور، أحمد بن محمد. **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**. تحرير عبد العزيز الخويطر. الرياض: [د. ن.]، ١٩٧٠.

ـــــــــ. **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، [د. ت.].

النهروالي، قطب الدين. **كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**. طبعة ويستنفيلد. بيروت: مكتبة خياط، ١٩٦٤.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. **صفة جزيرة العرب**. تحرير محمد بن علي الأكوع الحوالي. الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٤.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله. **كتاب معجم البلدان**. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦. ١٠ ج.

دوريات

الأنصاري، أحمد نور. «النصرة في أخبار البصرة.» تحقيق يوسف عز الدين. **مجلة المجمع العلمي العراقي**: السنتان ١٧ ـ ١٨، ١٩٦٩.

الجاسر، حمد بن محمد. «الدولة الجبرية في الأحساء.» مجلة **العرب**: السنة ٧، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

ـــــــــ. «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة.» مجلة **العرب**: السنة ١٢، العددان ٩ ـ ١٠، آذار/ مارس ـ نيسان/ أبريل ١٩٧٨.

ـــــــــ. «مؤرخو نَجْد من أهلها.» **العرب**: السنة ٥، العدد ٩، ١٩٧١.

الدخيل، سليمان بن صالح. «تحفة الألباء في تاريخ الأحساء.» مجلة **العرب**: العددان ٥ ـ ٦، ١٩٧٥.

الرشيد، منصور. «قضاة نجد أثناء العهد السعودي.» مجلة **الدارة**: السنة ٢، العدد ٤، ١٩٧٨، والسنة ١، ١٩٧٩.

الصالح، علي. «أسر بني تميم في منطقة حائل.» مجلة العرب: السنة ١٦، العددان ٧ ـ ٨، ١٩٨١.

العثيمين، عبد الله الصالح. «الشعر النبطي من مصادر تاريخ نجد.» مجلة العرب: السنة ١١، العددان ١١ ـ ١٢، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٧٧.

ــــــــ. «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.» مجلة العرب: المجلدان ١ ـ ٢، ١٩٧٨.

ــــــــ. «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب.» مجلة الدارة: السنة ٤، العدد ٣، ١٩٧٥؛ السنة ٣، ١٩٧٧، والسنوات ١ ـ ٣، ١٩٧٨.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله. «العرب في القرن السابع (١ ـ ٤): من كتاب «مسالك الأبصار».» تحقيق حمد الجاسر. مجلة العرب: السنة ١٦، الأعداد ٣ ـ ٤، ٧ ـ ٨، ٩ ـ ١٠ و١١ ـ ١٢، ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ على التوالي.

العيسى، محمد الفهد. «مدينة الدرعية: القاعدة الأولى للدولة السعودية.» مجلة العرب: السنة ٤، العدد ٤، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

المبارك، عبد العزيز. «وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية.» مجلة العرب: السنة ٢، العدد ١، ١٩٦٧.

النص، عزة. «المزاج الطبيعي لمنطقة نجد.» مجلة كلية الآداب (جامعة الرياض): السنة ١، ١٩٧٠.

٢ ـ الأجنبية

Books

Abu Hakima, Ahmad M. *History of Eastern Arabia 1750-1800: The Rise and Development of Bahrain and Kuwait*. Beirut: Khayats, 1965.

Buckingham, James S. *Travels in Assyria, Media, and Persia*. London: Henry Colburn, New Burlington St., 1829. [reprinted: Gregg International Publishers, 1971].

Burckhardt, John L. *Notes on the Bedouins and the Wahabys*. London: H. Colburn and R. Bentley, 1830.

_______. *Travels in Arabia*. Beirut: Librairie du Liban, 1972. [reprint from the London: Henry Colburn, 1829].

Carruthers, Douglas (ed.). *The Desert Route to India Being the Journals of Four Travellers by the Great Desert Caravan Route between Aleppo and Basra 1745-1751*. London: The Hakluyat Society, 1928; reproduced by Kraus Limited) [reprint: Wiesbaden, Germany, 1969].

Donner, Fred McGraw. *Early Islamic Conquests*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981.

The Encyclopedia of Islam. Leiden; London: Brill, 1936.

Gaury, Gerald de. *Rulers of Mecca*. London: Harrap, 1951.

Guarmani, Carlo. *Northern Najd: A Journey from Jerusalem to Anaiza in Qasim*. Translated from the Italian by Lady Capel-Cure. London: The Argonaut Press, 1938.

Longrigg, Stephen H. *Four Centuries of Modern Iraq*. Oxford: Oxford University Press, 1925.

Lorimer, John Gordon. *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia*. Vol. 2: *Geographical and Statistical*.

Niebuhr, Carsten. *Travels through Arabia and Other Countries in the East*. Edinburgh: R. Morison and Son, 1792. 2 vols.

Philby, Harry St. J. *Arabia of the Wahhabis*. London: Frank Cass, 1977.

Sadlier, George F. *Diary of a Journey Across Arabia*. Edited by F. M. Edwards. London; New York: The Oleander Press; Naples: Falcon Press, 1977.

Saldanha, Jerome A. *Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events, 1600-1800 AD*. Calcutta: Superintendent of Government Printing, 1908.

Periodicals

Donner, Fred McGraw. "The Bakr B. Wā'il Tribes and Politics in Northeastern Arabia on the Eve of Islam." *Studia Islamica*: no. 51, 1980.

_______. "Mecca's Food Supplies and Muhammad's Boycott." *Journal of the Economic and Social History of the Orient*: vol. 20, no. 3, October 1977.

Eickelman, Dale. "Musaylima: An Approach to the Social Anthropology of Seventh Century Arabia." *Journal of the Economic and Social History of the Orient*: vol. 10, no. 1, July 1967.

Philby, St. John. "Motor Tracks and Sabaean Inscriptions in Najd." *The Geographical Journal*: vol. 116, nos. 4-6, October-December 1950.

Raswan, Carl. "Tribal Areas and Migration Lines of the North Arabian Bedouins." *The Geographical Review*: vol. 20, no. 3, July 1930.

Voll, John O. "Hadith Scholars and Tariqahs: An Ulama Group in the 18th Century Haramayn and their Impact in the Islamic World." *Journal of Asian and African Studies*: vol. 15, nos. 3-4, 1980.

_______. "Muḥammad Ḥayya al-Sindī and Muḥammad Ibn Abd al-Wahhab: An Analysis of an Intellectual Group in Eighteenth-Century Madīna." *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* (University of London): vol. 38, no. 1, 1975.

Theses

Nasri, Hani Y. "Ibn al-Wahhab's Philosophy of Society: An Alternative to the Tribal Mentality." (Unpublished Ph. Dissertation, Fordham University, 1979).

Rentz, George S. "Muhammad ibn al-Wahha(1703/1704-1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia." (Unpublished Ph. Dissertation in History, University of California, Berkeley, 1948).